

محاسبة الملائكة الحفظة الكرام
وتطهير الصحائف من الآثام

للسيد علي بن موسى بن جعفر طاووس

محاسبة النفس اللوامة
وتنبيه الروح النوامة

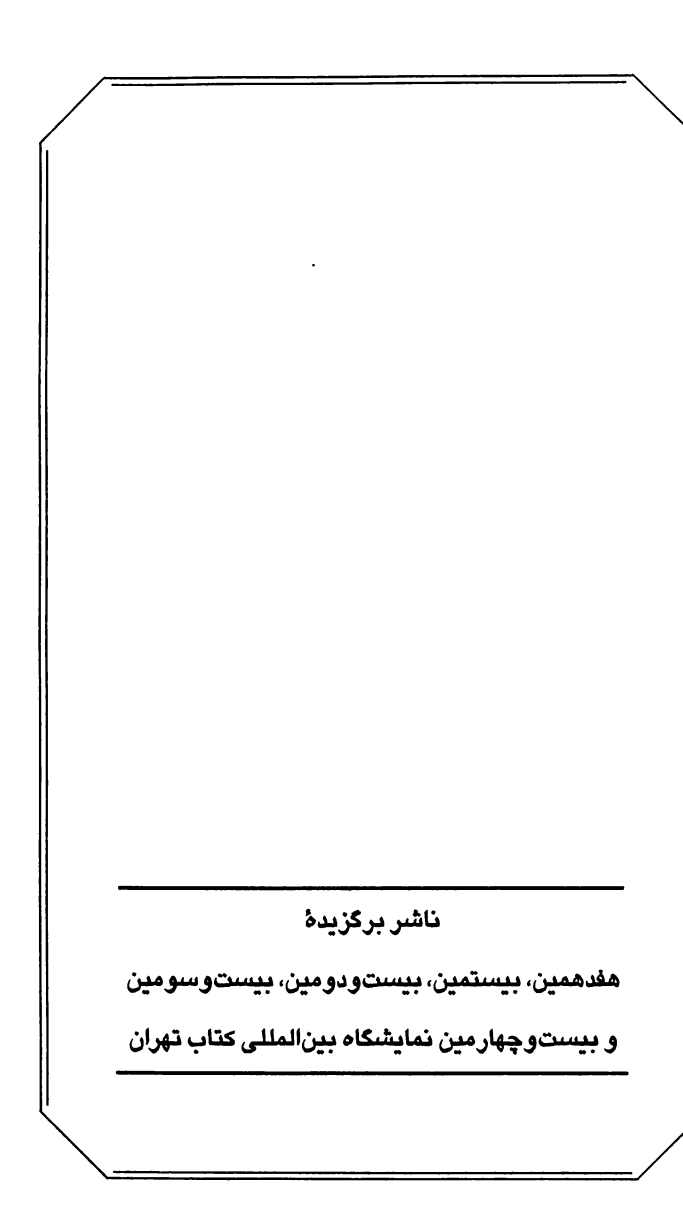
للشيخ تقي الدين ابراهيم بن علي الكفعمي

تقريظ العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي
تقديم وتحقيق وتعليق: الباحث سلام التميمي

بسم الله الرحمن الرحيم



محاسبة الملائكة الحفظة الكرام
و تطهير الصحائف من الآثام
و
محاسبة النفس اللوّامة
و تنبيه الروح النوّامة



ناشر برگزیدهٔ

هفدهمین، بیستمین، بیست‌ودومین، بیست‌وسومین

و بیست‌وچهارمین نمایشگاه بین‌المللی کتاب تهران

محاسبة الملائكة الحفظة الكرام
و تطهير الصحائف من الآثام

على بن موسى بن جعفر بن طاووس

و

محاسبة النفس اللوّامة
و تنبيه الروح النوّامة

تقى الدين ابراهيم بن على الكفعمى

تقريظ
السيد محمدحسين الطباطبايى

تقديم، تحقيق و تعليق
سلام التميمى



تهران ۱۳۹۱

سرشناسه : ابن طاوس، علي بن موسی، ۵۸۹ ـ ۶۶۴ ق.
عنوان و نام‌پدیدآور : محاسبة الملائكة الحفظة الكرام و تطهير الصحائف من الآثام / علی بن موسی بن جعفر بن طاووس. و محاسبه النفس اللوّامة و تنبيه الروح النوّامة / تقي الدين ابراهيم بن علی الكفعمي؛ تفريط: السيد محمدحسين الطباطبايي؛ تقديم، تحقيق و تعليق: سلام التميمي.
مشخصات نشر : تهران: شرکت انتشارات علمی و فرهنگی، ۱۳۹۱.
مشخصات ظاهری : ۳۰۸ ص.: نمونه.
شابک : ۶ـ۳۰۷ـ۱۲۱ـ۶۰۰ـ۹۷۸
وضعیت فهرست‌نویسی: فیپا
یادداشت : عربی.
موضوع : اخلاق اسلامی دعاها خودسازی (اسلام)
موضوع : غیبت (اخلاق اسلامی)
شناسهٔ افزوده : کفعمی، ابراهیم بن علی، ۸۴۰ ـ ۹۰۵ ق.
شناسهٔ افزوده : طباطبائی، محمدحسین، ۱۲۸۱ ـ ۱۳۶۰.
شناسهٔ افزوده : تمیمی، سلام
شناسهٔ افزوده : شرکت انتشارات علمی و فرهنگی
رده‌بندی کنگره : ۱۳۹۱ ۳م۲الف/BP ۲۴۷/۴۵
رده‌بندی دیویی : ۲۹۷/۶۱
شمارهٔ کتابشناسی ملی : ۲۷۵۱۰۸۷

محاسبة الملائكة الحفظة الكرام و تطهير الصحائف من الآثام
علی بن موسی بن جعفر بن طاووس

و

محاسبة النفس اللوّامة و تنبيه الروح النوّامة
تقی الدين ابراهيم بن علی الكفعمی

تقریظ: السید محمدحسین الطباطبایی
تقدیم، تحقیق و تعلیق: سلام التمیمی
طراح جلد: امیرحسین قوچی‌بیک
چاپ نخست: ۱۳۹۱؛ شمارگان: ۲۰۰۰ نسخه
حروفچینی و آماده‌سازی: شرکت انتشارات علمی و فرهنگی
لیتوگرافی، چاپ و صحافی: شرکت چاپ و نشر علمی و فرهنگی کتیبه



شرکت انتشارات علمی و فرهنگی

○ ادارهٔ مرکزی: خیابان افریقا، چهارراه حقانی (جهان کودک)، کوچهٔ کمان، پلاک ۲۵؛ کدپستی: ۱۵۱۸۷۳۶۳۱۳؛ صندوق‌پستی: ۹۶۴۷ـ۱۵۸۷۵؛ تلفن: ۷۰ـ۸۸۷۷۴۵۶۹؛ فکس: ۸۸۷۷۴۵۷۲
آدرس اینترنتی: info@elmifarhangi.ir www.elmifarhangi.ir
○ مرکز پخش: شرکت بازرگانی کتاب گستر، خیابان افریقا، بین بلوار ناهید و گلشهر، کوچهٔ گلفام، پلاک ۷۲؛ کدپستی: ۱۹۱۵۶۷۳۴۸۳؛ تلفن: ۴۳-۲۲۰۲۴۱۴۰؛ تلفکس: ۲۲۰۵۰۳۲۶
آدرس اینترنتی: info@ketabgostarco.com www.ketabgostarco.com
○ فروشگاه یک: خیابان انقلاب، روبه‌روی در اصلی دانشگاه تهران؛ تلفن: ۶۶۴۰۰۷۸۶

فهرس الكتاب

تقريظ قدوة الحكماء المتألّهين السيّد العلاّمة الطباطبائي قدس سره[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿فيها كُتُبٌ قَيِّمَة﴾

يُثني على الكتاب ويُعتنى بشأنه: إمّا لجلالة قدر مؤلّفه وفخامة أمره ونبوغه في فنّه، وإمّا لأهمّيّة موضوعه وغزارة بحثه وتعمّقه فيما حواه من البحث وتضمّنه من] بليغ البيان وساطع البرهان ودقائق مسائل جديدةٍ لم يجد بها سوابق الأذهان.

وهذه الكتب الثلاثة (كشف الريبة في أحكام الغيبة وكتابا محاسبة النفس) التي تقدّمه إلينا الطبعة الجديدة كتبٌ جامعةٌ للمنقبتين موسومةٌ بالفضيلتين، كتبٌ قيّمةٌ يكلّ لسان القلم عن الجريان في الثناء على مؤلّفيها. كيف؟ وأحد الثلاثة شيخنا العزيز الشهيد الثاني الشيخ زين الدين العاملي قدّس الله روحه، وثانيهم السيّد بن الطاووس علي بن موسى بن جعفر بن محمّد بن الطاووس العلوي أعلى الله درجته، وثالثهم شيخنا الكفعمي الشيخ تقي الدين إبراهيم بن علي العاملي روّح الله رمسه.

---

١. ليُتفطّن: أنّ التقريظ الذي جادَ به يراع العلاّمة الطباطبائي قدس سره في المتن حرّره عام ١٣٩٠ هـ لتزدان به الطبعة الأولى من المجموعة المشتملة على كشف الريبة عن أحكام الغيبة للشهيد الثاني ومحاسبة النفس للسيّد ابن طاووس ومحاسبة النفس للشيخ الكفعمي، إلاّ أنّ السفر الأوّل منها خارجٌ عن موضوع البحث هنا؛ لاختصاصها بمحاسبة النفس، كما أنّ الأثر الثالث ـ أعني: محاسبة النفس للشيخ الكفعمي ـ غير الأثر الحالي الذي تمّ تصحيحه ومراجعته في هذه الطبعة؛ لأنّ له كتابين في المحاسبة، كما أُشير إلى ذلك في مقدّمته، فراجع.

كتبٌ قيّمةٌ لا يرتاب ذو بصيرةٍ في أهمّيّة موضوعها وغزارة أبحاثها.كيف؟ وأحدها كشف الريبة في أحكام الغيبة، ورذيلة الغيبة من أهمّ ما يُبتلى به الإنسان، وأدقّ ما يذبّ في اللسان من تسويل الشيطان، والآخران كتابا محاسبة النفس، وهي من أهمّ ما على الإنسان أن يعتني به، ويجعله ذريعةً يتوسّل به إلى تكميل نفسه وتحصيل السعادة الأبديّة التي لا منية للإنسان ورائها ولا مرتقى له بعدها.

والله سبحانه نسأل أن يلحقنا بهؤلاء العلماء الربّانيّين، وينفعنا بعلومهم ومسفوراتهم، وصلّى الله على محمّدٍ وآله أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمدالله وسلامٌ على عباده الذين اصطفى

تقديم

لعلّك كنت مقروع السمع بالميز بين المشارطة والمراقبة والمحاسبة؛ حيث إنّ المشارطة تعني أن يشارط نفسه ويأخذ منها العهد في كلّ يوم مرّةً ـ بعد الفراغ عن صلاة الفجر وتعقيباتها ـ بأن لايرتكب معصيةً أو فاحشتةً ما ظَهر منها وما بطن، وأن لايصدر منه ما يوجب سخط الله تعالى سرّاً وعلانيةً، وأن لايقصّر في شيءٍ من الطاعات والفرائض، وأن لايغفل عمّا تيسّر له من الخيرات والنوافل. وأمّا المراقبة فحقيقتها أن يعلم العبد باطّلاع الربّ سبحانه عليه، فيديم النظر بالقلب إليه، ويتأمّل في عاقبة العمل عند الإقدام عليه؛ لئلّا يقع في المحذور والمخالفة، فإذا راقب الله في حركاته وسكناته، علم أنّه جلّ شأنه عليه رقيبٌ، ومن قلبه قريبٌ، يعلم أحواله، ويرى أفعاله، ويسمع أقواله. وأمّا المحاسبة فمفادها أن يرجع إلى نفسه قبل الرقود ليلاً فيقول: يا نفس! إنّ هذا يومٌ مضى عليكِ، فلا يعود إليكِ أبداً، والله تعالى سائلك عنه فيما أفنيتيه، فما الذي صنعت فيه؟ فيذكر ما كان منه من فعلٍ أو تركٍ وحركةٍ أو سكونٍ وذكرٍ أو غفلةٍ: فإن ذكر أنّه جرى منه خيرٌ ومعروفٌ، حمد الله واستزاده وكبّره على توفيقه وتسديده، وإن ذكر معصيةً أو تقصيراً، استغفرالله وأناب إليه وعزم على ترك العود إليه.

بين يدي الكتاب صحيفتان مطهّرتان في محاسبة النفس:

الأولى: محاسبة الملائكة الحفظة الكرام وتطهير الصحائف من الآثام، للسيّد علي بن

موسي بن جعفر بن طاووس الحلّي، اعتمدنا في إخراجه على ثلاث نسخٍ خطّيّةٍ، وأشرنا إلى موارد الاختلاف فيما بينها في الهامش، كما ألحقنا الرسالة بتعليقاتٍ فيها دلالاتٌ وإشاراتٌ إلى جملة ما في هذا الكتاب المستطاب المشحون بفصل الخطاب، ما يمكن الرجوع إليها والإفادة منها في ضوء الأرقام الموضوعة بين قوسين في المتن، بخلاف الأرقام الخالية عنهما الدالّة على مواطن اختلاف النسخ فيما بينها، فلاحظ واغتنم.

والثانية: محاسبة النفس اللوّامة وتنبيه الروح النوّامة، للشيخ تقي الدين إبراهيم بن علي الكفعمي، استندنا في مراجعته إلى أصحّ المتون وأدقّ النصوص، مع بيان ما لعلّه يحتاج إلى البيان فيه، بعد ردّ الأقوال والآراء الواردة فيه إلى أصحابها ومصادرها، وتقويم النصّ وتحقيقه وفق قواعد التحرير واُصول التحقيق.

ثمّ اُلحق بهما رسالةٌ وجيزةٌ موسومةٌ بمعارج القدس إلى محاسبة النفس، للعبد الراقم كاتب هذه السطور، تمّ استيفاء المقال فيها حول أدب المحاسبة وحكمتها وسرّها ونحوها ممّا لم تتح الفرصة للعلمين المتقدّمين التعرّض لها والإشارة إليها، في طيّ مدخلٍ ومقامين. أمّا المدخل فهو لبيان حقيقة رياضة النفس وشرائطها وموانعها. وأمّا المقام الأوّل ففيه إشارةٌ إلى فضيلة المحاسبة في كتاب الله العزيز وفي ضوء تعاليم الإنسان الكامل، أعني: المعصوم (عليه الصلاة والسلام). وأمّا المقام الثاني فالغرض منه التعرّض لمنزلة المحاسبة عند آل الحكمة وأهل المعرفة، مع بيان صورتها وسرّها عندهم. فطوبىٰ لمن قُدّر له الاتّصاف بها والسير إليها اعتقاداً وخلقاً وعملاً، وخسرت صفقة عبدٍ لم يُجعل له نصيبٌ منها. اللّهمّ ارزقنا الوصول إليك والنزول بك، بعد الوفاء بالمشارطة والمراقبة والمحاسبة حقّ الوفاء، فلا نسمع ولانبصر ولانفعل ولانقصد إلّا بك ومنك ولك وإليك، وارزقنا حلاوة النظر إلى وجهك الكريم، فيعرف في وجوهنا نضرة النعيم، إنّك أنت الجواد الكريم.

حول رسالة محاسبة الملائكة الحفظة الكرام وتطهير الصحائف من الآثام

سيرة المؤلّف

القيمة العلميّة للرسالة

مصادر الرسالة

منهج التحقيق



سيرة المؤلّف وآثاره العلميّة

ولد السيّد علي بن موسى بن جعفر بن محمّد بن محمّد بن أحمد بن محمّد بن أحمد بن محمّد (الملقّب بالطاووس؛ لملاحة صورته وعدم تناسب قدميه مع حسنه) بن إسحاق بن الحسن بن محمّد بن سليمان بن داود بن الحسن المثنّى بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه‌السلام في الحلّة عام ٥٨٩ هـ ونشأ بها، ثمّ هاجر إلى بغداد، فأقام فيها خمس عشرة سنةً، واتّصل بالمستنصر العباسي فقرّبه وطلبه للفتوى، فرفض تورّعاً، ثمّ دعاه لتولّي النقابة، ثمّ للدخول إلى الوزارة فأبى. ثمّ انتقل إلى المشهد الغروي، فبقي ثلاث سنين، ثمّ سافر إلى كربلاء، فمكث ثلاث سنين، ثمّ عاد إلى بغداد عام ٦٥٢ هـ، وبقي فيها إلى زمان احتلال المغول لها، فعاصر أهوالها وشملته آلامها. ثمّ إنّه تولّى النقابة هناك بطلبٍ من هولاكو عام ٦٦١ هـ، واستمرّت ولايته إلى حين وفاته عام ٦٦٤ هـ.

كان المترجَم له عالماً ربّانيّاً وفقيهاً زاهداً، وهو أشهر أعلام أُسرة آل طاووس مع كثرة من نبغ فيهم من العلماء والفقهاء، كما كان موضع ثناء كلّ من تأخّر عنه فضلاً ونسكاً وكرامةً.

قال الحرّ العاملي في حقّه: حاله في العلم والفضل والزهد والعبادة والثقة والفقه والجلالة والورع أشهر من أن يذكر، وكان أيضاً شاعراً أديباً منشئاً بليغاً، له مصنّفات كثيرة[1]. وقال عنه المحدّث النوري في خاتمة مستدركه: السيّد الأجلّ الأكمل الأسعد الأورع الأزهد، صاحب الكرامات الباهرة ... الذي ما اتّفقت كلمة الأصحاب على اختلاف مشاربهم وطريقتهم على صدور الكرامات عن أحدٍ ممّن تقدّمه أو تأخّر عنه

١. أمل الآمل ٢: ٢٠٥.

غيره ...[١]. وأمّا المحدّث القمّي فذكر ما نصّه: السيّد رضي الدين أبو القاسم الأجلّ الأورع الأزهد الأسعد، قدوة العارفين ومصباح المتهجّدين، صاحب الكرامات الباهرة والمناقب الفاخرة، طاووس آل طاووس السيّد ابن طاووس، قدّس الله سرّه ورفع في الملأ الأعلى ذكره[٢].

ثمّ إنّ الجدير بالذكر هنا الإشارة إلى أسفاره ورسائله في الأخلاق والسير والسلوك دون غيرها، وإن كانت أيضاً مآثر حقّةً وكتباً قيّمةً. فمنها: أسرار الصلاة وأنوار الدعوات، ومنها: ربيع الألباب في آثار الأخيار وفوائد الأتقياء وحكايات في معاني مهمّات ومرادات، ومنها: محاسبة النفس. ولا أثر للسفرين الأوّلين منها، بخلاف الثالث الذي هو بين يدينا الآن، مع أنّه طبع ونشر غير مرّةٍ بلا تحقيقٍ وتعميقٍ، كما سيتّضح.

وليلاحظ: أنّ السمة المميّزة لتصانيف سيّدنا ابن طاووس هي الاعتناء بالدعاء والزيارة والمراقبة والمحاسبة والرعاية، ولذا كان شيخ مشائخنا الميرزا جواد الملكي التبريزي يطلق عليه لقب قدوة أهل العلم والعمل وأُسوة أهل المراقبة في غير موضعٍ من آثاره الثمينة، فراجع.

القيمة العلميّة لرسالة المحاسبة

يعدّ السيّد ابن طاووس أوّل من صنّف من الإماميّة في محاسبة النفس، وكان غرضه من تحرير الرسالة ما أشار إليه في صدرها من قوله: لمّا رأيت الآيات والروايات شاهدةً بما يقتضي محاسبة الإنسان لنفسه واستظهاره لتفريطه في يومه وأمسه ... فاقتصرت على تصنيف كتابٍ لطيفٍ لتعريف المحاسبة للملائكة الحفظة الكرام وتطهير الصحائف من الآثام ـ انتهى موضع الحاجة.

ولا بأس هنا بالتعرّض إلى من صنّف كتباً ورسائل مستقلّةً في مضمار محاسبة النفس من الخاصّة والعامّة كما يلي:

١. محاسبة النفس لابن أبي الدنيا (ت ٢٨١).

---

١. خاتمة المستدرك ٣: ٤٦٧.

٢. الكنى والألقاب ١: ٣٢٧.

٢. روح القدس في محاسبة النفس لمحي الدين بن عربي (ت ٦٣٨).
٣. محاسبة النفس للسيّد ابن طاووس (ت ٦٦٤).
٤. محاسبة النفس اللوّامة وتنبيه الروح النوّامة للشيخ الكفعمي (ت ٩٠٥).
٥. محاسبة النفس في السير والسلوك والأخلاق للسيّد علي المرعشي (ت ١٠٨٠).
٦. محاسبة النفس في إصلاح عمل اليوم والاعتذار من الأمس للحاج الميرزا علي الشهرستاني الحائري (ت ١٣٤٤).
٧. محاسبة النفس للشيخ إبراهيم بن محسن الكاشاني (ت ١٣٤٥).

ولقد أحسن وأجاد فيما أورد وأفاد سيّدنا العلاّمة الطباطبائي قُدِّسَ سِرُّه في تقريظه الرسالة المطبوعة مع رسالتي محاسبة النفس للشيخ الكفعمي وكشف الريبة عن أحكام الغيبة للشهيد الثاني وبيان قيمتها العلميّة إذ يقول:

يُثنى على الكتاب و يُعتنى بشأنه: إمّا لجلالة قدر مؤلّفه وفخامة أمره ونبوغه في فنّه، وإمّا لأهمّيّة موضوعه وغزارة بحثه وتعمّقه فيما حواه من البحث وتضمّنه من بليغ البيان وساطع البرهان ودقائق مسائل جديدةٍ لم يجد بها سوابق الأذهان. وهذه الكتب الثلاثة ... كتبٌ قيّمةٌ يكلّ لسان القلم عن الجريان في الثناء على مؤلّفيها ... كتب قيّمة لا يرتاب ذو بصيرةٍ في أهمّيّة موضوعها وغزارة أبحاثها ... .[1]

خلاصة مطالب الرسالة

شرع المصنّف في مقدّمة رسالته ببيان الغرض من تحريرها، فذكر أنّ الآيات والروايات تشهد بلزوم محاسبة الإنسان نفسه، وضرورة الاحتياط لتلافي التفريط في يومه وأمسه، فعزم على تصنيف رسالةٍ وجيزةٍ هدفها تعريف المحاسبة للحفظة الكرام وتطهير الصحائف من الآثام.

وتناول الباب الأوّل الآيات الكريمة الدالّة على لزوم التحفّظ من الأجرام والاهتمام بمحاسبة الكرام، إلاّ أنّ المصنّف اقتصر فيه على ثلاث آيات، فناسب منّا الإشارة إلى سائر الآيات الحاثّة على المحاسبة والرعاية في قسم التعاليق، فتفطّن. كما أنّ الباب الثاني

---

١. محاسبة النفس (ط. طهران) : ٣ـ ٥.

تضمّن أحاديث وروايات تحضّ على المحاسبة في الليل والنهار، اقتطفها المؤلّف من مجامعنا الحديثيّة المعتبرة دون أن يعلّق عليها؛ لوضوحها ووفائها بالمطلوب. أمّا الباب الثالث فنبّه على أهمّيّة الاستظهار في أيّامٍ خاصّةٍ: كالاثنين والخميس وبيان دورهما في محاسبة الإنسان نفسه ولزوم رعايتها، ثمّ أشار إلى بعض ما يستحبّ فعله فيهما؛ رجاء رفع العمل أو عرضه على أهله بعد القيام به. واهتمّ الباب الرابع ببيان الأوقات والجهات التي يلزم تعظيمها؛ امتثالاً لأوامر رسول الله صلى الله عليه وآله، ما يقتضي زيادة التحفّظ عن السيّئات. واحتوى الباب الخامس على فصولٍ متعدّدةٍ تضمّنت فضل المحاسبة أواخر النهار، ووقت ارتفاع الملكين بالأعمال ومكانهما من الإنسان، ودعواتٍ و أذكاراً تخصّ أوقات المحاسبات؛ للسلامة من العتاب في يوم الحساب.

مصادر الرسالة

استلهم السيّد ابن طاووس مضامين رسالته الشريفة من كتاب الله الناطق أوّلاً وسنّة خير الورى صلى الله عليه وآله ثانياً وأحاديث عترته الطاهرة عليهم السلام ثالثاً، فكان حادّ البصر مكشوف الغطاء في الرجوع إلى المصادر الأصليّة: كبعض الأُصول الأربعمائة والكافي وأمالي الشيخ المفيد ومزاره وعلل الشرائع وفضل الدعاء والتبيان في تفسير القرآن ومجمع البيان من طرقنا وصحيح مسلم من طرق العامّة وغيرها.

منهج التحقيق

حفلت النسخة المطبوعة من رسالة محاسبة النفس مع ضميمتيها في طهران بأخطاء عديدةٍ وتصحيفٍ ظاهرٍ، ما دفع إلى البحث عن نسخٍ خطّيّةٍ لها، إلاّ أنّه لم يتمّ العثور إلاّ على نسختين مصحّحتين هما:

الأُولى: النسخة المحفوظة في مركز إحياء التراث الإسلامي في قم، ضمن مجموعةٍ برقم (٢٠٠٧/٥) وعدد صفحاتها (١٣)، وتحتوي كلٌّ منها على (٢١) سطراً. وقد كتب في آخر هذه النسخة ما يلي: عورض بنسخةٍ قوبلت بخطّ بعض السادة الأجلاّء، فصحّ في سابع جمادى الثانية من شهور سنة ثمانٍ وخمسين وتسعمائة،

وصلّى الله على محمّدٍ وآله الطاهرين وسلّم كثيراً. ومن فضل الله جلّ جلاله أنّ النسخة المذكورة كانت نسخةً كاملةً مصحّحةً منقّحةً ثمينةً متّسمةً بالدقّة. وقد أُشير لها بالرمز(م).

الثانية: النسخة المحفوظة في مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي في قم، ضمن مجموعةٍ برقم (٤٤٣،٣) وتقع في (١٦) صفحةً، في كلٍّ منها (١٩) سطراً. وقد حرّرت هذه النسخة يوم الأربعاء عام (٩٦٤هـ)، وهي نسخةٌ كاملةٌ مصحّحةٌ منقّحةٌ. وقد أُشير إليها بالرمز (ش).

ولا بدّ هنا من الإشارة إلى منهجنا في تحقيق الرسالة كما يلي:

أوّلاً: الغرض من التحقيق ـ كما قيل ـ إيجاد وسيلةٍ تقترب من روح النصّ وترتفع إلى حدّ المطابقة مع الأصل، دون الإخلال بالأمانة العلميّة التي يفرضها الجهاز النقدي، ولذا انصبّ جهدنا على اختيار قراءةٍ تعكس نحواً من القرابة مع النسخة الأُمّ، فكانت النسختان الخطّيّتان هما الأصل في التصحيح، ولم يتمّ الإفادة من النسخة المطبوعة المشار إليها بالرمز (ط) إلاّ في موارد نادرة؛ لوضوح الخلل في الأصل، مع التعرّض لمواضع الاختلاف بينها أيضاً.

ثانياً: تخريج الآيات والروايات والأقوال طرّاً في قسم التعاليق؛ بهدف بيان ما لعلّه يحتاج إلى البيان منها وبسط ما كان المصنّف قد أجمله في تحرير الرسالة.

ثالثاً: تقويم النصّ وتصحيحه ومراجعته طبق المعايير المعهودة في التهذيب والتحقيق.

رابعاً: وضع العناوين الفرعيّة اللازمة التي سها قلم المؤلّف عن الإشارة إليها.

خامساً: ذكر بعض الآراء والأقوال لأعاظم العلماء في الموضع المناسب لها.

سادساً: تقطيع النصّ وتنظيم فقراته بحسب اقتضاء الجمل والعبارات.

سابعاً: تحرير تعليقةٍ في آخر الرسالة غرضها تفصيل أُمّهات المباحث التي ذكرها المصنّف وتوضيح الألفاظ الغامضة، مع التعرّض لأُمورٍ لم تتح الفرصة له لبسطها وشرحها.

وليعلم: أنّنا بعد إتمام التحقيق عثرنا على نسخةٍ مطبوعةٍ محقّقةٍ من رسالة محاسبة النفس نشرت عام ١٤١٩، إلاّ أنّها اشتملت على غير واحدٍ من الأخطاء والهفوات في التحرير والتحقيق، مع أنّها استندت إلى ثلاث نسخ خطّيّةٍ ـ بالإضافة إلى النسخة المطبوعة ـ تاريخ كتابتها متأخّرٌ عن النسخ المتوفّرة لدينا، فللّه المنّة وحده.

والحمد لله أوّلاً وآخراً وظاهراً وباطناً والصلاة والسلام على خير خلقه سيّدنا محمّدٍ وآله الطيّبين الطاهرين.

حرّرها أقلّ الأقلّين وأذلّ الأذلّين

سلام التميمي

مكتبة السيّد مفتي الشيعة العامّة

قم المقدّسة

رسالة محاسبة الملائكة الحفظة الكرام وتطهير الصحائف من الآثام

تصنيف

للسيّد علي بن موسى بن جعفر بن طاووس

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتي[1]

[تمهيد]

يقول علي بن موسى بن جعفر بن محمّد الطاووس[2] العلوي الفاطمي قدّس الله روحه ونوّر ضريحه: أحمد الله(1) ـ جلّ جلاله ـ الذي ابتدأني بالجود[3] والوعود، وربّاني في ظهور[4] الآباء والجدود وبطون الأُمّهات والجدّات، وألهمني التشريف بمعرفته، وارتضاني لعبادته، ودلّني على طرق[5] السلامة من[6] الندامة والاستظهار ليوم القيامة(2) والظفر بالكرامة في دار المقامة[7]، وعرّفني: أنّ معي ملائكة حافظين(3)، وأمرني بالمحاسبة(4) والاحتياط ليوم الدين. وأشهد أن لا إله إلاّ هو[8] شهادةً صدرت عمّا شرّفني به من اليقين، وعرّفني من الأسرار عن سلفي الماضين الطاهرين[9].

---

١. ط: وبه نستعين فإنّه خير معين.

٢. ط: بن الطاووس.

٣. ط: بالوجود.

٤. ش: بظهور.

٥. ط: طريق.

٦. ط: عن.

٧. ط: المقام.

٨. ط: الله.

٩. ط: السلف الطاهرين / ش: سلفي الطاهرين.

وأشهد: أنّ جدّي محمّداً سيّد المرسلين وخاتم النبيّين ، شهد له بذلك مرسله[١]و (٥) ـ جلّ جلاله مالك الأوّلين والآخرين ـ بما كمّله[٢] في ذاته وصفاته ومعجزاته وآياته الباهرة(٦) في حياته وبعد وفاته، وكشف على لسانه وقرآنه من دلالاته وهداياته[٣] وأسراره وغاياته. وأشهد: أنّه جعل[٤] لأُمّته حافظين لأسراره، ومهتدين بأنواره(٧)، من أصله ونجاده[٥]و(٨)؛ إتماماً لحجّته، ودلالة على محجّته، وقطعاً للأعذار في مخالفته، يحتجّ[٦] جلّ جلاله به وبهم[٧] يوم حسابه[٨] ومسائلته؛ لأجل[٩] ما علم ـ جلّ جلاله ـ من اختلاف خليقته ومنازعتهم[١٠] في سرّ[١١] شريعته.

وبعد، فإنّي رأيت[١٢] الآيات والروايات شاهدةً(٩) بما يقتضي محاسبة الإنسان لنفسه واستظهاره في تلافي تفريطه[١٣]و(١٠) في يومه وأمسه، و[١٤]صنّفت في جملة[١٥] التصانيف أبواباً بحسب ما دلّني عليه الجواد[١٦] المالك اللطيف، وقد رأيت بالله ـ جلّ جلاله ـ أنّ تلك المصنّفات ربّما لا تحصل عند من[١٧] يحتاج إلى المحاسبات، وأنّ ذرّيتي جعلهم[١٨]

---

١. ط: رسله، ولعلّه من اشتباه النسّاخ.

٢. ط: كمل/ش: كفل.

٣. ط: عن دلالته وهدايته.

٤. ش: وغاياته وإشهاداته وجعل.

٥. ط: ومن أصله ونجاره، وليس بصواب.

٦. سقطت من ط.

٧. ط: ربّهم، ولعلّه من اشتباه النسّاخ.

٨. ط: يوم قيام حسابه.

٩. ط: جعل.

١٠. ش: خليفته ومنازعته.

١١. سقطت من ط.

١٢. ط: لمّا رأيت/ ش: فإنّني رأيت.

١٣. ط: واستظهاره لتفريطه.

١٤. سقطت من ط.

١٥. ط: ذلك.

١٦. ش: جواد.

١٧. ط: عندما.

١٨. ط: قد جعلهم.

الله ـ جلّ جلاله ـ رعيّتي وتلزمني هدايتهم بما تفضّل الله ـ جلّ جلاله ـ[١] من هدايتي، فاقتصرت على تصنيف كتابٍ لطيفٍ لتعريف المحاسبة للملائكة الحفظة الكرام(١١) وتطهير الصحائف(١٢) من الآثام، وجعلته عدّة أبوابٍ، بحسب ما هداني إليه[٢] واهب الألباب وفاتح طرق المحابّ[٣](١٣).

---

١. سقطت من ط.

٢. سقطت من ط.

٣. ط: طريقة الحساب / ش: طرق المجاب. والأرجح ما ورد في الأصل إلاّ مع التكلّف. ثمّ إنّه ورد في النسخة ط ـ بعد المقدّمة المذكورة ـ الزيادة التالية:

الباب الأوّل: فيما نذكره من الآيات التي تقتضي ذكر الاهتمام بالمحاسبة لحفظة الكرام.

الباب الثاني: فيما نذكره من الروايات التي تقتضي المحاسبة في الليل والنهار للسلامة من الأخطار.

الباب الثالث: فيما نذكره من أيّام مسمّيات تحتاج إلى الاستظهار في المحاسبات والمراقبات.

الباب الرابع: في أوقات وجهات معظّمات نذكرها مجملات تقتضي زيادة التحفّظ من السيّئات.

الباب الخامس: فيما نذكره في فضل المحاسبة على سبيل الاختصار ممّا يحتاج إليه المكلّف للاحتياط والاستظهار. وفيه فصولٌ تتضمّن وقت ارتفاع الملكين بالأعمال ومكانهما من الإنسان.

ذكر تفصيل هذه الأبواب بحسب ما نرجوه من الصواب:

الباب الأوّل

فيما نذكره من الآيات التي تقتضي ذكر الاهتمام بمحاسبة الحفظة الكرام[1]

قال الله ـ جلّ جلاله ـ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾(١).

وقال[2] ـ جلّ جلاله ـ في كتابه المجيد: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾(٢).

وقال[3] ـ جلّ جلاله ـ لقوم يعقلون: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(٣).

فوجب الاهتمام بالتحفّظ من الآثام والأجرام، وتطهير الصحائف التي تُعرض على يد[4] الملائكة الكرام(٤).

---

١. ط: بمحاسبة النفس لحفظة الكرام.

٢. ط: وقال الله.

٣. ط: وقال الله.

٤. ط: التي تقتضي الاحتياط على يد.

الباب الثاني

فيما نذكره من الروايات التي تقتضي الاحتياط بالمحاسبة في الليل والنهار للسلامة من الآصار[1] و(1) رويناها في الحديث النبوي المشهور: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسَبوا، وزِنوها[2] قبل أن تُوزَنوا، وتجهّزوا للعرض الأكبر» (2)

فصل: [لزوم محاسبة النفس كلّ يوم]

ورويت من كتاب محمّد بن يعقوب الكليني في كتاب الإيمان والكفر، بإسناده إلى أبي الحسن الماضي صلوات الله عليه، قال[3]: «ليس منّا من لم يحاسب نفسه في كلّ يومٍ: فإن عمل حسناً زاده الله[4]، وإن عمل سيّئاً استغفر الله وتاب إليه» (3).

فصل: [التشديد في محاسبة النفس]

وروى يحيى بن الحسن بن هارون الحسيني في كتاب أماليه، بإسناده إلى الحسن بن علي عليهما السلام[5]، قال: «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله[6]: لا يكون العبد مؤمناً حتّى يحاسب نفسه أشدّ من محاسبة الشريك شريكه والسيّد عبده» (4) وذكر تمام الحديث.

---

١. ط: الأخطار.

٢. ط: وزنوا.

٣. لم ترد الزيادة المذكورة في م و ش، وإنّما اقتضاها السياق، مع أنّها وردت في النسخة ط أيضاً.

٤. ط: ازداد الله شكراً.

٥. سقطت (عليهما السلام) من ط.

٦. سقطت (صلّى الله عليه وآله) من ط.

فصل: [شهادة اليوم على العبد]

وروَيت بإسنادي إلى محمّد بن محبوب[١] من كتابه، بإسناده إلى جعفر بن محمّد الصادق، عن أبيه عليهما السلام، قال: «ما من يوم يأتي على ابن آدم إلاّ قال ذلك اليوم: يا بن آدم، أنا يومٌ جديدٌ، وأنا عليك شهيدٌ، فافعَل فيّ[٢] خيراً واعمل فيّ خيراً أشهد[٣] لك به[٤] يوم القيامة[٥]؛ فإنّك لن تراني بعدها أبداً» (٥).

فصل: [نداء الليل والنهار]

وروَيت[٦] في كتاب مسعدة بن زياد الربعي من اُصول الشيعة، فيما رواه عن جعفر بن محمّد الصادق ، عن أبيه عليهم السلام، قال: «إنّ الليل إذا أقبل نادى منادٍ[٧] بصوت يسمعه الخلائق إلاّ الثقلين[٨] و(٦): يا بن آدم، إنّي خلقٌ جديدٌ، إنّي على ما فيّ شهيدٌ، فخُذ منّي(٧)؛ فإنّي لو طلعت الشمس لم أرجع إلى الدنيا، ثمّ لم تزدد فيّ من[٩] حسنةٍ، ولم تستعتب فيّ من سيّئةٍ(٨). وكذلك يقول النهار إذا أدبر الليل».

فصل: [كتابة الملائكة أعمال العباد]

وروَيت بإسنادي من كتاب «أمالي الشيخ المفيد» قدّس الله روحه[١٠]، بإسناده إلى مولانا علي بن الحسين عليهما السلام، قال: «إنّ الملك الموكّل بالعبد يكتب في

---

١. ش: محمّد بن محمود/ ط: محمّد بن علي بن محبوب، وهو الصحيح، كما أورده المصنّف في فلاح السائل سنداً ومتناً، فراجع الفصل الثاني والعشرين منه.

٢. ط: بي.

٣. ط: أُسهّل.

٤. سقطت من ط.

٥. ط: في يوم القيامة.

٦. ط: ورأيت.

٧. م و ش: نادى بصوتٍ.

٨. م و ش: الخلائق الثقلين، ولا شكّ في وقوع السقط فيهما.

٩. سقطت من ط.

١٠. ط: قدّس سرّه.

صحيفة أعماله[١]، فاملوا أوّلها[٢] وآخرها خيراً يُغفر لكم ما بين ذلك» (٩).

فصل: [فضيلة الاستغفار]

ورويت من كتاب فضل الدعاء لمحمّد بن الحسن الصفّار، بإسناده إلى الصادق صلوات الله عليه[٣]، قال: «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله[٤]: طوبى لمن وجد في صحيفته[٥] يوم القيامة تحت كلّ ذنبٍ: أستغفر الله» (١٠).

فصل: [مقال الليل والنهار]

ورويت[٦] في حديثٍ آخر من كتاب الكليني، بإسناده إلى أبي عبد الله صلوات الله عليه[٧]، قال: «إنّ النهار إذا جاء قال: يا بن آدم، اعمل في يومك هذا خيراً أشهد لك به عند ربّك يوم القيامة؛ فإنّي لم آتك فيما مضى، ولم آتك[٨] فيما بقي. وإذا جاء الليل قال مثل ذلك» (١١).

فصل: [شهادة الحفظة الكرام]

ورويت في[٩] حديث مولانا جعفر بن محمّد الصادق، عن مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليهما[١٠]، قال:«لا تقطعوا نهاركم بكذا وكذا وفعلنا كذا وكذا؛ فإنّ معكم حفظةً يُحصون عليكم وعلينا» (١٢).

---

١. ش: صحيفته أعماله.

٢. ط: فاعملوا بأوّلها/ش: أوّلها خيراً.

٣. سقطت (صلوات الله عليه) من ط.

٤. سقطت (صلّى الله عليه وآله) من ط و ش.

٥. ط: صحيفة عمله.

٦. ط: رأيت.

٧. سقطت (صلوات الله عليه) من ط.

٨ ط: لا آتيك.

٩. سقطت من ط.

١٠. سقطت (علي بن أبي طالب صلوات الله عليهما) من ط.

فصل: [لزوم اليقظة والإحسان]

ورويت[١] في كتاب الكليني، بإسناده إلى أبي النعمان[٢]، عن أبي جعفر صلوات الله عليه[٣]، قال: «يا أبا النعمان، لا يغرّنّك[٤] الناس من نفسك؛ فإنّ الأمر يصل إليك دونهم، ولا تقطع نهارك بكذا وكذا؛ فإنّ معك من يحفظ عليك عملك. وأحسن[٥]؛ فإنّي لم أر[٦] شيئاً أسرع[٧] دركاً ولا أسرع[٨] طلباً من حسنةٍ محدثةٍ لذنبٍ قديمٍ»(١٣).

---

١. ط: رأيت.

٢. ط: ابن أبي النعمان.

٣. سقطت (صلوات الله عليه) من ط.

٤. ط: ولا يغرّنّك.

٥. ط: عملك سيّئاً أو حسناً/ش: فأحسن.

٦. ط: لا أرى.

٧. كذا في م و ش، ثمّ كتب في الحاشية: أحسن، كما هو الموافق لمضامين الرواية في كتب الحديث.

٨. كذا في م و ش، ثمّ كتب في الحاشية: أحسن. وسيأتي مزيد بيانٍ في قسم التعاليق، فراجع.

الباب الثالث

فيما نذكره[1] من أيّام مسمّياتٍ يحتاج إلى استظهار[2] في المحاسبات والمراقبات

[فصل: عرض الأعمال على الله ورسوله وأوليائه]

اعلم: أنّي رأيت ورويت في رواياتٍ متّفقات[3] عن الثقات: أنّ يوم[4] الاثنين ويوم الخميس[5] تُعرض[6] فيه[7] الأعمال على الله ـ جلّ جلاله ـ (١). ورُوي عن أهل البيت عليهم السلام : أنّ في يوم الاثنين والخميس[8] تُعرض الأعمال على الله ـ جلّ جلاله ـ وعلى رسوله صلّى الله عليه وآله وعلى الأئمّة عليهم السلام.

فمن ذلك ما ذكره جدّي أبو جعفر الطوسي في كتاب «التبيان»[9] في تفسير هذه الآية (٢): ﴿وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ (٣)، فقال[10] ما هذا

---

١. ط: أذكره.

٢. ط: الاستظهار / ش: استظهار المحاسبات.

٣. ط: ومتّفقات.

٤. ط: في يوم.

٥. سقطت (ويوم الخميس) من ط.

٦. ش: يُعرض.

٧. سقطت (فيه) من ط.

٨. سقطت (ويوم الخميس) من ط.

٩. ط: البيان.

١٠. ش: وقال.

لفظه: رُوي[١] في الخبر: أنّ الأعمال تُعرض[٢] على النبي صلّى الله عليه وآله في كلّ اثنين وخميس فيعلمها، وكذلك تُعرض على الأئمّة عليهم السلام فيعرفونها، وهم المعنيّون بقوله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ (٤).

ومن ذلك ما رواه الفضل بن الحسين الطبرسي[٣] رضي الله عنه في كتاب «تفسير القرآن» في تفسير هذه الآية، فقال ما هذا لفظه: وروى[٤] أصحابنا: أنّ اعمال الأُمّة تُعرض على النبي صلّى الله عليه وآله[٥] في كلّ اثنين وخميس فيعرفها، وكذلك تُعرض[٦]على الأئمّة عليهم السلام القائمين مقامه، وهم المعنيّون بقوله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾.

ومن ذلك ما رواه أبو العبّاس بن عقدة في كتاب[٧] تفسير القرآن في تفسير[٨]هذه الآية: ﴿وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ ورواه عبد الله بن جعفر الحميري في «كتاب الدلائل»، فقال[٩] كلٌّ منهما، بإسناده إلى يعقوب بن شعيب، قال: سألت أبا عبد الله صلوات الله عليه[١٠] عن قول الله تعالى[١١] : ﴿اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾، قال: «هم الأئمّة عليهم السلام»[١٢] و (٥).

ومن ذلك ما رواه أيضاً[١٣] أبو العبّاس بن عقدة في كتابه المذكور، بإسناده إلى

١. ط: وروي.

٢. ش: يعرض.

٣. ط: أبوالحسن الطوسي.

٤. ط: روى.

٥. سقطت (صلّى الله عليه وآله) من ط.

٦. ش: يُعرض.

٧. سقطت (تفسير) من ط.

٨ سقطت (تفسير) من ط.

٩. ط: بإسناده إلى يعقوب بن شعيب، ورواه أبوعبدالله بن جعفر الحميري في كتاب الدلائل، نقل... الخ/ ش: فقال بإسناده.

١٠. سقطت (صلوات الله عليه) من ط.

١١. ط: عزّ وجلّ.

١٢. سقطت (عليهم السلام) من ط.

١٣. ط: ومن ذلك أيضاً ما رواه.

بريد[١] بن معاوية العجلي، قال: سألت أبا عبد الله صلوات الله عليه[٢] عن قول الله تعالى: ﴿اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ فقال[٣] عليه السلام:«إيّانا عنى»(٦).

أقول: وروى هذين الحديثين أيضاً محمّد بن العبّاس بن مروان في كتابه الذي صنّفه فيما نزل من القرآن في النبي وآله[٤] عليهم السلام[٥] و(٧).

ومن ذلك ما رواه محمّد بن العبّاس[٦] بن مروان المذكور، بإسناده من طريق الجمهور ـ ليكون أبلغ في الحجّة[٧]؛ للاتّفاق عليه ـ إلى[٨] أبي سعيد الخدري: أنّ عمّاراً قال لرسول الله صلّى الله عليه وآله: وددت أنّك عمّرت فينا عمر نوح عليه السلام (٨). فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله[٩]: «يا عمّار، حياتي خيرٌ لكم، ووفاتي ليس[١٠] بشرٍ لكم. أمّا في حياتي فتحدثون وأستغفر الله لكم، وأمّا بعد وفاتي فاتّقوا الله وأحسنوا الصلاة علي وعلى أهل بيتي؛ فإنّكم تعرضون علي بأسمائكم[١١] وأسماء آبائكم وأنسابكم[١٢] وقبائلكم: فإن[١٣] يكن خيراً حمدت الله، وإن يكن سوى ذلك[١٤] استغفرت[١٥] الله لذنوبكم». فقال المنافقون والشُكّاك والذين في قلوبهم مرضٌ: يزعم: أنّ الأعمال تعرض عليه بعد وفاته بأسماء الرجال وأسماء آبائهم ورجالهم[١٦] إلى

---

١. من ط و ش: يزيد، وهو غلطٌ.
٢. ط: عليه السلام.
٣. ط: قال.
٤. ط: الأئمّة.
٥. في ش زيادة: مثله.
٦. ط: النعمان.
٧. في ش: أبلغ الحجّة.
٨ ط: على.
٩. سقطت (رسول الله) من ط.
١٠. ط: ليست.
١١. ط: بأسماء.
١٢. سقطت (وأنسابكم) من ط.
١٣. ط: وإن.
١٤. ط: سوءاً.
١٥. من ط و ش: أستغفر.
١٦. ط: وأنسابهم.

قبائلهم[١]، إنّ هذا لهو الإفك. فأنزل الله ـ جلّ وعزّ[٢] ـ: ﴿وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾. فقيل له: ومن المؤمنون؟ فقال: «عامّة وخاصّة: أمّا الذين قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ فهم آل محمّدٍ[٣]، والأئمّة منهم عليهم السلام. ثمّ قال: ﴿وَسَتُرَدُّونَ إلى عالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من طاعةٍ و[٤]معصيةٍ».

يقول علي بن موسى بن جعفر بن محمّد بن محمّد[٥] الطاووس[٦] قدّس الله روحه ونوّر ضريحه[٧]: وروى محمّد بن العبّاس بن مروان أخبار جماعةٍ في ذلك.

ومن ذلك[٨] ما رويته أيضاً من طريق الجمهور من[٩] «صحيح مسلم» (٩) من النصف الثاني منه[١٠]، في عدّة أحاديث يتضمّن تفضيل[١١] يوم الاثنين ويوم الجمعة[١٢] و (١٠).

وقال في بعضها: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «تُعرض أحوال أُمّتي[١٣] في كلّ جمعةٍ مرّتين (١١): يوم الاثنين ويوم الخميس، فيُغفر لكلّ عبدٍ مؤمنٍ إلاّ عبداً[١٤] بينه وبين أخيه شحناء (١٢)، فيقول: اتركوا أو[١٥] ارجئوا[١٦] هذين الاثنين حتّى يفيئا[١٧]».

---

١. ش: وقبائلهم.
٢. ط و ش: جلّ جلاله.
٣. ط: محمّد صلّى الله عليه وآله.
٤. ط: أو.
٥. سقطت (بن محمّد) من ط.
٦. ط: طاووس.
٧. سقطت (قدّس الله روحه ونوّر ضريحه) من ط.
٨ ط: ومن ذلك أيضاً.
٩. ط: ومن.
١٠. ط: في المطلب الثاني منه من النصف الثاني منه.
١١. ط: تفصيل.
١٢. ط: والخميس.
١٣. كذا ورد في م و ش، ثمّ كتب في الحاشية: أعمال الناس، وفي ط: أعمال أُمّتي.
١٤. ط: عبد، وهو غلطٌ.
١٥. ط: و.
١٦. ط: ارجعوا.
١٧. ط: يفيّئا.

ومن ذلك ما ذكره محمّد بن عمران المرزباني في الجزء[١] السابع من «كتاب الأزمنة» ـ عند ذكره ليوم[٢] الاثنين والخميس (١٣) ـ بإسناده قال: كان رسول الله صلّى الله عليه وآله[٣] يصوم الاثنين[٤] والخميس، فقيل له في ذلك[٥]، فقال[٦]: «إنّ الأعمال تُرفع في يوم الاثنين والخميس[٧]، فأحبُّ[٨] أن يُرفع فيهما عملي وأنا صائمٌ» (١٤).

ومن ذلك بإسناده[٩] عن أبي] أيّوب قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «ما من يوم اثنين ولا خميس إلاّ ترفع فيهما الأعمال (١٥) إلاّ عمل المقادير (١٦)». وروى[١٠] حديثين آخرين في عرض[١١] الأعمال يوم الاثنين و الخميس[١٢] و (١٧).

وذلك كلّه يدلّ على تحقيق[١٣] ما رويناه وذكرناه، فينبغي أن يكون الإنسان في هذين اليومين[١٤] ـ يوم الاثنين ويوم الخميس[١٥] ـ متحفّظاً بكلّ طريقٍ في طلب التوفيق. وإيّاه أن يكون في هذين اليومين مهملاً للاستظهار في الطاعة، بل يكون مجتهداً في السلامة من الإضاعة[١٦] بغاية الإمكان؛ فإنّ العقل والنقل يقضيان[١٧]: أنّ وقت[١٨] عرض أعمال[١٩] العبد

---

١. ف ش: الخبر.
٢. ط: يوم.
٣. سقطت (صلّى الله عليه وآله) من ط.
٤. ط: يوم الاثنين.
٥. ط: ولم ذلك؟
٦. ط: قال صلّى الله عليه وآله.
٧. ط: كلّ اثنين وخميس.
٨. ط: وأحبُّ.
٩. ط: بإسناده أيضاً.
١٠. ط: وروى أيضاً.
١١. سقطت (عرض) من ط.
١٢. م: الخميس والاثنين.
١٣. ط: تحقّق.
١٤. سقطت (هذين اليومين) من ط.
١٥. ط: والخميس.
١٦. سقطت (بل يكون مجتهداً في السلامة من الإضاعة) من ط.
١٧. ط: يقتضيان.
١٨. ط: زمان.
١٩. سقطت (أعمال) من ط.

على السلطان يكون مستعدّاً ومتحفّظاً[١]، بخلاف غيره من الأزمان.

فصل: [مناجاة الاثنين والخميس في التضرّع والاستكانة]

وإن أراد أن يقول أوّل[٢] نهار الاثنين وأوّل نهار الخميس:

اللّهمّ إنّ هذا يومٌ وجدنا الأخبار النبويّة والآثار المحمّديّة[٣] متضمّنةً[٤] و(١٨): أنّ الأعمال تُعرض فيه عليك وعلى من يعزُّ[٥] عليك، ونحن نسألك ونتوسّل إليك بكلّ وسيلةٍ لها قبولٌ لديك (١٩) أن توفّقنا فيه لما تريد منّا ولما ترضى به[٦] عنّا، وتجعل حركاتنا وسكناتنا صادرةً عن إلهامك لنا ما فيه زيادات[٧] السعادات بالعبادات، ويصوننا[٨] عن مواقف[٩] الندامات[١٠] والجنايات[١١]، وأن تتقدّم إلى[١٢] الملكين الحافظين ألاّ[١٣] يكتبا علينا فيه إلاّ ما يقرّبنا إليك، ويزيدنا إقبالاً منك علينا وإقبالاً منّا عليك، وأن تتجاوز عن كلّ ما[١٤] يقتضي معاتبةً[١٥] أو مجانبةً (٢٠) أو معاقبةً[١٦] أو خجالةً[١٧] أو نقصاناً أو امتحاناً، وأن

---

١. ط: مستحفظاً.
٢. ط: في أوّل.
٣. ط: الأحمديّة.
٤. ط: تضمّنت.
٥. ط: يقرأ.
٦. سقطت (به) من ط.
٧. ط: زيادة.
٨ ط: وتصوننا.
٩. ط: موافق.
١٠. ط: الغرامات.
١١. ط: والخيانات.
١٢. ط: من.
١٣. ط: أن لا.
١٤. ط: عمّا.
١٥. ط: معاتبةً منّا.
١٦. ط: مغابنةً.
١٧. ط: إخجالاً.

تهبنا[١] ما بيننا وبينك، وتستوهب لنا ما بيننا وبين من سواك[٢]، وتعفو عن ما[٣] قصّرنا فيه من الاستدراك، ولا تفضحنا بين الروحانيّين من الملائكة وأرواح النبيّين[٤] وعند سيّدنا محمّدٍ[٥] خاتم النبيّين[٦]، وأن تدخلنا في حماه وحما عترته الطاهرين، وحما الرحمة التي تفضّلت علينا[٧] بالإنساء والنعماء[٨]، مع[٩] العلم بما يصدر عنّا من[١٠] سوء الآراء وغلط الأهواء، ولا تخجل رسولك محمّداً العزيز عليك وعترته المعظّمين لديك؛ إنّ عترتهم ورعيّتهم لا تضيق عليهم[١١] سعة رحمتك، واستمرّوا بمخالفتك[١٢] ومخالفة خاصّتك[١٣]، برحمتك يا أرحم الراحمين (٢١).

فصل: فيما رويناه في فضل الصلاة على محمّد صلّى الله عليه وآله[١٤] بعد العصر من يوم الخميس (٢٢)

رويناه ذلك[١٥] عن محمّد[١٦] بن الحسن بن محمّد العطّار، بإسناده إلى مولانا[١٧]

---

١. ط: أو تهبنا.
٢. سقطت (وتستوهب لنا ما بيننا وبين من سواك) من ط.
٣. ط: عمّا.
٤. ط: المؤمنين.
٥. سقطت (محمّد) من ط.
٦. في ط زيادة: والمرسلين.
٧. ط: بها علينا.
٨. ط: والبقاء.
٩. ط: على.
١٠. ط: عن.
١١. م و ش: ضاقت عنهم، وليس بصوابٍ.
١٢. ط: وأن تستر على مخالفتك.
١٣. ط: وعدم طاعتك.
١٤. سقطت (الصلاة على محمّدٍ صلّى الله علية وآله) من ش.
١٥. في ط زيادة: في كتاب التذييل لمحمّد بن النجّار وذكرناه في الجزء الثاني من كتاب التحصيل في ترجمة... الخ.
١٦. ش: أحمد.
١٧. سقطت (مولانا) من ط.

جعفر بن محمّد الصادق[١] عليه[٢] السلام، قال:«إذا كان يوم الخميس عند العصر أهبط الله عزّ وجلّ ملائكةً (٢٣) من السماء إلى الأرض ـ معها صفائح[٣] من فضّةٍ، بأيديهم أقلامٌ من ذهبٍ ـ تكتب الصلاة على محمّدٍ صلّى الله عليه وآله وسلّم[٤] إلى ما بعد[٥] غروب الشمس».

فصل: فيما يستحبّ فعله أواخر نهار كلّ خميسٍ[٦] أيضاً[٧]

روي أنّه يستحبّ أن يستغفر الله[٨] بهذا الاستغفار آخر كلّ خميسٍ يقول(٢٤): «أستغفر الله الذي لا إله إلاّ هو الحيّ القيوم، وأتوب إليه توبة عبدٍ ذليلٍ[٩] خاضع مسكينٍ[١٠]، لا يستطيع لنفسه صرفاً ولا عدلاً (٢٥) ولا نفعاً ولا ضرّاً ولا حياةً ولا نشوراً ولا موتاً[١١]، وصلّى الله على محمّدٍ وعترته الطيّبين الطاهرين الأخيار[١٢] الأبرار، وسلّم تسليماً»[١٣].

ويستحبّ أن يدعو أواخر كلّ نهار خميسٍ[١٤] فيقول:

---

١. سقطت (الصادق) من ط.
٢. ط: عليهما.
٣. ط: صحائف.
٤. سقطت (وسلّم) من ط.
٥. ط: عند.
٦. ط: نهار الخميس.
٧. في ط زيادة: ذكرنا ذلك في كتاب جمال الأُسبوع بكمال العمل المشروع، ونذكره في هذا المكان؛ لئلاّ يحتاج من يعمل به إلى ذلك الكتاب، أو يتعذّر عليه سبيل الإمكان. فيقول:
٨ سقطت (الله) من ط.
٩. سقطت (ذليل) من ط، وفيها أيضاً زيادة: خاشع.
١٠. ط: مستكين مستجير.
١١. ط و ش: ولا موتاً ولا نشوراً.
١٢. سقطت (الأخيار) من ط، وفي ش: الأبرار الأخيار.
١٣. في ط زيادة: كثيراً.
١٤. ط: نهار الخميس.

«اللّهمّ خالق[1] قبور النبيّين (٢٦)، وموضع قبور قلوب العالمين[2]، وديّان حقائق يوم الدين، والمالك[3] لحكم الأوّلين والآخرين والمسبّحين لربّ العالمين[4]، العالم بكلّ تكوين، أسألك[5] بعزّتك في الأرض والسماء، وحجابك المنيع على أهل الطغيان، يا خالق روحي، ومقدّر قوتي، والعالم بسرّي[6] وجهري، لك سجودي وعبوديّتي[7]، ولعدوّك عنودي (٢٧)، يا معبودي. أشهد أنّك أنت الله الذي لا إله إلاّ أنت[8]، وحدك لا شريك لك، عليك توكّلت وإليك أنيب ، وأنت حسبي[9] ونعم الوكيل».

فصل: دعاء الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله آخر يوم الخميس

وأيضاً مروي بطريق أهل البيت عليهم السلام أنّ النبيّ صلّى الله عليه و آله دعا في آخر يوم الخميس بهذا الدعاء:

«لا إله إلاّ الله أشرقت وأنارت وحول العرش استدارت، لا إله إلاّ الله السموات قرطاسها، لا إله إلاّ الله النجوم أقلامها، لا إله إلاّ الله البحار مدادها، لا إله إلاّ الله الملائكة كتّابها، لا إله إلاّ الله ما خاب عبدٌ قالها، لا إله إلاّ الله محمّدٌ صلّى الله عليه وآله وسلّم قالها. يا نور يا نور، يا نور النور ومدّبر الأُمور، يا حكمٌ يا عدلٌ لا يجور، أسكنّي جنّتك البيضاء التي نورها نور وجهك، وظلّها ظلّ عرشك، وسكّانها ملائكتك، وحشوها رحمتك، يا أرحم الراحمين. وصلّى الله على محمّدٍ وآله أجمعين».[10]

---

١. من ط زيادة: يا.
٢. ط: وموضع قبور قلوب العارفين/ش: مودع قبور قلوب العالمين.
٣. م: المالك.
٤. سقطت (لربّ العالمين) من ط/ش: المسخّر العالم ... .
٥. ط: أشهد.
٦. ش: سريرتي.
٧. ط: وعبودي.
٨ ش: أنت الله لا إله إلّا أنت.
٩. ط: حسبي الله.
١٠. لم يرد هذا الفصل بتمامه في في م و (ط).

فصل: في أنّ آخر كلّ خميسٍ من كلّ[١] شهرٍ تَرفع[٢] أعمال الشهر فيه

فمن ذلك من كتاب «العلل» تأليف أبي جعفر بن بابويه[٣] رضوان الله عليهما[٤]، بإسناده إلى عنبسة[٥] بن بِجاد[٦] العابد، قال سمعت أبا عبد الله صلوات الله عليه[٧] يقول: «آخر خميسٍ[٨] في الشهر[٩] تُرفع فيه الأعمال»[١٠] و (٢٨).

فصل: رفع الأعمال في الخميس الأخير من الشهر

ورويت بإسنادي من «كتاب العلل» للقزويني، بإسناده إلى عبد الصمد بن عبد الملك[١١]، قال: سمعت أبا عبد الله صلوات الله عليه[١٢] يقول: «آخر[١٣] خميسٍ في الشهر تُرفع فيه أعمال الشهر» (٢٩). وروي في ذلك أخبارٌ متظاهرةٌ[١٤] و (٣٠).

أقول أنا: فأيّ عذرٍ للإنسان المعدود من أهل الإيمان في إهماله للاستظهار لأجل عرض أعماله قبل يوم حسابه وسؤاله[١٥] ؟!

---

١. سقطت (كلّ) من ط.

٢. في ط و ش: يرفع.

٣. في ط زيادة: محمّد.

٤. ط: عليه.

٥. ط: عتبة.

٦. ط: نجّار.

٧. سقطت (صلوات الله عليه) من ط.

٨ ط: كلّ خميس.

٩. ش: كلّ الشهر.

١٠. كتب في الحاشية هنا: أعمال الشهر.

١١. ش و م: عبد الله الصمد عبد الملك، ولعلّه من اشتباه النسّاخ.

١٢. سقطت (صلوات الله عليه) من ط.

١٣. في ط زيادة: كلّ.

١٤. سقطت (وروي في ذلك أخبارٌ متظاهرةٌ) من ط.

١٥. في ط زيادة: الأعمال. فصل: ورويت بإسنادي إلى جدّي أبي جعفر الطوسي قدّس الله روحه، بإسناده إلى عتبة بن نجّار العابد أيضاً، قال: سمعت أبا عبد الله يقول: «آخر خميس في الشهر ترفع فيه أعمال الشهر». أقول أنا: فأيّ عذرٍ للإنسان معدود من أهل الإيمان في إهمال الاستظهار لأجل عرض أعماله قبل حسابه وسؤاله؟! ولا شكّ في وقوع السهو هنا؛ لوضوح تكرار ما تقدّم.

الباب الرابع

في أوقاتٍ وجهاتٍ معظّمات نذكرها مجملاتٍ تقتضي زيادة التحفّظ من السيّئات

اعلم: أنّ الأوقات المعظّمات ورد بعض تعظيمها في الآيات[1] وبعضها[2] في الروايات مثل: شهر رمضان (١)، والأشهر الحرم (٢)، والأيّام المعلومات، والأيّام المعدودات (٣)، وغيرها من الأوقات المحرّمات (٤). وأمّا الجهات المكرّمات مثل: المسجد الحرام والكعبة ومسجد النبي صلوات الله عليه[3] وبيت المقدس (٥) والمشاهد المشرّفة[4] والمساجد المباركات (٦) وكلّ موضعٍ أتى بتعظيمه قرآنٌ أو رواياتٌ فإنّه ينبغي تعظيمه بحسب الأوامر الشرعيّات، وأن يكوِن الإنسان متحفّظاً فيها من السيّئات، بخلاف ما لا[5] يجري مجراها من الأوقات والجهات؛ تعظيماً لما أمر الله جلّ جلاله[6] بتعظيمه، وامتثالاً لأوامر رسول الله[7] صلوات الله عليه وآله في تكريمه.

---

١. سقطت (في الآيات) من ط.

٢. ط: وبعض آخر.

٣. سقطت (صلوات الله عليه) من ط.

٤. ش: الشريف.

٥. سقطت (لا) من ط.

٦. ط: عزّ وجلّ جلاله.

٧. ط: رسوله.

الباب الخامس

فيما نذكره في لفظ[١] المحاسبة على سبيل الاختصار ممّا يحتاج إليه المكلّف للاحتياط والاستظهار وفيه[٢] عدّة فصولٍ

فصل: في المحاسبة أواخر كلّ نهارٍ[٣]

رويت من كتاب الكليني بإسناده، عن شهاب بن عبد ربّه، قال: سمعت أبا عبد الله صلوات الله عليه[٤] يقول: «إذا تغيّرت الشمس فاذكر[٥] الله عزّ وجلّ، وإن كنت مع قومٍ يشغلونك فقم وادع» (١).

أقول أنا: فإذا أراد[٦] ذلك فيقول:

سلام الله جلّ جلاله وسلام خاصّته وسلامي عليكما، أيّها الملكان الحافظان، أستودعكما الله جلّ جلاله وأسألكما بالله جلّ جلاله[٧] أن تستوهبا ما بيني وبين الله جلّ جلاله وما بيني وبين عباده، وتستودعاني له جلّ جلاله، وتكتبا ما أقول[٨]: يا أرحم

---

١. ط: في فصل/ ش: من لفظ.

٢. م و ش: فيه.

٣. ط: أواخر النهار.

٤. سقطت (صلوات الله عليه) من ط/ ش: عليه السلام.

٥. ط: فاذكروا.

٦. ط: أُريد.

٧. سقطت (أسألكما بالله جلّ جلاله) من ط.

٨. لم ترد عبارة: (وتستودعاني له جلّ جلاله وتكتبا ما أقول) في النسخة ط، بل كتب بدلاً عنها: ما كتبتما. ويقول... الخ.

الراحمين (٢) (يكرّرها سبع مرّاتٍ).

فإذا أكملها قال:

يا أرحم الراحمين[١] ـ حتّى ينقطع النفس ـ: أنا عبدك الذي خلقته من التراب والطين والماء المهين (٣)، وقد سمعتُ في كتابك الكريم: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (٤) وبلغني عن رسول الله صلّى الله عليه وآله[٢] أنّه قال: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا» (٥) وبلغني عن أهل بيت رسول الله عليهم السلام أنّهم قالوا[٣]: «ليس منّا من لم يحاسب نفسه» (٦) و«لا يكون العبد مؤمناً حتّى يحاسب نفسه»[٤] و (٧) وقد حضرتُ بين يديك وما معي عملٌ أرمي[٥] أن أعرضه[٦] عليك؛ لأنّ صالح[٧] عملي يُخجلني قصيره، وفاسد عملي يفضحني يسيره، وقد قُدتُ نفسي (٨) إلى مجلس القود[٨] والاستسلام، وأنا أتوب إليك من الذنوب والآثام. فإن قبلت توبتي ورضيت عنّي، وإلاّ فأسألك أن تعفو عنّي؛ فقد يعفو المولى عن عبده وهو غير راضٍ عنه (٩)، وقد جعلت يا الله[٩] الاستغفار طريقاً إلى قبول التوبة (١٠) وغفران الآصار[١٠].

فها أنا أقول: أستغفرك وأسألك التوبة[١١] (يكرّر[١٢] ذلك مائة مرّة).

---

١. سقطت (يكرّرها سبع مرّات، فإذا أكملها قال: يا أرحم الراحمين) من ط.

٢. كذا ورد في م، ثمّ كتب في حاشيتها: رسولك صلواتك عليه وآله، وأمّا النسخة ط ففيها: رسولك وآله عليهم السلام.

٣. سقطت (أنّه قال : حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسَبوا، وبلغني عن أهل بيت رسول الله عليهم السلام) من ط.

٤. سقطت (ولا يكون العبد مؤمناً حتّى يحاسب نفسه) من ط.

٥. ط و ش: أرضى.

٦. ط: أعرض.

٧. ط: قبائح.

٨ في ط زيادة: والعود.

٩. سقطت (يا الله) من ط.

١٠. ط: الآثام.

١١. م: للتوبة.

١٢. ط: ويكرّر.

ثمّ يقول:

وقد أمرت يا سيّدي بالعفو وعفوت، ودللت عبادك على العفو (١١)، ومدحت الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس (١٢)، وبذلت الثواب على العفو، وجعلت العفو من صفات الكمال، وعاتبت عباداً لك[١] على ترك العفو عن[٢] سوء الأعمال (١٣)، وأنت أحقُّ من[٣] إذا أمر عمل وإذا قال فعل. فها أنا أسألك العفوَ العفوَ (ويكرّر ذلك مائة مرّةٍ).

فهذا[٤] من أقلّ مراتب المحاسبات والتوصّل[٥] في محو السيّئات. فما الذي يمنع العبد الضعيف منه؟ وما عذره في الإعراض عنه[٦] وهو يعلم: أنّه إن لم يُحاسب نفسه[٧] مختاراً منصوراً، حُوسب اضطراراً مقهوراً نادماً واجماً[٨] و(١٤) ذليلاً مكسوراً؟

فصل: فيما يُروى عن مولانا علي صلوات الله عليه[٩] في وقت ارتفاع الملكين بالأعمال وفي مكانهما من ابن آدم

وروينا[١٠] من كتاب خطب مولانا علي صلوات الله عليه وآله[١١] ـ و [هو لـ] السعيد[١٢] عبد العزيز الجلودي رضي الله عنه[١٣] ـ في خطبةٍ تتضمّن[١٤] جواب مولانا علي عليه

---

١. ط: عبادك.

٢. ط: من.

٣. ط: ممّن.

٤. ط: أقول: فهذا ... الخ.

٥. ط: التوسّل.

٦. في ط زيادة: عنده.

٧. سقطت (نفسه) من ط.

٨. ش: واحماً/ ط: واجماً متحيّراً.

٩. سقطت (صلوات الله عليه) من ط.

١٠. ط: روينا.

١١. سقطت (وآله) من ط و ش.

١٢. ط: وهو السعيد.

١٣. في ط زيادة: وهو نسخةٌ عتيقةٌ نقلها بخطّه، وكانت وفاته ثامن عشر ذي الحجّة الحرام سنة اثنين وثلاث مائة.

١٤. ط: فيما يتضمّن.

السلام[١] لابن الكوّاء عن مسائل[٢] سأله[٣] عنها. فمنها ما هذا لفظه: قال: يا أمير المؤمنين، فما البيت المعمور والسقف المرفوع؟ قال: «ويلك! ذلك الضراح بيتٌ في السماء الرابعة حيال الكعبة، من لؤلؤ جوفاء[٤]، يدخله[٥] كلّ يوم سبعون ألف ملكٍ، لا يعودون إليه إلى يوم القيامة. فيه[٦] كتّابُ أهل الجنّة عن يمين البابِ يكتبون أعمالَ أهل الجنّة بأقلام من نورٍ، وفيه كتّاب أهل النار عن شماله[٧] يكتبون أعمال أهل النار بأقلام سودٍ . فإذا كان مقدار العشاء[٨] ارتفع الملكان، فينتسخون[٩] منهم ما عمل الرجل (١٥). فذلك قوله تعالى: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١٦)».

وأمّا موضع جلوس الملكين الحافظين فرواه أبو عمرو[١٠] الزاهد[١١]، وجدته في نسخةٍ عتيقةٍ[١٢] كتبت في حياته، وقد كانت في خزانة الحافظ الخليفة بمصر، فقال[١٣]: قال أبو عمرو[١٤]: أخبرني العطاء[١٥] عن الصباحي[١٦]، بإسناد الإماميّة من[١٧] الشيعة، عن جعفر بن محمّد الصادق، عن آبائه[١٨] الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين[١٩]، قالوا:

---

١. سقطت (عليه السلام) من ط.
٢. ط: مسائله.
٣. سقطت (سأله) من ط.
٤. ط: جو.
٥. ط: فيدخل.
٦. سقطت (فيه) من ط.
٧. ط: يسار الباب.
٨. ط: المقدار العشار.
٩. ط: فيستنسخون.
١٠. ط: ابن عمر.
١١. في ط زيادة: صاحب تغلب.
١٢. في ط زيادة: ظاهر حالها أنّها.
١٣. ط: ما هذا لفظه.
١٤. ط: ابن عمر.
١٥. في ش: القطامي.
١٦. ط: العطا عن الصباح.
١٧. ط: عن.
١٨. ط: آبائهم.
١٩. ط: عليهم السلام.

«قال أمير المؤمنين علي صلوات الله عليه: إنّ الملكين يجلسان على ناجذي الرجل: يكتبان خيره وشرّه ويستمدّان من غُرّيه، وربّما جلسا على الصماغين» (١٧). فسمعت تغلباً رحمه الله يقول: الاختيار من هذا كلّه ما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام. قال: والناجذان: النابان، والغرّيان: الشدقان، والصامغان أو الصماغان ــ ومن قالهما بالعين فقد صحّف ــ: هما مجتمع الريق[١].

ورأيت[٢] في حديثٍ آخر[٣] في هذا الكتاب ما هذا لفظه: وسئل عن قول أمير المؤمنين علي صلوات الله عليه[٤]: «نظّفوا الصماغين[٥]؛ فإنّهما مقعدُ الملكين» (١٨) فقال تغلب: هما الموضع الذي يجتمع فيه الريق من الإنسان، وهو الذي تسمّيه[٦] العامّة الصوارين.

فصل: في دعوات روينا[٧] أنّها تذكر أوقات المحاسبات

اعلم: أنّنا ذكرنا في كتاب «فلاح السائل ونجاح المسائل» (١٩) تفصيلاً جليلاً في المحاسبات والدعوات، ونذكر هاهنا ما يحتاج إليه أهل الضرورات، فنقول:

رويت[٨] من كتاب الربيع بن محمّد المسلّمي[٩]، بإسناده إلى أبي جعفر صلوات الله عليه[١٠]، قال: «كان رسول الله صلّى الله عليه وآله[١١] إذا احمرّت الشمس على قُلّة

---

١. ط: قال أمير المؤمنين: والناجذان الثابتان والغرّان المشدغان والصانعان والصماعان ــ ومن قالهما بالغين فقد صحّف ــ إنّ الملكين يجلسان على ناجذي الرجل يكتبان خيره وشرّه، يشهدان على غرّيه، وربّما جلسا على الصماخين. فسمعت تغلباً يقول: الاخيار من هذا كلّه ما قال أمير المؤمنين: هما مجمع الريق من الجانبين، وهما اللذان يسمّيهما العامّة الصوارين. وفيها سهوٌ وغلطٌ لا يخفى.

٢. ط: ورويت.

٣. سقطت (آخر) من ش.

٤. سقطت (علي صلوات الله عليه) من ط.

٥. ط: الصاغين.

٦. سقطت (تسمّيه) من ش.

٧. ط: رويت.

٨ سقطت (ورويت) من ط.

٩. ط: المستكين.

١٠. سقطت (صلوات الله عليه) من ط.

١١. سقطت (صلّى الله عليه وآله) من ط / ش: كان رسول الله يقول... .

الجبال[١]، هملت عيناه دموعاً، ثمّ[٢] قال[٣]: أمسى ظلمي مستجيراً بعفوك، وأمست ذنوبي مستجيرةً[٤] بمغفرتك، وأمسى خوفي مستجيراً بأمنك، وأمسى ذُلّي مستجيراً بعزّك، وأمسى فقري مستجيراً بغناك، وأمسى ضعفي مستجيراً بقوّتك، وأمسى وجهي البالي الفاني مستجيراً بوجهك الدائم الباقي الكريم[٥]. اللّهمّ[٦] ألبسني عافيتك، وغشّني رحمتك[٧]، وجلّلني كرامتك، وقني شرّ خلقك من الجنّ والإنس. يا الله يا رحمن يا رحيم» (٢٠).

ورويت[٨] من كتاب الكليني بإسناده قال: «كان علي صلوات الله عليه[٩] إذا أمسى قال: مرحباً بالليل الجديد والكاتب الشهيد، اكتبا بسم الله. ثمّ يذكر الله عزّ وجلّ» (٢١).

ورويت بإسنادي عن ابن أبي عمير، عن اُميّة بن علي، قال: قال أبو عبد الله صلوات الله عليه[١٠]: «من قال عند غروب الشمس في كلّ يوم: يا من ختم النبوّة بمحمّدٍ صلّى الله عليه وآله، اختم لي في يومي هذا بخيرٍ، وشهري بخيرٍ، وسنتي بخيرٍ، وعمري بخيرٍ (٢٢)، فمات في تلك الليلة أو في تلك الجمعة أو في ذلك الشهر أو في تلك السنة، دخل الجنّة»[١١].

فصل: فيما نذكره من المحاسبة أواخر كلّ ليلةٍ[١٢]

يُستحبّ للإنسان إذا استيقظ من المنام (٢٣) أن يسجد شكراً لله جلّ جلاله[١٣] على

---

١. ط: الجبل.
٢. سقطت (ثمّ) من ط.
٣. ط: قال: اللّهمَّ.
٤. ط: مستجيراً.
٥. سقطت (الكريم) من ط.
٦. سقطت (اللّهمّ) من ط.
٧. ط: برحمتك.
٨ ط: فصل: ورويت... الخ.
٩. سقطت (صلوات الله عليه) من ط.
١٠. سقطت (صلوات الله عليه) من ط.
١١. في ط زيادة: أو في غيرها مات شهيداً. ورويت الجمعة أو في غير ذلك الشهر أو في تلك السنة دخل الجنّة.
١٢. ط: فصل: في المحاسبة أواخر من كلّ ليلةٍ.
١٣. ط: عزّ وجلّ جلاله.

ما تفضّل عليه من الإنعام؛ فقد روينا: أنّ النبي عليه أفضل الصلاة والسلام[١] كان يفعل ذلك، وهو قدوةٌ لأهل الإسلام.

أقول: ثمّ يجلس بين يدي مولاه الذي أنشأه وربّاه ومكّنه من [نيل سعادة[٢] دنياه وأُخراه[٣] ـ ولو ساعةً واحدةً أواخر كلّ ليلةٍ ـ ويحاسب ملكي الليل كما يحاسب ملكي النهار، ويجتهد في تطهير صحيفته من الآثام والاَصار[٤].

وإن[٥] شاء فليقل:

سلام الله جلّ جلاله وسلام خاصّته وسلامي عليكما، أيّها الملكان الحافظان، أستودعكما الله جلّ جلاله، وأقرأ عليكما السلام، وأتوجّه إليكما بالله المنعم عليكما أن تشرّفاني بجواب التسليم، وتساعداني على سلوك السبيل المستقيم، وتشفعا إلى مولاكما الحليم الرحيم الكريم جلّ جلاله أن يعفو عنّي ويرحمني ويرضى عنّي، وألاّ[٦] يُشمت بي عدوّه وعدوّي الشيطان الرجيم. فها أنا قد سلّمت نفسي إليه، واستسلمت بين يديه[٧]، وأتوجّه إليه بكلّ[٨] من يعزّ عليه وبجميع الوسائل إليه في الأمر لكما بمحق[٩] السيّئات، وتبديلها بما هو ـ جلّ جلاله ـ أهله[١٠] من المراحم والحسنات. وها أنا أقول ما قاله المقبلون من النادمين: ﴿قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ[١١] لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنْ الْخَاسِرِينَ﴾ (٢٤). ﴿رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا

---

١. ط: صلّى الله عليه وآله أفضل الرسل.

٢. ط: مساعدة.

٣. ط: آخرته.

٤. كذا ورد في م، ثمّ كتب في الحاشية: الأجرام. وأمّا ط ففيها: والآثار.

٥. ط: فإن.

٦. ط: ولا.

٧. ط: من يده بين يديه.

٨. ش: من كلّ.

٩. كذا في م ، ثمّ كتب في حاشيتها: بمحو، كما في ط.

١٠. ط: أهلّ.

١١. ط: فإن.

كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلاَنَا﴾ (٢٥) فارحمنا[١] يا أرحم الراحمين، يا أرحم الراحمين، يا أرحم الراحمين، يا أرحم الراحمين[٢].

ثمّ يقول:

يا إلهي، قد مدحت المستغفرين بالأسحار، وبلغنا: أنّك تغفر الذنوب بالاستغفار(٢٦)، وأنا أستغفرك وأسألك التوبة (يكرّر[٣] ذلك مائة مرّةٍ).

ثمّ يقول:

وقد أمرتني ـ يا سيّدي ـ أن أسألك العفو عنّي (٢٧)، وها أنا ممتثلٌ لأمرك، وبرحمتك تقبّل منّي.

ثمّ يقول: العفو العفو (يكرّر ذلك مائة مرّةٍ[٤]).

فصل: في زيادة السعادة[٥] في المحاسبة والعبادة

وإن كنت تريد زيادة التوصّل[٦] في الظفر[٧] بالعفو والتفضّل فقل:

اللّهمّ إنّي سمعت عن[٨] كرمك ورحمتك: أنّك تأمر منادياً ينادي عنك في أواخر كلّ ليلةٍ، ويدعو الناس إلى سبيلك[٩]، فيقول: هل من سائلٍ فأُعطيه؟ هل من تائبٍ فأتوب عليه؟ هل من مستغفرٍ فأغفر له؟ (٢٨) وقد[١٠] حضرت ممتثلاً للنداء ومتوسّلاً بالدعاء.

---

١. سقطت (فارحمنا) من ط.

٢. كذا ورد في م، ثمّ كتب في الحاشية: ويكرّرها سبع مرّات، وأمّا ش و ط ففيهما: يا أرحم الراحمين ثلاث مرّاتٍ.

٣. ط: ويكرّر.

٤. لم يرد قوله: ثمّ يقول: وقد أمرتني... إلى آخر الفصل في ط.

٥. ط: السعادات.

٦. ش: التوسّل.

٧. ط: بالظفر.

٨. ط: من.

٩. ط: مسائلتك.

١٠. ط: فقد.

وأسأل من رحمتك الواسعة ومكارمك السابغة كلّ ما أحتاج إليه، وأتوب إليك[١] من كلّ ما أقدمت عليه، وأستغفرك من كلّ ما تؤاخذني عليه ، وأطلب العفو الذي دعوت إليه عبادك[٢]، وقد أنعمت علي بالإيمان من غير سؤالٍ[٣]، فلا تحرمني ما هو دونه من النوال مع الدعاء والابتهال. يا الله يا الله (يقولها[٤]عشر مرّاتٍ) يا ربّ يا ربّ (٢٩) (عشر مرّاتٍ)[٥].

فصل: فيما نذكره لمن كان[٦] له عذرٌ عن الجلوس عن مرقده أو يكسل عن الحضور[٧] بين يدي سيّده

وإن كان لك عذرٌ عن الجلوس من فراش الرقاد[٨]و[٩] كانت همّتك سخيفةً خسيسةً[١٠] ومعرفتك ضعيفةً عن طلب سعادة الدنيا والآخرة[١١] والمعاد فقل ــ وأنت على حالك ــ:

يا راحم الضعيف الهالك، يا واهب الممالك، قد سمعت عن[١٢]حلمك الشامل لأهل الأبصار ﴿الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكّرون في خلق السماوات والأرض ربّنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار﴾ (٣٠). وها أنا أسألك على جنبي أن تعفو عن[١٣] ذنبي، وأن تجعلني ممّن أغنيته بعلمك عن المقال وبكرمك عن السؤال (٣١).

---

١. سقطت (إليك) من ط.
٢. ط: عبادك إليه.
٣. ط: مسائلة.
٤. سقطت (يقولها) من ط.
٥. سقطت (يا ربّ يا ربّ عشر مرّاتٍ) من ط.
٦. سقطت (كان) من ط.
٧. ط: أو يكلّ من الجلوس.
٨. ط: الرقادة.
٩. ط: أو.
١٠. ط: خسيسة سخيفة.
١١. سقطت (والآخرة) من ط.
١٢. ط: من.
١٣. سقطت (عن) من ط.

فصل: فيما نذكره[١] لمن لم يتّفق له توفيقٌ لهذا المقال ولا ظفرٌ بهذه[٢] الآمال

أقول[٣]: إذا[٤] لم يسهل عليك الجلوس من فراش الغفلات ولا ما ذكرنا من جواب الملك المنادي(٣٢) لأهل الحاجات، فمُدّ يدك إلى من عوّدك إحسانه عليك، وقل: يا موضع آمالي، حسبي[٥] من سؤالي علمك بحالي (٣٣).

فصل: فيما نذكره من شرح بعض ما أجملناه ممّا رأيناه ورويناه[٦]

قد ذكرنا[٧] في هذا الكتاب أنّه يقول: «يا أرحم الراحمين» سبع مرّاتٍ، وإنّما ذكرنا ذلك لأجل ما نذكره[٨]من الروايات. فنقول: إنّي رويت بإسنادي[٩] إلى محمّد بن الحسن الصفّار من كتابه في فضل الدعاء، عن أبي عبد الله الصادق صلوات الله عليه[١٠]، قال: «كان[١١] إذا ألحّت به الحاجة سجد من غير صلاةٍ ولا ركوعٍ، ثمّ يقول: يا أرحم الراحمين سبع مرّاتٍ، ثمّ يسأل حاجته». ثمّ قال: «قال أبي[١٢]: ما قال أحدٌ: يا أرحم الراحمين سبع مرّاتٍ[١٣] إلاّ قال الله[١٤]: ها أنا أرحم الراحمين، سل حاجتك» (٣٤).

ورويناً[١٥] من الكتاب المذكور بإسناده إلى الصادق صلوات الله عليه[١٦] أنّه قال:

---

١. ط: نذكر.
٢. ط: بهذا.
٣. سقطت (أقول) من ط.
٤. ط: وإذا.
٥. ط: حسبي حسبي.
٦. ط: رويناه ورأيناه.
٧. ط: فذكرنا.
٨ في م: ذكره ثمّ كتب في الحاشية: لما رويناه.
٩. ش: و إنّما ذكرنا ذلك لما رويناه بإسنادنا إلى محمّد...إلخ.
١٠. سقطت (صلوات الله عليه) من ط.
١١. ط: كان أبي.
١٢. سقطت (قال أبي) من ط.
١٣. ط: ما قالها أحد سبعاً.
١٤. ط: الله تعالى.
١٥. ط: فصل: وروينا... الخ.
١٦. سقطت (صلوات الله عليه) من ط.

«إنّ لله ملكاً يقال له إسماعيل ـ ساكنٌ في السماء الدنيا ـ إذا قال[١]: يا أرحم الراحمين سبع مرّاتٍ، قال له إسماعيل: قد سمع أرحم الراحمين[٢] صوتك، فسل[٣] حاجتك» (٣٥).

ورويت[٤] من كتاب فضل الدعاء المذكور، بإسنادي[٥] إلى مولانا علي بن الحسين عليهما السلام، قال: «سمع النبي صلّى الله عليه وآله[٦] رجلاً[٧] يقول: يا أرحم الراحمين، فأخذ بمنكب الرجل وقال[٨]: هذا أرحم الراحمين قد استقبلك بوجهك[٩]، فسل حاجتك» (٣٦).

فصل: فيما نذكره من الروايات في سجود النبي صلّى الله عليه وآله عند انتباهه من منامه قد كنّا ذكرنا ذلك مجملاً ونذكره الآن مفصّلاً

فأقول: رويت[١٠] بإسنادي إلى أبي جعفر صلوات الله عليه[١١] أنّه قال: «ما استيقظ رسول الله صلّى الله عليه وآله[١٢] من نومه قطّ إلاّ خرّ لله ساجداً» (٣٧).

ورويت أيضا[١٣] من تاريخ النيشابوري ـ تأليف الحاكم ـ في ترجمة[١٤] حسين بن أحمد بن حفص[١٥] بن عبد الله، بإسناده عن جابر، قال: كان رسول الله صلّى الله عليه وآله[١٦] إذا قام من منامه خرّ لله ساجداً. (٣٨)

---

١. ط: قال العبد.
٢. ط: الله أرحم الراحمين.
٣. ط: فسأل.
٤. ط: فصل: ورويت... الخ.
٥. ط: بإسناده.
٦. سقطت (صلّى الله عليه وآله) من ط.
٧. ط: أنّ رجلاً.
٨ ط: فقال.
٩. ط: استقبل بوجهه.
١٠. ط: فصل : ورويت.. الخ.
١١. سقطت (صلوات الله عليه) من ط/ ش: عليه السلام.
١٢. سقطت (صلّى الله عليه وآله) من ط.
١٣. ط: فصل: ورويت من... الخ.
١٤. سقطت (في) من م و ش.
١٥. ط: جعفر.
١٦. سقطت (صلّى الله عليه وآله) من ط.

ورويت أيضاً[١] من «تاريخ نيشابور»[٢] الحاكم بإسناده في ترجمة محمّد اليزفور بن عبد الله[٣] بن مهدي العامري: أنّ النبي صلّى الله عليه وآله قام من النوم، فخرّ[٤] لله ساجداً؛ شكراً لله عزّوجلّ (٣٩).

فصل: فيما نذكره في سبب ما ذكرناه[٥] في هذا الكتاب: أنّ الإنسان يقول: «يا الله يا الله» عشر مرّاتٍ[٦]

ورويت[٧] من كتاب المشيخة ـ تأليف الحسن بن محبوب ـ قال: اشتكى بعض أصحاب أبي جعفر عليه السلام، فذكر له، فمرّ به أبو جعفرٍ عليه السلام[٨]، فقال له: «قل: يا الله يا الله[٩] عشر مرّاتٍ متتابعاتٍ؛ فإنّه لم يقلها مؤمنٌ إلاّ قال له ربّه[١٠]: لبّيك عبدي، سل»[١١] (٤٠).

ورويت من كتاب «مناسك الزيارات» في تعليقةٍ: ومن كتاب البزنطي ومن كتاب الدعاء المستجاب عن أبي عبدالله عليه السلام[١٢] قال: اشتكى أبو عبد الله (٤١)، فمرّ به

---

١. سقطت (أيضاً) من ط.

٢. ط: نيشابوري.

٣. ط: البزفوري عبد الله.

٤. ط: أنّ النبيّ ما قام من النوم إلاّ خرّ.

٥. كذا ورد في م، ثمّ كتب في الحاشية: في نسخة: من تكرار يا الله عشر مرّاتٍ، كما في ش. وأمّا ط ففيها: فيما نذكره في هذا الكتاب... الخ.

٦. وردت الزيادة التالية في ط بعد عنوان الفصل المذكور: فصل: ورويت من كتاب المشيخة ـ تأليف الحسن بن محبوب ـ في ترجمة محمّد بن سعيد بن عبد الله مهدي العامري قال: إنّ النبي ما قام من النوم إلاّ خرّ لله ساجداً؛ شكراً لله عزّ وجلّ.

٧. ط: روينا.

٨ لم ترد (عليه السلام، فذكر له، فمرّ به أبو جعفر عليه السلام) في ط.

٩. من ط: يا الله يا الله يا الله.

١٠. سقطت (ربّه) من ط.

١١. ط: سل حاجتك. وإنّما قلنا: إنّه يقول: «يا ربّ» عشر مرّاتٍ لما رواه محمّد بن علي بن محبوب في كتاب الصلاة.

١٢. ط: فصل: ورويت في آخر كتاب «مناسك الزيارات» للمفيد على ورقة تعاليق فيها من كتاب البزنطي، وهذا لفظ ما وجدناه: حفص الأعور عن أبي عبد الله قال... الخ.

أبوه[١] أبو جعفرٍ الباقر عليهما السلام، قال له[٢]:«قل عشر مرّاتٍ: يا الله يا الله[٣]؛ فإنّه[٤] لم يقلها عبدٌ إلاّ قال له ربّه: لبّيك»[٥].

فصل: فيما نذكره عمّن يقول: «يا ربّ يا ربّ» عشر مرّات[٦]

رويت من كتاب[٧] محمّد بن علي بن محبوب في[٨] كتاب الصلاة، عن أحمد، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن أخي أديم، عن أبي عبد الله عليه السلام[٩]، قال: «من قال عشر مرّاتٍ: يا ربّ يا ربّ يا ربّ[١٠]، قيل له[١١]: لبّيك، سل حاجتك» (٤٢).

فصل[١٢]: استحباب الدعاء والتوسّل بـ«يا ربّ» و«أي ربّ»

ورأيت في كتاب «المناسك» أيضاً[١٣] ـ وقد[١٤] كتب في حياة المفيد قدّس الله روحه[١٥] ـ ما هذا لفظه: أبو عبد الله عليه السلام قال[١٦]:«كان أبي يلحّ في الدعاء يقول: يا ربّ يا ربّ حتّى ينقطع النفس، ثمّ يعود، ثمّ يعود» (٤٣).

---

١. سقطت (أبوه) من م.
٢. ط: اشتكى أبو عبد الله إلى أبي جعفر الباقر أبيه، فقال... الخ.
٣. في ط زيادة: يا الله.
٤. ط: فإنّها.
٥. وردت الزيادة التالية بعد الخبر المذكور في ط: أقول أنا: ويمكن أن يكون قد قال أبو جعفر لبعض شيعته، وقال له لولده أبي عبد الله.
٦. ط: فيما نذكره عمّن يقول: (يا ربّ يا ربّ) ويكرّرها.
٧. في ش و م: لما رواه، ثمّ كتب في حاشيتهما: رويناه من كتاب.
٨. ط: من.
٩. سقطت (عليه السلام) من ط.
١٠. ط: يا ربّ يا ربّ.
١١. ط: قال له ربّه.
١٢. سقطت (فصل) من ش .
١٣. ط: فصل: ورويتُ في التعليقة التي أشرنا إليها في أواخر كتاب مناسك الزيارة.
١٤. ط: وهو قد.
١٥. سقطت (قدّس الله روحه) من ط.
١٦. ط: أبو جعفر قال.... .

ومن الكتاب المذكور[١] ما هذا لفظه: أبو عبد الله عليه السلام[٢] قال:«إنّ العبد إذا قال: أي ربّ ـ ثلاثاً ـ صيح من فوقه: لبّيك لبّيك، سل تعط[٣]» (٤٤).

وهذا آخر ما أردنا ذكره في هذه الأبواب[٤] ممّا يقتضي الاستظهار والسلامة[٥] من الغفلات[٦] والعتاب يوم الحساب[٧]. ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ (٤٥). والحمد لله ربّ العالمين.[٨]

---

١. ط: فصل: ومن التعليقة... الخ.

٢. سقطت (عليه السلام) من ط.

٣. ط: لبّيك، سل تعطه.

٤. ط: وهذا آخر ما أوردناه من ذكر هذه الأبواب.. الخ.

٥. ط: للسلامة.

٦. كذا ورد في م، ثمّ كتب في الحاشية: العقاب، كما في ط.

٧. ط: في يوم الحساب.

٨. ط: وصلّى الله على أشرف المرسلين محمّدٍ النبي وآله الطيّبين الطاهرين الأخيار الأنجبين، وسلّم تسليماً كثيراً كثيراً.


قسم التعاليق



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى

إليك ـ أيّها القارئ ـ تعاليق وجيزةً على رسالة محاسبة النفس لأُسوة أهل المراقبة السيّد ابن طاووس، الغرض منها بيان ما لعلّه يحتاج إلى البيان من تخريج آيةٍ أو روايةٍ، وتوضيح مرادٍ، وشرح نصٍّ، وتتمّة كلامٍ، لعلّ المصنّف رأى فيها أنّ فيما نقله غنيةً عمّا لم يذكره. والله من وراء القصد.

تعاليق التمهيد

١. أحمد الله ـ جلّ جلاله ـ الذي ابتدأني بالجود ... وألهمني التشريف بمعرفته، وارتضاني لعبادته، ودلّني على طرق السلامة ... والظفر بالكرامة في دار المقامة

لعلّ الفقرات المزبورة إشارةٌ إلى دعاء الإمام علي بن الحسين عليه الصلاة والسلام في التحميد لله والثناء عليه حيث يقول: «والحمد لله على ما عرّفنا من نفسه، وألهمنا من شكره، وفتح لنا من أبواب العلم بربوبيّته، ودلّنا عليه من الإخلاص له في توحيده ... حمداً يُضيء لنا به ظلمات البرزخ ... ويشرّف به منازلنا ... حمداً نزاحم به ملائكته المقرّبين، ونضامّ به أنبيائه المرسلين في دار المقامة التي لا تزول ومحلّ كرامته التي لا تحول». اُنظر الصحيفة السجّاديّة، الدعاء الأوّل: في التحميد لله عزّوجلّ.

٢. والاستظهار ليوم القيامة

الاستظهار: الاحتياط والحذر. ولعلّه تلميحٌ إلى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَاللهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ سورة آل عمران، الآية: ٣٠.

٣. ملائكة حافظين

إشارةٌ إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَاماً كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ سورة الانفطار، الآيات: ١٠ ـ ١٢.

٤. وأمرني بالمحاسبة

كما هو صريح نحو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ سورة الحشر، الآية: ١٨. وسيأتي تقريب الاستدلال بالآية الكريمة على المحاسبة. وأمّا ما استشهد به المصنّف من الآيات في الباب الأوّل من الرسالة فلا ظهور لها في الأمر بالمحاسبة. نعم، يستفاد منها ذلك بالالتزام. وسيأتي مزيد بيانٍ في محلّه، فراجع.

٥. شهد له بذلك مرسله

تلميحٌ إلى قوله تعالى: ﴿ما كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾ سورة الأحزاب، الآية: ٤٠.

٦. بما كمّله في ذاته وصفاته ومعجزاته وآياته...

الغرض: أنّ أشرف الأنبياء والمرسلين محمّد(صلّى الله عليه وآله)هو الإنسان الكامل ذاتاً ووصفاً وفعلاً، وهو منبع الحقائق والمعارف الإلهيّة، ومظهر كلّ كمالٍ وشرفٍ وفضيلةٍ، كما نطق بذلك القرآن الكريم في غير واحدٍ من آياته، وأشار إلى جملةٍ من كراماته وأسراره.

٧. وأشهد أنّه جعل لأُمّته حافظين لأسراره ومهتدين بأنواره...

لعلّه إشارةٌ إلى بعض ما ورد في الزيارة الجامعة من قوله عليه آلاف التحيّة والثناء: «وأشهد أنكم الأئمّة الراشدون المهديّون... اصطفاكم بعلمه ... ورضيكم خلفاء في أرضه، وحججاً على بريّته، وأنصاراً لدينه، وحفظةً لسرّه، وخزنةً لعلمه... وشهداء على خلقه، وأعلاماً لعباده، ومناراً في بلاده، وأدلاّء على صراطه... وأنتم نور الأخيار، وهداة الأبرار، وحجج الجبّار...». اُنظر من لا يحضره الفقيه ٢: ٦١٠، زيارة جامعة لجميع الأئمّة(عليهم السلام)، وتهذيب الأحكام ٦: ٩٦، كتاب المزار، باب زيارة جامعة لسائر المشاهد على أصحابها السلام، عيون أخبار الرضا(عليه السلام) ٢: ٢٧٣، زيارة اُخرى جامعة للرضا علي بن موسى (عليه السلام) ولجميع الأئمّة (عليهم السلام)، والبلد الأمين ٢٩٧، ذكر عمل السنة: ذو الحجّة.

٨. نجاده

نجد الشيء: ارتفع، ونجُد: شَجُع، وأنجد فلاناً: أعانه ونصره. قال ابن الأثير: ومنه حديث علي: «أمّا بنو هاشم فأنجادٌ أمجادٌ» أي: أشدّاء شجعان. راجع النهاية في غريب

الحديث ٥: ١٨ (نجد)، ومجمع البحرين ٤: ٢٦٩ (ن ج د).

٩. رأيت الآيات والروايات شاهدةً...

لا يخفى: أنّ المصنّف أورد عدداً يسيراً من الآيات والروايات في البابين الأوّل والثاني، فلاحظ.

١٠. تلافي تفريطه

أي: تدارك التقصير.

١١. المحاسبة للملائكة الحفظة الكرام

راجع بعض التعاليق المتقدّمة.

١٢. تطهير الصحائف

لعلّه إشارةٌ إلى قوله تعالى: ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللهِ يَتْلُو صُحُفاً مُّطَهَّرَةً﴾ سورة البيّنة، الآية: ٢، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ سورة التكوير، الآية: ١٠.

١٣. فاتح طرق المحابّ

أي: فاتح طرق الخير والظفر.

تعاليق الباب الأوّل

١. ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَاماً كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾.

وتقريب الاستدلال بالآيات الكريمة (سورة الانفطار، الآيات ١٠ ـ ١٢) على المحاسبة: أنّ من الملائكة حفظةً موكّلين بكتابة الأعمال من خيرٍ أو شرٍ ومن طاعةٍ أو معصيةٍ ومن حسنةٍ أو سيّئةٍ، فلزم على العبد السائر إلى الله سلوك طريق المحاسبة؛ لئلاّ يقع في المخالفة والعصيان، فينال العذاب الأبدي والخسران السرمدي. وليلحظ: أنّ الآيات قد اشتملت على أوصافٍ أربعةٍ للملائكة هي: الحفظ والكرامة والكتابة والعلم. أمّا الحفظ فهو هنا بمعنى المراقبة والرعاية، ولذا يتعدّى بحرف الجرّ، كما في قوله تعالى: ﴿اللهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ﴾ سورة الشورى، الآية: ٦، بخلاف ما لو تعدّى إلى المفعول بنفسه؛ فإنّه حينئذٍ يفيد الحراسة، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ﴾ سورة الرعد، الآية: ١١. وأمّا الكرامة فهي بمعنى النفاسة والعزّة لدى الله تعالى، والغرض أن يكون العبد على حذرٍ ودقّةٍ في محاسبة نفسه وأقواله وأفعاله؛ إذ كلّما كان الناظر ذا شأنٍ، كلّما زاد تحفّظ العبد تجاهه واستحى من ارتكاب الذنب والإثم أمامه. وأمّا الكتابة فالمراد منها ضبط وتسجيل ما وكّل الملائكة بحفظه بنحوٍ لا يتعرّض للإجحاف أو الزيادة والنقصان، وعليه فالملائكة لا يكتفون بالمراقبة والرعاية دون تقييد كلّ حركةٍ وقولٍ وفعلٍ بدقّةٍ متناهيةٍ. وأمّا العلم فهو الإحاطة بما يصدر عن العباد مع التأكيد على نفي الخطأ عن الملائكة في تمييز الخير والشرّ

والحسنة والسيّئة. والعاقل يتنبّه بعد هذه الإشارات إلى دقّة الحساب الإلهي وضرورة الاستظهار ليوم الجزاء قبل حلول الفوت. اُنظر الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ١٩: ٤٨٨، تفسير سورة الانفطار، تفسير ابن عربي ٢: ٤١٣، تفسير سورة الانفطار، الميزان في تفسير القرآن ٢٠: ٢٢٦، تفسير سورة الانفطار، ولطائف الإشارات ٣: ٦٩٧، تفسير سورة الانفطار.

٢. ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾

وجه الاستدلال بالكريمة المذكورة (سورة ق، الآية: ١٨): أنّ ما من قولٍ ولفظٍ يرمي به العبد إلاّ كان لديه حافظٌ حاضرٌ معه، أي: ملكٌ عن يمينه وملكٌ عن شماله، كلٌّ منهما يراقب كلامه ومعدٌّ لكتابته، فوجب بحكم العبوديّة حفظ اللسان عن الزلاّت والعثرات، فضلاً عن الفاحش من القول والباطل من الكلام، ولذا فاز من حاسب لسانه، وربح من صمت إلاّ عن ذكر الله. وما أروع ما أشار إليه الإمام زين العابدين عليه الصلاة والسلام في الصحيفة القدّوسيّة قائلاً: «اللّهمّ اجعل ما يلقي الشيطان في روعي من التمنّي والتظنّي والحسد ذكراً لعظمتك وتفكّراً في قدرتك وتدبيراً على عدوّك، وما أجرى على لساني من لفظة فحشٍ أو هُجرٍ أو شتم عرضٍ أو شهادة باطلٍ أو اغتياب مؤمنٍ غائبٍ أو سبِّ حاضرٍ وما أشبه ذلك نطقاً بالحمد لك وإغراقاً في الثناء عليك وذهاباً في تمجيدك وشكراً لنعمتك واعترافاً بإحسانك وإحصاءً لمننك». اُنظر الصحيفة السجّاديّة، الدعاء العشرون: في مكارم الأخلاق ومرضيّ الأفعال.

ولا يذهب عليك: أنّ في الآية مزيد اعتناء بخصوص اللفظ؛ لوضوح شره القلوب إلى الكلام، وكثرة آفات الخوض في الباطل، مع عظم حفظ اللسان، وتضاعف فضيلة الصمت. روي أنّه جاء رجلٌ إلى النبي (صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فقال: يا رسول الله، أوصني. فقال: «احفظ لسانك». قال: يا رسول الله، أوصني. قال:«احفظ لسانك». قال: يا رسول الله، أوصني. قال:«احفظ لسانك. ويحك! وهل يَكُبُّ الناسَ على مناخرهم في النار إلاّ حصائدُ ألسنتهم؟». الكافي ٢: ١١٦، باب الصمت وحفظ اللسان، الحديث ١٤. كما روي عن أبي عبد الله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال: «قال رسول الله (صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): مَن لم يحسب كلامه من عمله، كثرت خطاياه وحضر عذابه». راجع الكافي ٢: ١١٦، باب الصمت وحفظ اللسان، الحديث ١٥. وراجع هنا

تفسير بيان السعادة في مقامات العبادة ٤: ١٠٩، تفسير سورة ق، تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضمّ ٢: ٢٤٥، الباب الحادي عشر، سكّان الجنّة وخزّانها، تفسير القرآن الكريم لصدر المتألّهين ٥: ٣٠، تفسير سورة يس، وتفسير نور الثقلين ٥: ١٠٩، تفسيرسورة ق.

٣. ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

يستفاد من الآية المذكورة (سورة الجاثية، الآية: ٢٩): أنّ الأعمال الخارجيّة للعباد لمّا كانت في اللوح المحفوظ، وكان المراد من استنساخها استنساخ ما يرتبط بها فيه، وكانت كتابة الملائكة للأعمال بمعنى تطبيق ما عندهم من نسخة اللوح على الأعمال، فينبغي أن يقف العبد عند ظهور الهمّة وابتداء الحركة، فيحاسب نفسه، فيردعها عن هواها، ويفطمها عن شهواتها؛ لترقى إلى كمال العبوديّة، وتشهد ذروة الملكوت. وإلى هذا المعنى يشير الخبر المنقول عن ابن أبي عمير عن عبد الرحمن القصير عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: سألته عن ﴿ن والقلم﴾، قال: «إنّ الله خلق القلم من شجرةٍ في الجنّة يقال لها الخلد، ثمّ قال لنهرٍ في الجنّة: كن مداداً، فجمد النهر، وكان أشدّ بياضاً من الثلج وأحلى من الشهد. ثمّ قال للقلم: اُكتب. قال: يا ربّ، ما أكتب؟ قال: اُكتب ما كان وما هو كائنٌ إلى يوم القيامة. فكتب القلم في رقٍّ أشدّ بياضاً من الفضّة وأصفى من الياقوت، ثمّ طواه فجعله في ركن العرش، ثمّ ختم على فم القلم، فلم ينطق بعدُ ولا ينطق أبداً، فهو الكتاب المكنون الذي منه النُسَخُ كلّها. أولستم عرباً؟! فكيف لا تعرفون معنى الكلام، وأحدكم يقول لصاحبه: انسخ ذلك الكتاب؟! أوليس إنّما ينسخ من كتابٍ آخر من الأصل؟! وهو قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾». اُنظر تفسير القمّي ٢: ٣٨٠، تفسير سورة القلم.

وأورد السيّد ابن طاووس: أنّ الملكين «إذا أرادا النزول صباحاً ومساءً، ينسخ لهما إسرافيل عمل العبد من اللوح المحفوظ فيعطيهما ذلك، فإذا صعدا صباحاً ومساءً بديوان العبد، قابله إسرافيل بالنسخة التي نسخ لهما حتّى يظهر أنّه كان كما نسخ منه». راجع سعد السعود: ٢٢٦.

ولمزيدٍ من الاطّلاع يراجع الميزان في تفسير القرآن ١٨: ١٨٤، تفسير سورة الجاثية، الأصفى في تفسير القرآن ٢: ١١٦٢، تفسير سورة الجاثية، البرهان في تفسير

القرآن ٥: ٣١، تفسير سورة الجاثية، وتفسير القرآن الكريم لصدر المتألّهين ٧: ٤٣٨، تفسير سورة الزلزلة.

٤. تطهير الصحائف التي تُعرض على يد الملائكة الكرام

يستفاد من بيانات العلاّمة الطباطبائي(قدس سره): أنّ صحف الأعمال أو الكتب على ثلاثة أنواع: الأوّل: ما يوضع لحساب أعمال البشر جميعاً، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إلاّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾ سورة الكهف، الآية: ٤٩.

الثاني: ما يختصّ بكلّ اُمّةٍ؛ لوضوح أنّ لكلّ اُمّةٍ كتابها الذي ثبت فيها أعمالها، كما يصرّح به قوله تعالى: ﴿وترى كلّ اُمّة جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * هَذَا كِتَابُنَا ينطق عليكم بالحقّ إنّا كنّا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾ سورة الجاثية، الآيتان: ٢٨ ـ ٢٩.

الثالث: ما ينفرد به كلّ إنسانٍ بصورةٍ مستقلّة، كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنشُوراً * اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾ سورة الإسراء، الآيتان: ١٣ ـ ١٤.

ولا شكّ في أن لا تنافي بين مفاد الآيات المزبورة؛ إذ ليس ثمّة مانعٌ من تدوين أعمال العباد في صحفٍ متعدّدة. اُنظر ما أفاده العلاّمة الطباطبائي لدى تفسيره الآيات المذكورة، وراجع أيضاً بحثه حول معنى الكتاب فى القران فى الميزان، ٧: ٢٠٢.

ثمّ إنّه يلاحظ: أنّ المصنّف قد اكتفى بالآيات الثلاثة المتقدّمة، ولعلّه لم تتح الفرصة له لأن يتعرّض لسائر الآيات الدالّة على المحاسبة صراحةً أو ضمناً. ولا بأس هنا بالإشارة إلى جملةٍ منها ممّا فيه دلالةٌ أو تحضيضٌ أو تنبيهٌ عليها بنحو المطابقة أو التضمّن أو الالتزام.

فمنها: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ سورة الحشر، الآية: ١٨. والآية الكريمة صريحةٌ في الدلالة على لزوم المحاسبة، كما أفاده العلاّمة الطهراني في حاشيته القيّمة على

رسالة السير والسلوك وغيره.

ووجه الاستدلال: أنّ نظر النفس فيما قدّمت للآخرة من عملٍ ونحوه يستلزم وقوف العبد على ما يصدر منه من الحسنات والسيّئات والطاعة والمعصية. فإن كانت الغلبة للحسنات والطاعات استحقّ ذلك طلب الزيادة وإظهار الشكر والثناء والرقيّ إلى الكرامات، وإن كان الرجحان للسيّئات والمعاصي فالتقوى المأمور بها في الآية توجب تكثير الأعمال الصالحة وتنقيص الأعمال الطالحة، ولا يكون ذلك إلاّ بسلوك طريق المحاسبة. اُنظر شرح منازل السائرين للمحقّق الكاشاني، باب المحاسبة.

ومنها: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ سورة الأعراف، الآية: ٢٠٠.

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ سورة الأنبياء، الآية: ٤٧.

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾ سورة الكهف، الآية: ٥٠.

ومنها: قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللهُ وَنَسُوهُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ سورة المجادلة، الآية:٦.

ومنها: قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ * فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾ سورة الزلزلة، الآيات: ٦ ـ ٨

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ سورة البقرة، الآية: ٢٨١.

ومنها: قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ

نَفْسَهُ وَاللهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ سورة آل عمران، الآيتان: ٢٩ ـ ٣٠.

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ سورة البقرة، الآية ٢٣.

ومنها: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ سورة آل عمران، الآية ٢٠٠.

ومنها: قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ سورة الرعد، الآية ٣٣.

ومنها: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرَى﴾ سورة العلق، الآية:١٤.

ومنها: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ... إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ سورة النساء، الآية: ١.

ومنها: قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ سورة الفجر، الآية:١٤.

ومنها: قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ سورة المؤمنون، الآية: ١١٤.

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ سورة آل عمران، الآية: ١٣٥.

ومنها: قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُوْلَـئِكَ يَقْرَؤُونَ كِتَابَهُمْ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً * وَمَن كَانَ فِي هَـذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾ سورة الاسراء، الآيتان: ٧١ ـ ٧٢.

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ﴾ سورة البقرة، الآية: ٤٨.

ومنها: قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ سورة النحل، الآية: ١١١.

ومنها: قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى * يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَى * وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى﴾ سورة النازعات، الآيات: ٣٤ ـ ٣٦.

ومنها: قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفّاً لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ

الرحْمَنُ وَقَالَ صَوَاباً * ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَن شَاء اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآباً * إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَاباً قَرِيباً يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَاباً﴾ سورة النبأ، الآيات: ٣٨ـ٤٠.

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنشُوراً * اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾ سورة الإسراء، الآيتان: ١٣ـ١٤.

ومنها: قوله تعالى: ﴿لِّلَّهِ ما فِي السَّمَاواتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ سورة البقرة، الآية: ٢٨٤.

ومنها: قوله تعالى: ﴿الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ * أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَاء مَا يَحْكُمُونَ * مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء اللهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ سورة العنكبوت، الآيات: ١ـ٧.

ومنها: قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ سورة غافر، الآية ١٧٠.

ومنها: قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ سورة الزخرف، الآية: ٨٠.

ومنها: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ * فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً * وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاء ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً * وَيَصْلَى سَعِيراً * إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُوراً * إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ * بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيراً﴾ سورة الانشقاق، الآيات: ٦ـ١٥.

ومنها: قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِيْنَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ سورة الحجر، الآيتان: ٩٢ـ٩٣.

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ سورة البقرة، الآية: ٢٣٥.

ومنها: قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ * قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ * قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ * وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ * قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قُلِ اللهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَّهُ دِينِي * فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ * لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ * وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾ سورة الزمر، الآيات: ٩ـ١٨.

ومنها: قوله تعالى: ﴿سَوَاء مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ * لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ سورة الرعد، الآيتان: ١٠ـ١١.

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ * وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ * عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ سورة التكوير، الآيات: ١٢ـ١٤.

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ * وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةً حَتَّىَ إِذَا جَاء أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ * ثُمَّ رُدُّواْ إِلَى اللهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ أَلاَ لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ سورة الأنعام، الآيات: ٥٩ـ٦٢.

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ

إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ * إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ * وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ * وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ * وَجَاءتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ * لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ سورة ق، الآيات: ١٦ـ٢٢.

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ * وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاء وَالْأَرْضِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ سورة النمل، الآيتان: ٧٤ـ٧٥.

ومنها: قوله تعالى: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا للهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ سورة النمل، الآية:٢٥.

ومنها: قوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا شَيْئاً أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾ سورة الأحزاب، الآية: ٥٤.

وممّا تقدّم من البيان يتّضح صحّة الاستشهاد بالآيات المتقدّمة، كما لا يخفى دلالة غير واحدٍ منها على لزوم المراقبة ورعاية المرابطة أيضاً، ولا غرو في ذلك بعد أن كانا من وادٍ واحدٍ.

تعاليق الباب الثاني

١. الآصار

الآصار جمع إصر بمعنى: الذنب والثقل.

٢. «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا... »

لم يرد الحديث المذكور بألفاظه إلاّ في هذه الرسالة الشريفة، ورواه عنه في البحار ٧٣:٦٧ والوسائل ٩٦:١٦ وغيرهما. وفي مجموعة ورّام ٢٣٥:١ نسبه إلى بعضهم، مع أنّ فيه: «وتأهّبوا للعرض الأكبر»، وفي غرر الحكم: ٢٣٦ عن مولانا أمير المؤمنين(عليه السلام) «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، ووازنوها قبل أن توازنوا» و«زنوا أنفسكم قبل أن توازنوا توزنوا] وحاسبوها قبل أن تحاسبوا، وتنفّسوا من ضيق الخناق قبل عنف السياق» ونحوهما غيره، فراجع باب محاسبة النفس فيه. وفي أعلام الدين للديلمي: ٢٥١ رواه عن أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام بدون الفقرة الأخيرة منه، كما أخرجه عن ابن عبّاس عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) في بعض خطبه أو مواعظه مع اختلافٍ في اللفظ، فلاحظ الباب الثاني والعشرين فيه. ونحوه في الفضائل لشاذان بن جبرئيل: ١٥٤، ومستدرك الوسائل في مواضع متعدّدةٍ. إلاّ أنّ في مصباح الشريعة: «وقال بعض الأئمّة: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم بميزان الحياء قبل أن توزنوا» كما في الباب الثامن والثلاثين فيه.

نعم، رواه العامّة عن عمر بن الخطّاب مع اختلافٍ يسيرٍ في اللفظ في غيرِ واحدٍ

من كتب الحديث والتفسير والأخلاق والسير والسلوك هكذا: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا، وتزيّنوا للعرض الأكبر على الله تعالى، يومئذٍ تعرضون لا تخفى منكم خافيةٌ. اُنظر سنن الترمذي ٤:٥٤، تفسير ابن كثير ١:٢٧، محاسبة النفس لابن أبي الدنيا، الحديث٢، وقوت القلوب ١:١٣٧، كتاب محاسبة النفس ومراعاة الوقت. وأمّا الشيخ الأكبر فأورده في غير موضع من الفتوحات المكّيّة عن رسول الله(ﷺ)، فراجع باب محاسبة النفس ومراعاة الأنفاس. ولا يبعد أن يكون عمر قد سمعه عن رسول الله(ﷺ) وصرّح به دون ذكر اسمه الشريف، وليس ذلك بعزيزٍ في مجامعهم الروائيّة، فلاحظ.

وفي المقام أخبارٌ أُخر قريبة المضمون مع ما تقدّم، فلا بأس بذكر جملةٍ منها؛ إتماماً للفائدة.

فمنها: ما رواه الشيخ المفيد في الأمالي: ٣٢٩، بإسناده المتّصل عن حفص بن غياث قال: قال أبو عبدالله جعفر بن محمّد عليهما السلام:«إذا أراد أحدكم أن لا يسأل الله شيئاً إلاّ أعطاه، فلييأس من الناس كلّهم، ولا يكون له رجاءٌ إلاّ من عند الله عزّوجلّ، فإذا علم الله ذلك من قلبه لم يسأل شيئاً إلاّ أعطاه. فحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا؛ فإنّ في القيامة خمسين موقفاً، كلّ موقفٍ مثل ألف سنةٍ ممّا تعدّون» ثمّ تلا هذه الآية: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ سورة المعارج، الآية: ٤.

ومنها: ما رواه الشيخ شاذان بن جبرئيل القمّي في الفضائل: ١٥٤، بإسناده عند عبدالله بن مسعود، عن رسول الله(ﷺ)، في خبرٍ طويلٍ فيه ذكر ما رآه مكتوباً على أبواب الجنّة والنار، وفيه: «وعلى الباب السابع مكتوبٌ ثلاث كلماتٍ: حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، ووبّخوا أنفسكم قبل أن تُوبّخوا، وادعوا الله عزّوجلّ قبل أن ترِدوا عليه ولا تقدرون على ذلك».

ومنها: ما في الغرر والدرر عن مولانا أمير المؤمنين(عليه السلام) قال: «حاسبوا أنفسكم تأمنوا من الله الرهب وتدركوا عنده الرغب» وقال: «حاسب نفسك لنفسك؛ فإنّ غيرها من الأنفس لها حسيبٌ غيرك» وقال: «حاسبوا أنفسكم بأعمالها، طالبوها بأداء المفروض عليها، والأخذ من فنائها لبقائها، وتزوّدوا وتأهّبوا قبل أن تبعثوا».

ومنها: ما رواه الديلمي في أعلام الدين: ٣٣٩، عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله) في بعض خطبه أو مواعظه: «أيّها الناس، لا تشغلنّكم دنياكم عن آخرتكم، فلا تؤثروا أهوائكم على طاعة ربّكم، ولا تجعلوا إيمانكم ذريعةً إلى معاصيكم، وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، ومهّدوا لها قبل أن تعذّبوا، وتزوّدوا للرحيل قبل أن تزعجوا؛ فإنّما هو موقف عدلٍ واقتضاء حقٍ وسؤالٍ عن واجبٍ، وقد أبلغ في الإعذار من تقدّم في الإنذار».

٣. «ليس منّا من لم يحاسب نفسه...»

اُنظر الكافي ٤٥٣:٢، باب محاسبة العمل، الحديث ٢، إلاّ أنّ فيه: «فإن عمل حسناً استزاد الله»، وهو الصحيح؛ إذ الاستزادة بمعنى: طلب الزيادة، وهو المطلوب للعبد بعد فعل الحسنات، فلا يبعد وقوع السهو. كما أورد الخبر في الاختصاص: ٢٦، إلاّ أنّ فيه: «استزاد الله منه وحمد الله عليه». ونحوه ما في كتاب الزهد للحسين بن سعيد: ٧٦، عن الإمام الصادق(عليه السلام) مع اختلافٍ يسيرٍ في اللفظ. وفي تحف العقول: ٣٩٥ في وصيّة الامام الكاظم(عليه السلام) لهشام بن الحكم روايةٌ قريبةٌ من هذا المضمون مطلعها: «يا هشام، ليس منّا من لم يحاسب نفسه...». ثمّ إنّ ابن فهد الحلّي في عدّة الداعي: ٢٣٩ أورد الخبر المذكور عن أمير المؤمنين(عليه السلام) مع أدنى تفاوتٍ، ونحوه ما في مشكاة الأنوار للطبرسي: ٢٤٧ عن الإمام الرضا(عليه السلام).

٤. «لا يكون العبد مؤمناً حتّى يحاسب نفسه...»

لم نعثر على الحديث المذكور بسنده ومتنه إلاّ في هذه الرسالة، ورواه عنه في وسائل الشيعة ٩٩:١٦ والبحار ٧٢:٦٧. نعم، في وصيّة الرسول الأكرم(صلى الله عليه وآله) لأبي ذرّ: «يا أباذرّ، حاسب نفسك قبل أن تحاسب؛ فإنّه أهون لحسابك غداً، وزن نفسك قبل أن توزن، وتجهّز للعرض الأكبر، يوم تُعرض لا تخفى على الله خافيةٌ... يا أباذرّ، لا يكون الرجل من المتّقين حتّى يحاسب نفسه أشدّ من محاسبة الشريك شريكه، فيعلم: من أين مطعمه، ومن أين مشربه، ومن أين ملبسه: أمن حلٍّ ذلك أم من حرام؟». اُنظر أعلام الدين: ١٩٩، مجموعة ورّام ٦٢:٢، مكارم الأخلاق: ٤٦٧، وسائل الشيعة ٩٨:١٦، والبحار ٨٨:٧٤. ومنه انقدح ما رجّحناه آنفاه من عدم صحّة نسبة النبويّ المشهور إلى

عمر بن الخطّاب كما أخرجه العامّة؛ بعد تطابق أو تقارب ألفاظه مع وصيّة رسول الله(صلى الله عليه وآله) المتقدّمة لأبي ذرّ(رحمه الله) التي رواها الخاصّة والعامّة، فلا فضيلة له ولا كرامة، بل الدليل على خلافه، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله.

هذا وقد ورد ما يقرب من مفاد هذا الحديث الدالّ على التشديد في المحاسبة في روايات اُخر نشير هنا إلى جملةٍ منها.

فمنها: ما في الغرر والدرر عن مولانا أمير المؤمنين(عليه السلام) قال:«جاهد نفسك، وحاسبها محاسبة الشريك شريكه، وطالبها بحقوق الله مطالبة الخصم خصمه؛ فإنّ أسعد الناس من انتدب لمحاسبة نفسه».

ومنها ما في الغرر والدرر أيضاً: «قيّدوا أنفسكم بالمحاسبة، واملكوها بالمخالفة». ومنها: «من تعاهد نفسه بالمحاسبة أمن فيها المداهنة». راجع الغرر والدرر، باب محاسبة النفس.

٥. «ما من يومٍ يأتي على ابن آدم إلاّ قال ذلك اليوم...»

راجع الكافي ٢:٥٢٣، باب القول عند الإصباح والإمساء، الحديث ٨ غير أنّ فيه: «فقل فيّ خيراً واعمل...» كما أنّه أورد الخبر عن أبي عبدالله(عليه السلام). ونحوه ما في الفقيه للصدوق ٤:٣٩٧، باب النوادر، مع صدوره فيه عن مولانا أمير المؤمنين(عليه السلام)، كما في الأمالي له أيضاً، المجلس الثالث والعشرون. ورواه عنهما في الوسائل ومستدركه والبحار في غير موضع منها، فلاحظ.

وإلى هذا المعنى أشار مولانا سيّد الساجدين(عليه السلام) في دعاء الصباح والمساء قائلاً: «وهذا يومٌ حادثٌ جديدٌ، وهو علينا شاهدٌ عتيدٌ، إن أحسنّا ودّعنا بحمدٍ، وإن أسأنا فارقنا بذمّ. اللّهمّ صلّ على محمّدٍ وآله، وارزقنا حسن مصاحبته، واعصمنا من سوء مفارقته بارتكاب جريرةٍ او اقتراف صغيرةٍ أوكبيرةٍ، واجزل لنا فيه من الحسنات، واخلنا فيه من السيّئات، واملأ لنا ما بين طرفيه حمداً وشكراً وأجراً وذخراً وفضلاً وإحساناً. اللّهمّ يسّر على الكرام الكاتبين مؤنتنا، واملأ لنا من حسناتنا صحائفنا، ولا تخزنا عندهم بسوء أعمالنا» إلى آخر الدعاء الشريف، فراجع واغتنم، وتعرّض لنفحاته ولا تعرض عنها.

وفي وصايا لقمان الحكيم: يا بُني، إنّ كلّ يومٍ يأتيك يومٌ جديدٌ يشهد عليك عند

ربٍّ كريم. يا بُني، إنّك مدرجٌ في أكفانك ومحلّ قبرك ومعاين عملك كلّه. اُنظر الاختصاص: ٣٤٠، باب وصايا لقمان الحكيم لابنه.

٦. «إنّ الليل إذا أقبل نادى منادٍ بصوت يسمعه الخلائق...»

لم يرد الخبر المذكور بسنده ومتنه إلاّ في هذه الرسالة، ورواه عنه في البحار والوسائل ومستدركه في غير موضعٍ منها. وفي هذا المعنى أخبارٌ ستأتي الإشارة إليها في موطنها، فلاحظ.

٧. «فخذ منّي»

أي: تزوّد منّي.

٨. «ولم تستعتب فيّ من سيّئة»

اعتتب عن الشيء: انصرف.

٩. «إنّ الملك الموكّل بالعبد يكتب...»

اُنظر الأمالي للشيخ المفيد، المجلس الأوّل، غير أنّ فيه:«لا يكتب في صحيفته أعماله، فاملوا في أوّلها خيراً وفي آخرها خيراً»، ونحوه ما في المستدرك ٥:٢٠٤، باب استحباب الدعاء والذكر والاستعاذة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها. ورواه عنه في البحار ٨٣:٢٤٦، باب الأدعية والأذكار عند الصباح والمساء. إلاّ أنّ المصنّف رواه في فلاح السائل هكذا:«فاملئوا أوّلها وآخرها خيراً...» والمعنى واحدٌ، فراجع. وقريبٌ منه ما في كنز العمّال ١٥:٧٨١ عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) قال: «ما من حافظين رفعا الى الله تعالى ما حفظا فيرى الله في أوّل الصحيفة خيراً وفي آخرها خيراً إلاّ قال الله تعالى لملائكته: اشهدوا: أنّي قد غفرت لعبدي ما بين طرفي الصحيفة» فراجع الحديث ٤٣٠٨٠.

١٠. «طوبى لمن وجد في صحيفته...»

ورد الحديث الشريف في ثواب الأعمال للصدوق: ١٦٥، باب ثواب الاستغفار، وجامع الأخبار لتاج الدين الشعيري: ٥٦، في الفصل السادس والعشرين منه، ومكارم الأخلاق: ٣١٣، في الاستغفار والبكاء. كما رواه عنه في البحار والوسائل ومستدركه في مواضع متعدّدةٍ منها. ثمّ إنّه روي نحو هذا المضمون في عدّةٍ من الأخبار من طرق الخاصّة والعامّة.

فمنها: ما عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) أنّه قال: «من أحبّ أن تسرّه صحيفته فليكثر فيها

من الاستغفار». اُنظر كنز العمّال ٤٧٥:١، الباب الخامس، الفصل الأوّل: في الاستغفار.

ومنها: ما في كنز العمّال أيضاً من قوله(صلّى الله عليه وآله): «الاستغفار في الصحيفة يتلألأ نوراً» فراجع المصدر نفسه.

ومنها: ما رواه زرارة عن أبي عبدالله(عليه السلام) قال:«إذا أكثر العبد من الاستغفار رفعت صحيفته وهي تتلألأ». اُنظر عدّة الداعي: ٢٦٥، الباب الخامس.

ومنها ما في مستدرك الوسائل ١٢٤:١٢ عن مولانا أمير المؤمنين(عليه السلام) قال: «طوبى للعبد يستغفر الله من ذنبٍ لم يطّلع عليه غيره؛ فإنّما مثل الاستغفار عقيب الذنب مثل الماء يُصَبُّ على النار فيُطفئُها». راجع باب وجوب الاستغفار من الذنب منه.

١١. «إنّ النهار إذا جاء قال: يا ابن آدم...»

رواه الكليني في الكافي ٤٥٥:٢، باب محاسبة العمل، الحديث ١٢، ورواه عنه في البحار والوسائل ومستدركه، فراجع.

وإلى هذا المعنى يشير الحديث الوارد عن رسول الله(صلّى الله عليه وآله):«من استفتح أوّل نهاره بخيرٍ وختمه بالخير قال الله لملائكته: لا تكتبوا عليه ما بين ذلك من الذنوب». اُنظر كنز العمّال ٧٨١:١٥، الحديث ٤٣٠٨١.

١٢. «لا تقطعوا نهاركم بكذا وكذا...»

لم يرد الخبر المذكور بألفاظه إلاّ في هذه الرسالة الشريفة. نعم، في الخصال: ٦١٣ روى الصدوق(رحمه الله) بإسناده عن أبي بصير ومحمّد بن مسلم، عن أبي عبدالله(عليه السلام)، قال:«حدّثني أبي عن جدّه عن آبائه(عليهم السلام): أنّ أمير المؤمنين(عليه السلام) علّم أصحابه في مجلسٍ واحدٍ أربعمائة بابٍ ممّا يصلح للمسلم في دينه ودنياه. قال(عليه السلام): ... لا تقطعوا نهاركم بكذا وكذا وفعلنا كذا وكذا؛ فإنّ معكم حفظةً يحفظون علينا وعليكم. اذكروا الله في كلّ مكانٍ؛ فإنّه معكم...» فلاحظ. وفي تحف العقول: «ولا تقطعوا نهاركم بكيت وكيت...». اُنظر باب ما روي عن أمير المؤمنين(عليه السلام) فيه. ورواه عنهما في البحار في موضعين منه.

ثمّ إنّ في الباب عدّة أخبارٍ يجدر الإشارة اليها مع الإيجاز.

فمنها: ما عن مولانا أمير المؤمنين(عليه السلام) قال: «اعلموا ـ عباد الله ـ : أنّ عليكم

رصداً من أنفسكم، وعيوناً من جوارحكم، وحفّاظ صدقٍ يحفظون أعمالكم وعدد أنفاسكم، لا تستركم منهم ظلمة ليلٍ داجٍ، ولا يُكنّكم منهم بابٌ ذو رتاجٍ». راجع نهج البلاغة: الخطبة ١٥٧.

ومنها: ما عن زرارة قال: سمعت أبا عبدالله(عليه السلام) يقول: «ما من أحدٍ إلاّ ومعه ملكان يكتبان ما يلفظه، ثمّ يرفعان ذلك إلى ملكين فوقهما، فيثبتان ما كان من خيرٍ وشرّ، ويلقيان ما سوى ذلك». اُنظر كتاب الزهد للحسين بن سعيد، باب الملكين وما يحفظان.

ومنها: ما أورده الشريف الرضي عن مولانا أمير المؤمنين(عليه السلام) قال: «فاتّقوا الله الذي أنتم بعينه، ونواصيكم بيده، وتقلّبكم في قبضته. إن أسررتم علمه، وإن أعلنتم كتبه، وقد وكّل بذلك حفظةً كراماً لا يسقطون حقّاً ولا يثبتون باطلاً» فراجع النهج، الخطبة ١٨٣.

ومنها: أنّه مرّ أمير المؤمنين علي(عليه السلام) برجلٍ وهو يتكلّم بفضول الكلام فقال: «يا هذا، إنّك تُملي على ملكيك كتاباً إلى ربّك، فتكلّم بما يعنيك، ودع ما لا يعنيك». اُنظر الاعتقادات: ٢٣.

هذا وقد عقد المرحوم المجلسي في الجزء الخامس من البحار باباً تحت عنوان: أنّ الملائكة يكتبون أعمال العباد، فراجع وتدبّر.

١٣. «لا يغرّنّك الناس من نفسك...»

اُنظر الكافي ٢: ٤٥٤، باب محاسبة العمل، الحديث ٣، إلاّ أنّ فيه:«أحسن دركاً». وفي العلل رواه الصدوق عن عبدالعظيم الحسني بإسناده المتّصل عن محمّد بن علي(عليه السلام) أنّه قال لمحمّد بن مسلم: «يا محمّد بن مسلم، لا يغرّنّك الناس من نفسك؛ فإنّ الأمر يصل إليك دونهم، ولا تقطع النهار عنك كذا وكذا؛ فإنّ معك من يحصي عليك، ولا تستصغرنّ حسنةً تعمل بها؛ فإنك تراها حيث تسوئك، وأحسن؛ فإنّي لم أر شيئاً قطّ أشدّ طلباً ولا أسرع دركاً من حسنةٍ محدثةٍ لذنبٍ قديمٍ». فراجع باب نوادر العلل منه. وفي الاختصاص: ٢٣١ نحوه عن الصادق (عليه السلام)، إلاّ أنّ فيه:«ولا تستقلّ قليل الخير؛ فإنّك تراه غداً بحيث يسرّك، ولا تستقلّ قليل الشرّ؛ فإنّك تراه غداً بحيث يسوؤك، وأحسن...». ونحوه في أمالي الشيخ المفيد، في المجلس الثامن، الحديث

٣، وكتاب الزهد، باب الأدب والحثّ على الخير، ومجموعة ورّام ٢:٣٠٥، ومشكاة الأنوار، الباب الثاني، الفصل الثالث: في آداب الشيعة. ورواها عنه في البحار والوسائل في غير موضع منهما، فلاحظ.

هذا وقد أفاد المولى الصالح المازندراني في تعليقته الثمينة على أُصول الكافي ١٠:٢٠٥ في بيان الحديث المتقدّم ما يلي: لمّا كان أكثر الناس في غفلةٍ ـ كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «الناس نيامٌ: إذا ماتوا انتبهوا» ـ حذّرك أوّلاً عن متابعتهم وتقريرهم إيّاك، وعلّل ذلك: بأنّ أمرك في الغفلة واليقظة إنّما يصل إليك لا إليهم، فترحّم على نفسك، ولا تتبّعهم في أعمالهم. ونهاك ثانياً أن تصرف عمرك في نهارك الذي أنت فيه، وتقدر على العمل فيما صرفوا فيه أعمارهم من المباحات والمحرّمات، وعلّل ذلك: بأنّ معك من يحفظ عليك عملك، وسترى ما عملت من خيرٍ وشرّ حاضراً. فينبغي أن تقول: هذا يومٌ جديدٌ قد أمهلني الله فيه، ولو قصّرت فيه لقلت بعد الموت: ربّ ارجعني لعلّي أعمل صالحاً، فاحسب أنّك رُددت، فجُد فيه، واعمل عملاً صالحاً. وأمرك ثالثاً بالإحسان، ولعلّ المراد به الإحسان إلى نفسك بتزكيتها، أو إحسان العبادة بفعلها في أوقاتها مقرونةً بأركانها وشرائطها المعتبرة في تحقّقها وكمالها، وعلّل ذلك بأنّها درك حسن تامّ لذنبٍ قديم، أي: يتدارك بها ذلك الذنب، وطالب سريع له ليدفعه، فهي في ذاتها طاعةٌ توجب أمراً جزيلاً، ومحبطةٌ لذنبٍ سابقٍ، كما قال عزّوجلّ: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّـيِّئَات﴾ [سورة هود، الآية: ١١٤] انتهى كلامه رفع مقامه، فراجع.

تعاليق الباب الثالث

١. أنّ يوم الاثنين ويوم الخميس تُعرض فيه الأعمال على الله...

لم يرد في عرض الأعمال على الله تعالى شأنه إلاّ روايتان من طرق الخاصّة: الأُولى أوردها الصدوق في عيون أخبار الرضا(عليه السلام) بسنده المتّصل إلى الحسين بن علي(صلى الله عليه وآله) قال:«إنّ أعمال هذه الأُمّة ما من صباحٍ إلاّ وتُعرض على الله تعالى». راجع باب فيما جاء عن الرضا(عليه السلام) من الأخبار المجموعة، الحديث ١٥٦. والثانية رواها محمّد بن الحسن الصفّار في بصائر الدرجات عن يونس عن أبي الحسن الرضا(عليه السلام) قال: سمعته يقول في الأيّام حين ذكر يوم الخميس فقال: «هو يوم تُعرض فيه الأعمال على الله وعلى رسوله وعلى الأئمّة». اُنظر البصائر، باب عرض الأعمال على الأئمّة الأحياء والأموات، الحديث ٩. وأمّا خصوص عرض الأعمال على الله تعالى في يومي الاثنين والخميس ففيه عدّة أخبارٍ نقلها العامّة في كتبهم كما سيأتي من المصنّف التعرّض لها، فلاحظ.

٢. ما ذكره جدّي أبو جعفر الطوسي...

راجع التبيان في تفسير القرآن ٥:٢٩٥، تفسير سورة التوبة، الآية: ١٠٥. ولعلّ المراد من الخبر المذكور ما رواه صاحب التبيان نفسه في مجالسه عن إبراهيم الأحمري بسنده المتّصل عن سدير عن أبي جعفر(عليه السلام) قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو في نفرٍ من أصحابه: إنّ مقامي بين أظهركم خيرٌ لكم، وإنّ مفارقتي إيّاكم خيرٌ لكم. فقام

إليه جابر بن عبد الله الأنصاري وقال: يا رسول الله، أمّا مقامك بين أظهرنا فهو خيرٌ لنا، فكيف تكون مفارقتك إيّانا خيراً لنا. فقال (صلى الله عليه وآله): أمّا مقامي بين أظهركم خيرٌ لكم لأنّ الله عزّوجلّ يقول: ﴿وما كان الله ليعذّبهم وأنت فيهم وما كان الله معذّبهم وهم يستغفرون﴾ يعني: يعذّبهم بالسيف. فأمّا مفارقتي إيّاكم فهو خيرٌ لكم؛ لأنّ أعمالكم تُعرض علي كلّ اثنينٍ وخميسٍ، فما كان من حسنٍ حمدت الله تعالى عليه، وما كان من سيّئٍ استغفرت لكم». راجع الأمالي، المجلس الرابع عشر، الحديث ٦٥. وقريبٌ منه ما رواه العيّاشي في تفسيره ٢:٥٤، تفسير سورة الأنفال. ورواه عنه في البحار والوسائل ومستدركه في غير موضعٍ منها. وروي نحوه كما سيأتي من المصنّف في محلّه، فانتظر. ثمّ إنّ العلاّمة المجلسيّ في البحار عقد باباً مستقلًّا تحت عنوان: عرض الأعمال عليهم(عليهم السلام) وأنّهم الشهداء على الخلق، فراجع الجزء الثالث والعشرين منه.

٣. ﴿و قل اعملوا فسيرى الله عملكم و رسوله و المؤمنون﴾

سورة التوبة، الآية: ١٠٥.

٤. ما رواه الفضل بن الحسين الطبرسي...

اُنظر مجمع البيان في تفسير القرآن ٥:١١٩، تفسير سورة التوبة، الآية: ١٠٥، ونحوه أيضاً تفسير جوامع الجوامع ٣:٩٣.

٥. «هم الأئمّة (عليهم السلام)»

أورد الحديث المذكور الكليني في الكافي ١:٢١٩، باب عرض الأعمال على النبي(صلى الله عليه وآله) والأئمّة(عليهم السلام)، الحديث٢. ونحوه ما في بصائر الدرجات: ٤٤٧ عن الحسين بن سعيد عن الميثمي. وفي خبرٍ آخر فيه وردت الزيادة التالية: «هم الأئمّة تعرض عليهم أعمال العباد كلّ يومٍ إلى يوم القيامة» فراجع باب عرض الأعمال على الأئمّة الأحياء والأموات.

٦. «إيّانا عنى»

راجع بصائر الدرجات: ٤٤٧، باب عرض الأعمال، الحديث١. وفي أمالي الشيخ الطوسي عن ابن اُذينة قال: كنت عند أبي عبدالله(عليه السلام) فقلت، له: جُعلت فداك، أخبرني عن قول الله عزّوجلّ: ﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾

قال: «إيّانا عنى» فراجع المجلس الرابع عشر، الحديث ٦٦.

٧. محمّد بن العبّاس بن مروان في كتابه الذي صنّفه...

قال النجاشي في ترجمته: ثقة ثقة، من أصحابنا، عين، سديد، كثير الحديث. له كتاب المقنع في الفقه، كتاب الدواجن، كتاب ما نزل من القرآن في أهل البيت(عليهم السلام). وقال جماعةٌ من أصحابنا: إنّه كتابٌ لم يصنّف في معناه مثله. وقيل: إنّه ألف ورقة. راجع رجال النجاشي: ٣٧٩، رقم ١٠٣٠. وإنّما ذكرنا ترجمته باختصارٍ للتنبيه على أنّ كتابه مفقودٌ، كما أشار إليه غير واحدٍ من أساطين علم الرجال.

٨. وددت أنّك عمّرت فينا عمر نوح (عليه السلام)...

لم نعثر على هذا الخبر بسنده ومتنه في مصادر العامّة المتوفّرة لدينا. نعم، أخرج الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٤:٩ عن ابن مسعود قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): «حياتي خيرٌ لكم: تحدّثون وتحدّث لكم. ووفاتي خيرٌ لكم: تُعرض علي أعمالكم: فما رأيت من خيرٍ حمدت الله عليه، وما رأيت من شرٍّ استغفرت الله لكم». أمّا السيوطي فأخرج الحديث في الجامع الصغير ٥٨٢:١ بالنحو التالي: «حياتي خيرٌ لكم: تحدّثون ويحدّث لكم. فإذا أنا متّ كانت وفاتي خيراً لكم: تُعرض علي أعمالكم: فإن رأيت خيراً حمدت الله، وإن رأيت شرّاً استغفرت لكم». ونحوه ما في كنز العمّال ٤٠٧:١١ مرسلاً عن بكر بن عبدالله، وكشف الخفاء ٣٦٨:١، والطبقات الكبرى ١٩٤:٢ مع أدنى تفاوتٍ. وأمّا من طرق الخاصّة فقد أورد الصدوق في معاني الأخبار: ٤١٠ عن أنس قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): «حياتي خيرٌ لكم، ومماتي خيرٌ لكم. أمّا حياتي فتحدّثوني وأُحدّثكم، وأمّا موتي فتعرض علي أعمالكم عشيّة الاثنين والخميس: فما كان من عملٍ صالحٍ حمدت الله عليه، وما كان من عملٍ سيّئٍ استغفرت الله لكم». إلاّ أنّ في من لا يحضره الفقيه ١٩١:١ روى الخبر التالي: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): «حياتي خيرٌ لكم ومماتي خيرٌ لكم». قالوا: يا رسول الله، وكيف ذلك؟ فقال صلّى الله عليه وآله: «أمّا حياتي فإنّ الله عزّوجلّ يقول: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾. وأمّا مفارقتي إيّاكم فإنّ أعمالكم تعرض علي كلّ يوم: فما كان من حسنٍ استزدت الله لكم، وما كان من قبيحٍ استغفرت الله لكم». قالوا: وقد رممت يا رسول الله ـ يعنون: صرت رميماً!

ـ فقال: «كلاّ، إنّ الله تبارك وتعالى حرّم لحومنا على الأرض أن تطعم منها شيئاً». راجع باب نوادر المعاني منه، الحديث ٥٨٢. ورواه عنها في البحار والوسائل ومستدركه في مواضع متعدّدةٍ منها.

ثمّ إنّ المصنّف في سعد السعود: ٩٨ بعد أن أورد الخبر بسنده ولفظه أشار إلى الفائدة التالية قائلاً: إنّ استبعاد المنافقين لعرض الأعمال عليه(صلى الله عليه وآله) ـ في غير موضع الاعتراض عليه ـ لأنّهم يرون الأرواح تفارق الأجساد على العيان، والأجساد باقية كما كانت، ما تغيّر منها شيءٌ في ظاهر الوجدان. فهلاّ جوّزوا عرض الأعمال على الأرواح، كما يرون أنّ النائم كالميّت وهو ـ مع هذه الحالة ـ يرى في منامه الأُمور العظيمة التي يحتاج إلى زمانٍ طويلٍ في أوقاتٍ قليلةٍ! ولقد كان لهم في ظهور صدقه صلى الله عليه وآله على تطاول الأزمان ما يقتضي التجويز، وإلاّ تقدّموا على الطعن بما يجوز فيما يجوز في الإمكان...

٩. ما رويته أيضاً من طريق الجمهور من صحيح مسلم...

إنّما أورد مسلم في صحيحه ٨: ١١ـ١٢ حديثين في كتاب البرّ والصلة والآداب ممّا يرتبط بالباب: الأوّل: ما عن أبي هريرة أنّ رسول الله(صلى الله عليه وآله) قال: «وتفتح أبواب الجنّة يوم الاثنين ويوم الخميس، فيغفر لكلّ عبدٍ لا يشرك بالله شيئاً إلاّ رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أُنظروا هذين حتّى يصطلحا، انظروا هذين حتّى يصطلحا، أُنظروا هذين حتّى يصطلحا». والثاني: ما ذكره المصنّف في هذه الرسالة مع اختلافٍ في اللفظ. والغرض هنا الإشارة إلى ما رواه الجمهور في المقام.

١٠. تفضيل يوم الاثنين ويوم الجمعة

لعلّ مراده: يوم الاثنين ويوم الخميس من كلّ جمعةٍ، وفي النسخة المطبوعة: يوم الاثنين ويوم الخميس، وهو المطلوب؛ إذ لا أثر لتفضيل يومي الاثنين والجمعة بالخصوص في صحيح مسلم، فلاحظ.

١١. «تعرض أحوال اُمّتي في كلّ جمعةٍ مرّتين...»

في صحيح مسلم ٨:١٢ أخبرنا مالك بن أنس عن مسلم بن أبي مريم عن أبي صالح عن أبي هريرة عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) قال: «تُعرض أعمال الناس في كلّ جمعةٍ مرّتين: يوم الاثنين ويوم الخميس، فيغفر لكلّ عبدٍ مؤمنٍ إلاّ عبداً بينه وبين أخيه

شحناء، فيقال: اتركوا أو اركوا هذين حتّى يفيئا» فراجع وتأمّل. ورواه عنه في تحفة الأحوذي ٣٧٥:٣ وكنز العمّال ٤٦٤:٣ ونحوهما، كما أخرجه مالك في كتاب الموطّأ ٩٠٩:٢ مع أدنى تفاوتٍ في اللفظ. وأمّا من طرق الشيعة فقد أورد الكراجكي في كنز الفوائد ٣٠٧:١ الخبر المذكور بالسند نفسه، إلاّ أنّه ورد في آخره: «إلاّ من كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: اُتركوا هذين حتّى يصطلحا». ورواه عنه في البحار ٢٣٦:٧١ ومستدرك الوسائل ٨٠:٩ ثمّ إنّ الشيخ في أماليه أخرج في وصيّة رسول الله(صلى الله عليه وآله) لأبي ذرّ ما يلي: «يا أبا ذرّ، تُعرض أعمال أهل الدنيا على الله من الجمعة الى الجمعة في يوم الاثنين والخميس، يغفر لكلّ عبدٍ مؤمنٍ إلاّ عبداً كان بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: اُتركوا عمل هذين حتّى يصطلحا» فراجع المجلس التاسع عشر منه. ونحوه ما في مكارم الأخلاق للطبرسي: ٤٧٠، الباب الثاني عشر، الفصل الخامس، غير أنّ فيه: «فيستغفر لكلّ عبدٍ مؤمنٍ...».

١٢. «شحناء، فيقول: اتركوا وارجئوا هذين الاثنين حتّى يفيئا»

شحناء أي: حقد وعداوة وبغضاء، وارجئوا أي: أخّروا وأجّلوا، ويفيئا أي: يرجعا إلى الصلح.

١٣. محمّد بن عمران المرزباني في الجزء السابع من كتاب الأزمنة...

لم نعثر على الكتاب المذكور. ثمّ إنّ صاحب الذريعة ٥٣١:١ نقل عن ابن النديم في الفهرس أنّ عدد ورقه ألفا ورقة، وفيه أحوال الفصول الأربعة والحرّ والبرد ونحو ذلك، ثمّ ذكر طرفاً من أمر الفلك والبروج والشمس وأيّام العرب والعجم والشهور والسنين. وأمّا مؤلّفه فقد حكى السيّد الخوئي في معجم رجال الحديث ٨٨:١٨ عن الشيخ الحرّ العاملي نقلاً عن ابن خلّكان أنّه كان ثقة في الحديث ومائلاً إلى التشيّع، كما روى عنه السيّد المرتضى كثيراً في الدرر والغرر.

١٤. كان رسول الله(صلى الله عليه وآله) يصومُ الاثنين والخميس... «فأحبُّ أن يرفع عملي وأنا صائم».

وردت أخبارٌ مستفيضةٌ في صيام رسول الله(صلى الله عليه وآله) الاثنين والخميس من طرق العامّة مع التعليل المذكور، حسبما اُشير إليه في مسند أحمد ٣٢٩:٢، ٥: ٢٠٥ـ ٢٠٦،

٥:٢٠٩، ٦:٢٨٧، سنن الدارمي ٢:٢٠، سنن ابن ماجة ١:٥٥٣، سنن النسائي ٤: ٢٠٣ـ٢٠٤، السنن الكبرى ٤:٢٩٣، ونحوه ما في مجمع الزوائد ومسند أبي داود ومصنّف ابن أبي شيبة والسنن الكبرى للنسائي والمعجم الكبير والجامع الصغير وكنز العمّال وتفسير ابن كثير والطبقات الكبرى وتهذيب الكمال وسير أعلام النبلاء والبداية والنهاية في مواضع متعدّدةٍ منها. وإليك ما رواه أحمد بن حنبل عن أبي هريرة من أنّ رسول الله(صلّى الله عليه وآله) كان أكثر ما يصوم الاثنين والخميس. قال: فقيل له، قال: فقال: «إنّ الأعمال تعرض كلّ اثنينٍ وخميسٍ، فيغفر الله لكلّ مسلم ـ أو لكلّ مؤمن ـ إلاّ المتهاجرين». وقريبٌ منه ما رواه في مسنده أيضاً عن أُسامة بن زيد قال: إنّ رسول الله(صلّى الله عليه وآله) كان يصوم الاثنين والخميس، فقلت: يا رسول الله، لم تصوم الاثنين والخميس؟ قال: «إنّ الأعمال تعرض يوم الاثنين ويوم الخميس». وفي سنن الترمذي ٢:١٢٤ عن أبي هريرة أنّ رسول الله(صلّى الله عليه وآله) قال: «تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس، فأحبّ أن يعرض عملي وأنا صائم». وليلاحظ: أنّه لم ترد ولو روايةٌ واحدةٌ من طرق الشيعة في خصوص استحباب صوم الاثنين والخميس، بل وردت أخبار أُخر مفادها أنّ النبي (صلّى الله عليه وآله) كان يصومهما في أوّل الأمر ثمّ تحوّل إلى صيام أيّام أُخر، فراجع مدارك الأحكام ٦: ٢٧٠، الحدائق الناضرة ١٣:٣٧٧، وفقه الصادق(عليه السلام) ٨:٣٣٦. كما أنّ التعليل المذكور في ذيل الأخبار المتقدّمة ـ أي: قوله (صلّى الله عليه وآله): «فأحبُّ أن يعرض عملي وأنا صائم» ـ لم يرد بخصوصه من طرقنا إلاّ في صوم يوم الخميس ـ كما سيأتي ـ وصوم شهر شعبان مع تفاوتٍ يسير، حسبما أخرجه الصدوق في فضائل الأشهر الثلاثة: ٥١ عن أبي سعيد المقري قال: حدّثني أُسامة بن زيد قال: كان رسول الله يصوم الأيّام حتّى يُقال: لا يفطر، ويفطر حتّى يُقال: لا يصوم. قلت: رأيته يصوم من شهرٍ ما لا يصوم في شيءٍ من الشهور؟ قال: نعم. قلت: أيّ الشهور؟ قال: شهر شعبان كانَ يقول: «هو شهرٌ يغفل الناس عنه بين رجب وشهر رمضان، وهو شهرٌ يرفع فيه الأعمال إلى ربّ العالمين جلّ جلاله، فأحبّ أن يرفع لي عملي وأنا صائمٌ». هذا وليعلم: أنّ الرفع غير العرض، فتأمّل.

١٥. «ما من يوم اثنينٍ ولا خميسٍ إلاّ ترفع فيهما الأعمال...»

لم نعثر على الخبر المذكور بسنده ومتنه من طرق العامّة فضلاً عن طرقنا. نعم، أخرج الطبراني ٤:١٥٠ عن أبي أيّوب عن النبيّ(صلّى الله عليه وآله) قال: «ما من يوم اثنينٍ أو خميسٍ إلاّ

يرفع فيهم الأعمال إلاّ أعمال المتهاجرين». ورواه عنه في كنز العمّال ٩:٤٧، الحديث ٢٤٨٦٧ مع أدنى تفاوتٍ، وقريبٌ منه ما في كشف الخفاء للعجلوني ٢:٣٠٥.

١٦. «عمل المقادير»

احتمل صاحب البحار ٥٦:٤٩ كون المراد من عمل المقادير الأعمال التي لا اختيار للعبد فيها؛ باعتبار أنّها ليست محلاًّ للتكليف.

١٧. وروى حديثين آخرين في عرض الأعمال...

لعلّ الحديثين هما الأوّل: ما أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١:١٦٧ عن أُسامة بن زيد عن النبيّ(صلى الله عليه وآله) قال: «تعرض الأعمال على الله عزّوجلّ يوم الاثنين والخميس، فيغفر الله إلاّ ما كان من متشاحنين أو قاطع رحم». والثاني: ما أورده في كنز العمّال ١٦:٤٦٩ عن والد عبدالعزيز عن رسول الله(صلى الله عليه وآله)قال: «تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس على الله، وتعرض على الأنبياء وعلى الآباء والأُمّهات يوم الجمعة» الخبر. هذا مع أنّنا لم نعثر على خبرٍ عن أبي أيّوب في خصوص عرض الأعمال يومي الاثنين والخميس.

١٨. وجدنا الأخبار النبويّة والآثار المحمّديّة متضمّنةً...

كما تقدّمت الإشارة إلى جملةٍ منها، فلاحظ.

١٩. ونتوسّل إليك بكلّ وسيلة لها قبول لديك...

الوسيلة: التوصّل إلى الشيء برغبةٍ، كما أفاده الراغب الأصفهاني، وحقيقتها مراعاة سبيله بالعلم والعبادة وتحرّي مكارم الشريعة، وإليه يشير قوله تعالى: ﴿وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ﴾ سورة المائدة، الآية: ٣٥. ولقد أجاد السيّد عبدالأعلى السبزواري في مقام تفسيره الآية المتقدّمة حيث قال: لا ريب أنّ التقرّب إليه تعالى والتوسّل به إلى ثوابه والزلفى منه إنّما يشترط أن يكون موافقاً لما ورد في الشرع المبين، كما أنّ فعل الطاعات وترك المعاصي لابدّ أن يكون مع العلم وتحرّي مكارم الشريعة... وموافقة الشرع المبين من مقوّمات التقرّب إلى الله تعالى، ومن هنا كان ابتغاء الوسيلة إليه عزّوجلّ من شؤون العبوديّة لله تعالى التي لا تتحقّق إلاّ بايجاد الرابطة بين العبد وربّه. فيكون المراد من ابتغاء الوسيلة ابتغاء الطاعة لله تعالى التي لا يمكن أن تتحقّق إلاّ ببذل العبوديّة وتوجيه المسكنة والفقر إليه عزّوجلّ والتضرّع لدى جنابه والخشية منه

تعالى... راجع مواهب الرحمن ٢١٥:١١. وبهذا يتّجه ما ورد عن مولانا الرضا(عليه السلام) قال: «قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): الأئمّة من ولد الحسين عليه السلام... هم العروة الوثقى، وهم الوسيلة إلى الله عزّوجلّ». أُنظر عيون أخبار الرضا(عليه السلام) ٦٣:٢، باب فيما جاء عن الرضا(عليه السلام) من الأخبار المجموعة، الحديث ٢١٧.

٢٠. مجانبة

أي: مباعدة.

٢١. برحمتك يا أرحم الراحمين

ومن المناسب أن نختم ـ بل نفتتح ـ ما ورد على لسان المصنّف من المناجاة هنا بدعاء الإمام سيّد الساجدين عليه آلاف التحيّة والثناء في الصباح والمساء، مع أنّه قبسٌ منه وتلميحٌ إليه كما لا يخفى، فإليك بعض فقراته الشريفة: «اللّهمّ يسّر على الكرام الكاتبين مؤنتنا، واملأ لنا من حسناتنا صحائفنا، ولا تخزنا عندهم بسوء أعمالنا. اللّهمّ اجعل لنا في كلّ ساعةٍ من ساعاته حظّاً من عبادك ونصيباً من شكرك وشاهد صدقٍ من ملائكتك. اللهمّ صلّ على محمّدٍ وآله، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا وعن أيماننا وعن شمائلنا ومن جميع نواحينا حفظاً عاصماً من معصيتك، هادياً إلى طاعتك، مستعملاً لمحبّتك. اللّهمّ صلّ على محمّدٍ وآله، ووفّقنا في يومنا هذا وليلتنا هذه وفي جميع أيّامنا لاستعمال الخير، وهجران الشرّ، وشكر النعم، واتّباع السنن، ومجانبة البدع، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وحياطة الإسلام، وانتقاص الباطل وإذلاله، ونصرة الحقّ وإعزازه، وإرشاد الضالّ، ومعاونة الضعيف، وإدراك اللهيف. اللّهمّ صلّ على محمّدٍ وآله، واجعله أيمن يوم عهدناه، وأفضل صاحبٍ صحبناه، وخير وقتٍ ظللنا فيه، واجعلنا من أرضى من مرّ عليه الليل والنهار من جملة خلقك، أشكرهم لما أوليت من نعمك، وأقومهم بما شرعت من شرائعك، وأوقفهم عمّا حذّرت من نهيك». فتدبّر واغتنم.

٢٢. فصل: في فضل الصلاة على محمّد وآله

وجه الصلة بين الفصل وما سبقه هو: أنّ الأعمال تعرض على النبي وأهل بيته (صلوات الله عليهم أجمعين) يوم الخميس، فناسب أن يقع فيه العبادة والذكر كالصلاة

على محمّدٍ وآله؛ ليوافق العرض ذكر الله وطاعته.

٢٣. «إذا كان يوم الخميس عند العصر أهبط الله عزّوجلّ ملائكة...»

الحديث المذكور من مواهب هذه الرسالة الشريفة؛ إذ لم نعثر عليه بسنده ولفظه في غيره من مصادر الخاصّة والعامّة، ورواه عنه المجلسي في البحار في موضعين منه: الأوّل: في الجزء الخامس، الباب ١٧، باب أنّ الملائكة يكتبون أعمال العباد، الحديث ٣١، والثاني: في الجزء السادس والثمانين، الباب ٤، أعمال يوم الجمعة وآدابه ووظائفه، الحديث ٤٠. نعم، أخرجه البيهقي في فضائل الأوقات: ٥٠١ عن مولانا الصادق(عليه السلام)، إلاّ أنّ فيه: «تكتب الصلاة على محمّدٍ صلّى الله عليه وآله وسلّم في ذلك اليوم وتلك الليلة إلى الغد إلى غروب الشمس». ثمّ إنّ في المقام أخباراً أُخر قريبة المضمون مع الحديث المتقدّم، فلا بأس بذكر جملةٍ منها.

فمنها: ما عن عمر بن يزيد قال: قال لي أبو عبدالله(عليه السلام): «يا عمر، إنّه إذا كانت ليلة الجمعة نزل من السماء ملائكة بعدد الذرّ، في أيديهم الذهب وقراطيس الفضّة، لا يكتبون إلى ليلة السبت إلاّ الصلاة على محمّدٍ وآل محمّدٍ صلّى الله عليه وعليهم، فأكثر منها» راجع الكافي ٣:٤١٦.

ومنها: ما عن القدّاح عن أبي عبدالله(عليه السلام) قال: «قال رسول الله(صلّى الله عليه وآله): أكثروا من الصلاة علي في الليلة الغرّاء واليوم الأزهر: ليلة الجمعة ويوم الجمعة. فسئل: إلى كم الكثير؟ قال: إلى مائةٍ، ومازادت فهو أفضل». اُنظر الكافي ٣:٤٢٨.

ومنها: ما عن عبدالله بن سنان قال: قال أبو عبدالله(عليه السلام): «إذا كانت عشيّة الخميس وليلة الجمعة نزلت ملائكةٌ من السماء ومعها أقلام الذهب وصحف الفضّة، لا يكتبون عشيّة الخميس وليلة الجمعة ويوم الجمعة إلى أن تغيب الشمس إلاّ الصلاة على النبي صلّى الله عليه وآله». اُنظر من لا يحضره الفقيه ١:٤٢٤.

٢٤. يستحبّ أن يستغفر الله بهذا الاستغفار.. يقول: «أستغفر الله...»

كما أشار إليه الشيخ الطوسي في مصباحه: ٢٥٧، في أعمال يوم الخميس مع أدنى تفاوتٍ، ورواه المصنّف في جمال الأُسبوع: ١٢١ بلفظه ومتنه، ونحوه ما في البحار ٨٧:٢١٥، والبلد الأمين: ١٤١.

٢٥. «صرفاً ولا عدلاً»

الصرف: التوبة أو النافلة، والعدل: الفدية أو الفريضة.

٢٦. «اللّهمّ خالق قبور النبيّين وموضع قبور قلوب العالمين...»

حسبما رواه الشيخ في المصباح أيضاً: ٢٥٨، إلاّ أنّ فيه: «خالق نور النبيّين وموزّع قبور...» ونحوه ما في جمال الأُسبوع: ١٨١، والبلد الأمين: ١٤١ مع تفاوتٍ يسيرٍ، ورواه عنها في البحار ٨٧:٢١٥، في باب أعمال الأُسبوع وأدعيتها وصلواتها، فلاحظ.

٢٧. عنودي

أي: مخالفتي له وتباعدي عنه.

٢٨. «آخر خميس في الشهر ترفع فيه الأعمال»

راجع علل الشرائع ٢:٣٨١، الباب ١١٢، الحديث ٣. ورواه عنهما في البحار والوسائل ومستدركه في مواضع متعدّدةٍ منها، كما ذكره المصنّف في الدروع الواقية: ٢٦٨ بسنده ومتنه، ورواه أيضاً بطريقٍ آخر فيه، فلاحظ.

٢٩. «آخر خميس في الشهر ترفع فيه أعمال الشهر»

رواه المصنّف بطريقٍ آخر في الدروع الواقية: ٢٦٧، ولم نعثر عليه في غيرهما. نعم، رواه عنهما في البحار في غير موضعٍ منه، فراجع.

٣٠. وروي في ذلك أخبارٌ متظاهرةٌ

لم نعثر في خصوص هذا الباب إلاّ على الحديثين المتقدّمين. نعم، روى الصدوق في العلل ١:٢٧١ والعيون ٢:١١٧ خبراً عن مولانا الصادق(عليه السلام) قال: «يعرض كلّ خميسٍ أعمال العباد على الله عزّوجلّ، فأحبُّ أن يعرض عمل العبد على الله وهو صائمٌ». ويُلاحظ: أنّ بينهما فرقاً، فتدبّر.

تعاليق الباب الرابع

١. شهر رمضان

قال الله تعالى شأنه: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

وروي عن مولانا الباقر(عليه السلام) أنّه قال: «خطب رسول الله صلّى الله عليه وآله الناس في آخر جمعةٍ من شعبان، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: أيّها الناس، قد أظلّكم شهر فيه ليلةٌ خيرٌ من ألف شهر، وهو شهر رمضان... فمن تطوّع بصلاة ليلةٍ فيه كان كمن تطوّع بسبعين ليلةٍ فيما سواه من الشهور، وجعل لمن تطوّع فيه بخصلةٍ من خصال الخير والبرّ كأجر من أدّى فريضةً من فرائض الله تعالى. ومن أدّى فيه فريضةً من فرائض الله تعالى كان كمن أدّى سبعين فريضةً من فرائض الله تعالى فيما سواه من الشهور». راجع المقنعة: ٣٠٦. وقال مولانا الصادق(عليه السلام): «إنّ أبواب السماء لتفتح في شهر رمضان، وتصفد فيه الشياطين، وتقبل فيه أعمال المؤمنين. نِعم الشهر: كان يسمّى على عهد رسول الله(صلّى الله عليه وآله) المرزوق». اُنظر المصدر السابق: ٣٠٩.

٢. الأشهر الحرم

وهي أربعة: رجب وذو القعدة وذو الحجّة والمحرّم. وفيها قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحِلُّواْ شَعَآئِرَ اللهِ وَلاَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ سورة المائدة، الآية: ٢. والمراد من إحلال الشهر الحرام عدم حفظ حرمته والقتال فيه، كما أفاده العلاّمة الطباطبائي في

الميزان ٥:١٦٢. ولا يخفى شرافة هذه الأشهر وعظمة حقّها عند الله جلّ جلاله، ولم يزل الصالحون من أهل الله يراعون أيّامها ويراقبون وقائعها؛ راجين إقامة العبادات فيها، والقرب بالطاعات والتعظيم والإجلال. فمن الحريّ للعبد السالك أن يتوسّل إلى ساحة الكبرياء والعظمة بالمراقبة والمحاسبة في مختلف لياليها وأيّامها، ويتعرّض لنفحات اُنسها ونسائم قدسها، والله الهادي.

٣. الأيّام المعلومات والأيّام المعدودات

قال تعالى: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ سورة الحجّ، الآية: ٢٨، وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرُواْ اللهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ سورة البقرة، الآية ٢٠٣. وقد اختلف المفسّرون ـ تبعاً لاختلاف الروايات ـ في ما هو المراد من الأيّام في الآيتين الكريمتين، فقيل: إنّ الأيّام المعلومات هي الأيّام العشرة الأُولى من ذي الحجّة، وأمّا الأيّام المعدودات فهي أيّام التشريق ـ بلحاظ إشراق القلوب فيها ـ أي: اليوم الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر من ذي الحجّة. وكيفما كان فالغرض هو الاهتمام بذكر الله جلّ جلاله في أيّامٍ معيّنةٍ منه.

و أورد الحويزي في تفسيره نور الثقلين ٣:٤٩٠ عن أبي عبد الله(عليه السلام) قال: «قال علي(عليه السلام) في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾: قال: أيّام العشرة». وفيه عنه(عليه السلام) أيضاً قال: «قال أبي(عليه السلام): ... وأمّا معدودات قال: أيّام التشريق». وممّا يتعلّق بفضيلة الأيّام المذكورة أورد المصنّف في الإقبال ٢:٣٥ عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) قال: «ما من أيّامٍ أزكى عند الله تعالى ولا أعظم أجراً من خيرٍ في عشر الأضحى» الخبر.

وفي المقام أخبارٌ مستفيضةٌ من طرق العامّة منها: ما عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): «ما من أيّام أعظم عند الله ولا أحبّ إليه العمل فيهنّ من أيّام العشر، فأكثروا فيهنّ التسبيح والتهليل». راجع المعجم الكبير للطبراني ١١:٦٩، كنز العمّال ٨:٥٧٩ و١٢:٣١٦ـ٣١٩، والجامع الصغير ١:١٩٤.

٤. وغيرها من الأوقات المحرّمات

نحو ما ورد في فضيلة وشرف أيّام ولادة الرسول الأعظم والصدّيقة الطاهرة

والأئمّة الكرام عليهم آلاف التحيّة والثناء بما يكلّ عنه اللسان ويعجز عنه البيان، وكذا ليلة الفطر ويومه، ويوم دحو الأرض، ويوم البعثة الشريفة، وليلة عرفة ويومها، ويوم الغدير والمباهلة، وليلة الجمعة ويومها، ونحوها ممّا فيها من آثار رحمة الله جلّ جلاله، وما نزل فيها من ذخائر بركاته وأنوار جماله ـ اللّهمّ ارزقنا.

٥. المسجد الحرام والكعبة ومسجد النبي(صلى الله عليه وآله) وبيت المقدس

فبالإسناد عن أمير المؤمنين(عليه السلام) قال: «أربعةٌ من قصور الجنّة في الدنيا: المسجد الحرام، ومسجد الرسول، ومسجد بيت المقدس، ومسجد الكوفة» رواه الشيخ في أماليه:٣٦٩. وبالإسناد عن أبي عبدالله(عليه السلام) قال: «مكّة حرم الله وحرم رسوله وحرم علي: الصلاة فيها بمائة ألف صلاةٍ، والدرهم فيها بمائة ألف درهمٍ. والمدينة حرم الله وحرم رسوله وحرم علي أمير المؤمنين: الصلاة فيها في مسجدها بعشرة آلاف صلاةٍ، والدرهم فيها بعشرة آلاف درهمٍ. والكوفة حرم الله وحرم رسوله وحرم علي بين أبي طالب أمير المؤمنين: الصلاة فيٍ مسجدها بألف صلاةٍ» حسبما أورده المجلسي في البحار ٩٧: ٤٠٠، في فضل الكوفة ومسجدها وأعمالها، الحديث ٥١.

٦. والمشاهد المشرّفة والمساجد المباركات

أمّا المشاهد المشرّفة فيراد منها الضرائح المقدّسة للأئمّة الطاهرين (عليهم الصلاة والسلام)، ويلحق بها قبور الأنبياء والأوصياء والأولياء (عليهم السلام)، نحو ما رواه في كامل الزيارات: ٢٥٣ في خصوص الحائر (على ساكنه التحيّة والثناء) عن شعيب العقرقوفي عن أبي عبد الله(عليه السلام) قال: قلت له: من أتى قبر الحسين(عليه السلام): ما له من الثواب والأجر، جعلت فداك؟ قال: «يا شعيب، ما صلّى عنده أحدٌ الصلاة إلاّ قبلها الله منه، ولا دعا عنده أحدٌ إلاّ اُستجيب له: عاجله وآجله». فقلت: جعلت فداك، زدني فيه. قال: «يا شعيب، أيسر ما يقال لزائر الحسين بن علي(عليه السلام): قد غفر لك يا عبد الله، فاستأنف عملاً جديداً». ونحوه ما أورده في كامل الزيارات: ٣٨ عن أبي وهب البصري قال: دخلت المدينة، فأتيت أباعبد الله(عليه السلام)، فقلت: جعلت فداك، أتيتك ولم أزر قبر أمير المؤمنين(عليه السلام). قال: «بئس ما صنعت! لولا أنّك من شيعتنا ما نظرت إليك. ألا تزور من يزوره الله تعالى مع الملائكة ويزوره الأنبياء مع المؤمنين» الخبر.

وفي فضل مشاهدهم المشرّفة وسموّ منزلتها وإجابة الدعاء عندها أخبارٌ متظافرةٌ، فلتطلب من مظانّها، والله وليّ السداد. وأمّا المساجد المباركات فلعلّ أشرفها مسجد قبا ومسجد الكوفة ومسجد السهلة ونحوها، فراجع كامل الزيارات واغتنم. وفي الحديث القدسي: «ألا إنّ بيوتي في الأرض المساجد، فطوبى لعبدٍ تطهّر في بيته ثمّ زارني في بيتي» حسبما رواه في عدّة الداعي: ٥٦.

تعاليق الباب الخامس

١. «إذا تغيّرت الشمس فاذكر الله عزّوجلّ...»

أُنظر الكافي ٢:٥٢٤، باب القول عند الإصباح والإمساء، الحديث ٩. ثمّ إنّ المصنّف أورد الحديث المذكور في فلاح السائل: ٢٢١، كما رواه عن الكافي صاحب البحار ٨٣:٢٤٥، والوسائل ٧:٧١. والمراد بتغيّر الشمس اصفرارها وقت العصر قريباً من الغروب، كما أفاده المولى الصالح المازندراني في شرحه على أُصول الكافي ١٠:٣٣٣.

٢. «يا أرحم الراحمين»

سيأتي من المصنّف الوجه في اختيار هذا الذكر سبع مرّاتٍ أو حتّى ينقطع النفس.

٣. خلقته من التراب والطين والماء المهين

إشارةٌ إلى قوله تعالى: ﴿وَاللهُ خَلَقَكُم مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجاً وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى وَلَا تَضَعُ إلاّ بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إلاّ فِي كِتَابٍ إنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾ [سورة فاطر، الآية: ١١] وقوله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ [سورة السجدة، الآيتان: ٧ـ٨].

٤. ﴿وإنَّ عَليكُمْ لَحافِظين كراماً كاتبين يَعْلَمونَ ما تَفْعَلون﴾

سورة الانفطار، الآيات: ١٠ـ١٢. وقد تقدّم تقريب الاستدلال بها في تعاليق الباب الأوّل، فلاحظ.

٥. «حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا»

تقدّم تخريج الحديث الشريف في تعاليق الباب الثاني، فراجع.

٦. «ليس منّا من لم يحاسب نفسه»

راجع ما يتعلّق بالخبر وتخريجه في تعاليق الباب الثاني.

٧. «لا يكون العبد مؤمناً حتّى يحاسب نفسه»

سبقت الإشارة إليه في تعاليق الباب الثاني.

٨ وقد قدت نفسي إلى مجلس القود

أي: قادها إلى مجلس القصاص والحساب.

٩. فقد يعفو المولى عن عبده وهو غير راضٍ عنه

إشارةٌ إلى نحو ما ورد في مناجاة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «إلهي ارض عنّي، فإن لم ترض عنّي فاعف عنّي؛ فقد يعفو السيّد عن عبده وهو عنه غير راضٍ» حسبما رواه الكفعمي عن مولانا الإمام العسكري عليه السلام في البلد الأمين: ٣١٥.

١٠. وقد جعلت يا الله الاستغفار طريقاً إلى قبول التوبة

لعلّه إشارةٌ إلى ما ورد عن مولانا زين العابدين عليه السلام في دعاء التوبة من قوله: «اللّهمّ إن يكن الندم توبةً إليك فأنا أندم النادمين، وإن يكن الترك لمعصيتك إنابةً فأنا أوّل المنيبين، وإن يكن الاستغفار حطّةً للذنوب فإنّي لك من المستغفرين».

١١. وقد أمرت يا سيّدي بالعفو وعفوت ودللت عبادك على العفو

إشارةٌ إلى نحو قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٠٩] وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٥٢] وقوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْراً أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوَءٍ فَإِنَّ اللهَ كَانَ عَفُوّاً قَدِيراً﴾ سورة [النساء، الآية: ١٤٩] وقوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ١٩٩].

١٢. ومدحت الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس

إشارةٌ إلى قوله تعالى: ﴿سَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ

وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآيتان: ١٣٣ـ١٣٤]

١٣. وبذلت الثواب على العفو، وجعلت العفو من صفات الكمال، وعاتبت عباداً لك على ترك العفو عن سوء الأعمال

إشارةٌ إلى نحو قوله تعالى: ﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة الشورى، الآية: ٤٠] وقوله تعالى: ﴿وَأَن تَعْفُواْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٣٧] وقوله تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة المائدة، الآية: ١٣] وقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لانَفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٥٩].

١٤. واجماً

الواجم: الذي اشتدّ حزنه حتّى أمسك عن الكلام.

١٥. «ذلك الضراح بيتٌ في السماء الرابعة حيال الكعبة من لؤلؤٍ جوفاء...»

لم نعثر على الخبر المذكور بتمامه في المصادر المتوفّرة لدينا، وإنّما رواه عنه في البحار في موضعين، إلاّ أنّ فيه: «من لؤلؤةٍ واحدةٍ» بدلاً من: «من لؤلؤٍ جوفاء»، وفيه أيضاً: «فيسمعون منهما ما عمل الرجل» بدلاً من قوله: «فينتسخون منهم ما عمل الرجل». نعم، ورد صدره في مصادر الخاصّة والعامّة معاً مع أدنى تفاوتٍ. فمنها: ما في تفسير القمّي ٢: ٣٣١ في قوله تعالى: ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ سورة الطور، الآية: ٤] قال عليه السلام: «هو في السماء الرابعة، وهو الضراح، يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملكٍ ثم لا يعودون إليه أبداً». ومنها: ما أخرجه عبد الرزّاق الصنعاني في المصنّف ٥: ٢٩ أنّ أبا الطفيل أخبره أنّه سمع ابن الكوّاء سأل علياً عن البيت المعمور: ما هو؟ فقال علي: «ذلك الضراح في سبع سماواتٍ في العرش، يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملكٍ، لا يعودون إليه إلى يوم القيامة». ثمّ إنّ الضُراح من المضارحة وهي المقابلة؛ فإنّ البيت المعمور بحذاء العرش وفي قبال البيت الحرام، حسبما رواه المفيد في تصحيح اعتقادات الإماميّة: ٧٨ عن مولانا الصادق عليه السلام قال: «لو اُلقي حجرٌ

من العرش لوقع على ظهر البيت المعمور، ولو أُلقي حجرٌ من البيت المعمور لسقط على ظهر البيت الحرام. ولم يخلق الله عرشاً لنفسه ليستوطنه، تعالى الله عن ذلك، لكنّه خلق عرشاً أضافه الى نفسه؛ تكرمةً له وإعظاماً، وتعبّد الملائكة بحمله. كما خلق بيتاً في الأرض، ولم يخلقه لنفسه ولا ليسكنه، تعالى الله عن ذلك كلّه، لكنّه خلقه لخلقه وأضافه لنفسه؛ إكراماً له وإعظاماً، وتعبّد الخلق بزيارته والحجّ إليه».

١٦. ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

سورة الجاثية، الآية: ٢٩. راجع ما يتّصل بالآية الكريمة في تعاليق الباب الأوّل.

١٧. «إن الملكين يجلسان على ناجذي الرجل يكتبان خيره وشرّه...»

لم نعثر على الحديث المذكور بتمامه من طرقنا، وإنّما رواه عنه في البحار ٥: ٣٣٠، باب أنّ الملائكة يكتبون أعمال العباد، الحديث ٣٥. وأمّا من طرق العامّة فقد أورده ابن الاثير في النهاية في غريب الحديث ٣:٣٦٦ في مادة (غزز) قائلاً: في حديث علي: «إنّ الملكين يجلسان على ناجذي الرجل يكتبان خيره وشرّه، ويستمدّان من غُزَّيه». ونحوه ما في لسان العرب لابن منظور في مادة غزز، وأضاف: الغزغز: الشِدق في بعض اللغات، والراء لغة. والغُزّان أو الغُرّان: الشِدقان، واحدهما: غُزّ أو غُرّ، والشِدق: جانب الفم ممّا تحت الخدّ. أمّا الناجذان فهما آخر الأضراس؛ إذ النواجذ أربعة في أقصى الأسنان، وتسمّى ضرس الحلم؛ لأنّه ينبت بعد البلوغ وكمال العقل. وقيل: النواجذ من الأسنان الضواحك، وهي التي تبدو عند الضحك. وأمّا الصامغان أو الصماغان فهما جانبا الفم في ملتقى الشفتين ممّا يلي الشِدقين.

١٨. «نظّفوا الصماغين؛ فإنّهما مقعد الملكين»

الخبر المذكور من مواهب هذه الرسالة أيضاً، ورواه عنه في البحار في الباب المتقدّم، فلاحظ. نعم، أورده الزمخشري من طرق العامّة دون نسبته إلى مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، كما روى أيضاً: «تعهّدوا الصوارين؛ فإنّهما مقعد الملك» وقال: الصماغان والصامغان والصواران: ملتقا الشدقين. اُنظر الفائق في غريب الحديث ٢:٢٦٢، مادة (صمغ). أمّا ابن الأثير في النهاية ٣:٥٣ فأخرجه بسنده ومتنه مع أدنى تفاوتٍ، ثمّ أضاف: الصماغان: مجتمع الريق في جانبي الشفّة، وقيل: هما ملتقى

الشدقين، ويقال لهما: الصامغان والصاغمان والصواران. ونحوه ما عن ابن منظور في لسان العرب في مادة (صمغ)، وأضاف: وهذا حضٌّ على السواك.

١٩. في كتاب فلاح السائل ونجاح المسائل

راجع الفصلين الثاني والعشرين والثالث والعشرين منه: في دعاء الغروب وتحرير صحيفة الملكين وفي تلقّي الملكين الحافظين عند ابتداء الليل.

٢٠. «كان رسول الله (ﷺ)إذا احمّرت الشمس على قلّة الجبال، هملت عيناه دموعاً...»

أورده المصنّف في فلاح السائل: ٢٢١، غير أنّ فيه: «على قلّة الجبل»، ورواه عنه في البحار ٢٦٧:٨٣، وسقطت فيهما: «الدائم»، كما رواه في عدّة الداعي: ٢٥٣ مع تفاوتٍ يسيرٍ في اللفظ. ثمّ إنّ قوله: «هملت عيناه دموعاً» بمعنى: فاضت وسالت بالدموع.

٢١. «كان علي صلوات الله عليه إذا أمسى قال: مرحباً بالليل الجديد...»

أُنظر الكافي ٢: ٥٢٤، باب القول عند الإصباح والإمساء، الحديث ٨ إلاّ أنّ فيه: «إذا أمسى يقول» بدلاً من «إذا أمسى قال» و«اكتبا على اسم الله» بدلاً من «اكتبا بسم الله». ورواه عنه في البحار والوسائل، كما ذكره المصنّف في فلاح السائل حسبما تقدّم.

٢٢. «يا من ختم النبوّة بمحمّدٍ(ﷺ)اختم لي في يومي...»

أورده المصنّف في فلاح السائل: ٢٢١، ورواه عنه في البحار ٢٦٧:٨٣ ومستدرك الوسائل ٥: ٣٨٠، كما ورد الدعاء خاصّةً في مصباح المتهجّد: ٨٣ والبلد الأمين: ٢٣ ومصباح الكفعمي: ٣٧، دون صدره وذيله.

٢٣. يستحبّ للإنسان إذا استيقظ من المنام أن يسجد...

سيأتي من المصنّف مزيد بيانٍ في موطنه، فانتظر.

٢٤. ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

سورة الأعراف، الآية: ٢٣. ويلاحظ: أنّ آدم وحوّاء في الآية الكريمة لم يسألا شيئاً من المولى الحكيم، وإنّما ذكرا حاجتهما إلى المغفرة والرحمة مع بيان الخسران الدائم المطلق لهما، وهذا منهما نهاية التذلّل والابتهال وغاية الأدب والعبوديّة، حسبما

أفاده العلاّمة الطباطبائي في تفسيره القويم ٨:٣٥.

٢٥. ﴿رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾

سورة البقرة، الآية: ٢٨٦. وليعلم: أنّ العفو منه تعالى إزالة أثر الذنب ومحوه كالعقاب المكتوب على المذنب، والمغفرة إذهاب ما في النفس من هيئة الذنب والستر عليه، والرحمة هي العطيّة الإلهيّة التي تستر الذنب وهيئته. ومنه يتّضح: أنّ الجمل الثلاث متدرّجةٌ من الفرع إلى الأصل أو من الأخصّ فائدةً إلى الأعمّ، كما اختاره العلاّمة في الميزان ٢:٤٤٥ لدى تعرّضه لتفسير الآية المذكورة.

٢٦. قد مدحت المستغفرين بالأسحار وبلغنا أنّك تغفر الذنوب بالاستغفار

إشارةٌ إلى قوله تعالى: ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٧] وقوله تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [سورة الذاريات، الآيتان: ١٧-١٨] وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُوْلَـئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآيتان: ١٣٥- ١٣٦] وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللهَ تَوَّاباً رَّحِيماً﴾ [سورة النساء، الآية: ٦٤] ونحوها.

٢٧. وقد أمرتني يا سيّدي أن أسألك العفو عنّي

لعلّه إشارةٌ إلى نحو قوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرِ اللهَ إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ [سورة النساء، الآية: ١٠٦] وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ * وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [سورة الشورى، الآيتان: ٢٥-٢٦] وغيرهما.

٢٨. أنّك تأمر منادياً ينادي... هل من سائلٍ فأعطيه؟ هل من تائب...

حسبما رواه في عدّة الداعي: ٤٨ عن رسول الله(صلّى الله عليه وآله) قال: «إذا كان آخر

الليل يقول الله سبحانه وتعالى: هل من داعٍ فأُجيبه؟ هل من سائلٍ فأُعطيه سؤله؟ هل من مستغفرٍ فأغفر له؟ هل من تائبٍ فأتوبَ عليه؟». ورواه عنه في البحار والوسائل ومستدركه في غير موضعٍ منها. وقريبٌ منه ما أورده في الفقيه ١: ٤٢١ عن مولانا الرضا عليه السلام قال: «...إنّما قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): إنّ الله تبارك وتعالى يُنزل ملكاً إلى السماء الدنيا كلّ ليلةٍ في الثلث الأخير وليلة الجمعة في أوّل الليل، فيأمره فينادي: هل من سائلٍ فأُعطيه؟ هل من تائبٍ فأتوب عليه؟ هل من مستغفرٍ فأغفر له؟ يا طالب الخير أقبل، ويا طالب الشرّ أقصر. فلا يزال ينادي بهذا حتّى يطلع الفجر، فإذا طلع الفجر عاد إلى محلّه من ملكوت السماء. حدّثني بذلك أبي عن جدّي عن آبائه عن رسول الله(صلى الله عليه وآله)». وأورده الصدوق أيضاً في الأمالي والتوحيد، كما رواه عنه في البحار والوسائل ومستدركه، فلاحظ.

وفي المقام رواياتٌ مستفيضةٌ من طرق العامّة مع تفاوتٍ في اللفظ، نحو ما أخرجه النسائي في السنن الكبرى ٦: ١٢٤ عن أبي مسلم الأغرّ قال: سمعت أبا هريرة وأبا سعيد يقولان: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): «إنّ الله عزّوجلّ يمهل حتّى يمضي شطر الليل الأوّل، ثمّ يأمر منادياً ينادي يقول: هل من داعٍ يُستجاب له؟ هل من مستغفرٍ يُغفر له؟ هل من سائلٍ يُعطى؟».

٢٩. يا الله يا الله... يا ربّ يا ربّ

سيأتي مزيد توضيح ما يتّصل بالذكر وعدده في محلّه، فانتظر.

٣٠. ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

سورة آل عمران، الآية: ١٩١. وقد اشتهرت الرواية عن النبي(صلى الله عليه وآله) أنّه لمّا نزلت الآيات [١٩٠ـ١٩٤ من سورة آل عمران] قال: «ويل لمن لاكها بين فكّيه ولم يتأمّل فيها»، أي: حرّك لسانه بها دون أن يتدبّر قلبه لها.

٣١. أغنيته بعلمك عن المقال وبكرمك عن السؤال

إشارةٌ إلى ما ورد في بعض الأدعية والأذكار الشريفة نحو قوله (عليه السلام) في الحرز اليماني: «إلهي كفى علمك عن المقال، وكفى كرمك عن السؤال» حسبما رواه في

البحار ٢٥٣:٩٢، باب الأدعية والأحراز ٣٣، ونحو ما أورده المحقّق الداماد في قنوتٍ كان يواظب عليه مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) في أكثر صلواته قائلاً: «لا أرجو لآخرتي ودنياي سواك، كفى كرمك من السؤال، وكفى علمك من المقال» فراجع اثنا عشر رسالة ٩٥:٨. ولعلّ ما ذكر إشارةٌ إلى ما نطق به الخليل إبراهيم (على نبيّنا وآله وعليه آلاف التحيّة والثناء) بعد أن رُمي به إلى النار فتلقّاه جبرئيل في الهواء فقال: هل لك من حاجةٍ؟ فقال: أمّا إليك فلا: حسبي الله ونعم الوكيل. فاستقبله ميكائيل فقال: إن أردتَ أخمدتُ النار؛ فإنّ خزائن الأمطار والمياه بيدي، فقال: لا اُريد. وأتاه ملك الريح فقال: لو شئت طيّرتُ النار، قال: لا اُريد. فقال جبرئيل: فاسأل الله، فقال: حسبي من سؤالي علمه بحالي. اُنظر بحار الأنوار ١٥٦:٦٨، الباب ٦٣، الحديث ٧٠، نقلاً عن بيان التنزيل لابن شهرآشوب.

٣٢. ما ذكرنا من جواب الملك المنادي

راجع بعض التعاليق السابقة.

٣٣. حسبي من سؤالي علمك بحالي

إشارةٌ إلى ما تقدّم آنفاً، فراجع واغتنم.

٣٤. «كان [أبي] إذا ألحّت به الحاجة سجد من غير صلاةٍ...»

لم نعثر على الرواية الشريفة بسندها ومتنها في المصادر المتوفّرة. نعم، أوردها الطبرسي في مكارم الأخلاق:٣٤٦، في نوادر الأدعية، مرسلاً عن مولانا الصادق (عليه السلام)، مع أنّ فيه: «كان أبي إذا ألمّت به حاجةٌ يسجد من غير قراءةٍ ولا ركوعٍ...». ورواه عنه في البحار والوسائل ومستدرك السفينة، فراجع.

٣٥. «إنّ لله ملكاً يقال له إسماعيل... إذا قال [العبد]: يا أرحم الراحمين...»

أورده الراوندي مرسلاً في الدعوات: ٤٥، الحديث ١٠٩، كما رواه عنه في البحار والوسائل، فلاحظ.

٣٦. «سمع النّبي (صلى الله عليه وآله) رجلاً يقول: يا أرحم الراحمين...»

الخبر المذكور من مواهب الرسالة الشريفة أيضاً؛ إذا لا أثر له في المجامع الروائيّة. نعم، رواه عنه في البحار والوسائل كما سبق، غير أنّ فيهما: «استقبلك بوجهه» بدلاً من «استقبلك بوجهك».

٣٧. «ما استيقظ رسول الله (صلى الله عليه وآله)... إلاّ خرّ لله ساجداً»

أورده الطبرسي في مكارم الأخلاق:٣٩، في الباب الأوّل، الفصل الخامس، مع أدنى تفاوتٍ، كما رواه عنه في البحار ٢١٩:٧٣، باب القراءة والدعاء عند النوم والانتباه، الحديث ٢٦.

٣٨. كان رسول الله (صلى الله عليه وآله)إذا قام من منامه خرّ لله ساجداً

أخرجه ابن حبّان في كتاب المجروحين ١٣٦:٣ مع أدنى تفاوتٍ، ونحوه ما في الكامل في ضعفاء الرجال ١٥٥:٧، وميزان الاعتدال ٤٧٣:٤، وسبل الهدى والرشاد ٤٠١:٩.

٣٩. أنّ النّبي (صلى الله عليه وآله)قام من النوم، فخرّ لله ساجداً؛ شكراً لله

لم نعثر عليه بسنده ولفظه حسب تتبّعنا في المجامع الحديثيّة. نعم، رواه عنه في البحار ٢١٩:٧٣، إلاّ أنّ فيه: في ترجمة محمّد بن محمّد بن سعيد بن عبد بن المهدي العامري، ولم نجد ترجمته في كتب الرجال أيضاً. هذا مع أنّ مضمونه قريبٌ ممّا تقدّم، فتبصّر.

٤٠. «قل: يا الله يا الله عشر مرّات...»

لم نعثر على الخبر المذكور بسنده ولفظه، وإنّما رواه عنه في البحار ٦٧:٩٢ والوسائل ٨٩:٧ مع أدنى تفاوتٍ. وفي مكارم الأخلاق: ٣١١ مرسلاً عن أبي عبدالله(عليه السلام) قال: «من قال: يا الله عشر مرّاتٍ، قيل له: لبّيك ما حاجتك؟». وفي عدّة الداعي: ٦١ روى مرسلاً عن مولانا الصادق(عليه السلام) قال: «من قال: يا الله يا الله عشر مرّاتٍ، قيل له: لبّيك عبدي، سل حاجتك تُعط».

٤١. اشتكى أبو عبدالله، فمرّ به أبو جعفر الباقر(صلى الله عليه وآله)، قال له: قل...

لم يرد الخبر المذكور في النسخة المتوفّرة لدينا من مناسك الزيارات ـ المطبوع بعنوان المزار أو مناسك المزار ـ للشيخ المفيد. نعم، أورده الراوندي في الدعوات: ٤٤ هكذا: قال الصادق(عليه السلام): «اشتكيت فمرّ بي أبي عليه السلام فقال: قل ـ يا بنيّ ـ عشر مرّاتٍ: يا الله؛ فإنّه لم يقلها عبدٌ إلاّ قال: لبّيك». ورواه عنه في البحار والوسائل كما تقدّم، غير أنّ في الوسائل: «اشتكى عبد الله إلى أبي جعفر الباقر(عليه السلام)...» وفي البحار: «شكى

أبو عبد الله إلى أبيه عليهما السلام...»، وأورده الميرزا النوري أيضاً في مستدركه ٢١٩:٥ نقلاً عن دعوات الراوندي مع أدنى تفاوتٍ، فراجع.

٤٢. «من قال ـ عشر مرّات ـ يا ربّ...»

لم نعثر عى الخبر المذكور بسنده ولفظه، وإنّما رواه عنه في البحار ٢٣٥:٩٠ والوسائل ٨٩:٧، الباب ٣٣، الحديث ٢١. نعم، في الكافي ٥٢٠:٢ ورد مع أدنى تفاوتٍ عن محمّد بن عيسى عن أيّوب بن الحرّ أخي أديم؛ إذ فيه:«لبّيك، ما حاجتك؟». ورواه عنه في الوسائل كما مرّ.

٤٣. «كان أبي يلحّ في الدعاء يقول: يا ربّ...»

لا أثر للخبر المذكور في كتاب المناسك والمزار لشيخنا المفيد فضلاً عن غيره. نعم، رواه عنه في البحار والوسائل عن مولانا أبي جعفر الباقر(عليه السلام) مع أدنى تفاوتٍ كما تقدّم، فلاحظ.

٤٤. «إنّ العبد إذا قال: أي ربّ...»

الخبر من مواهب هذه الرسالة أيضاً؛ إذ لم نعثر عليه في غيره من المصادر. نعم، رواه عنه في البحار والوسائل مع اختلافٍ في اللفظ كما مرّ.

وليعلم: أنّ صاحب البحار عقد باباً مستقلاً في من قال: يا الله أو يا ربّ أو يا أرحم الراحمين في كتاب الأدعية والأذكار، فراجع الجزء ٩٠، الباب ١٢.

ولنعم ما أفاده المولى الصالح المازندراني في تعليقته الثمينة على اُصول الكافي ٣٢٥:١٠ لدى تعرّضه للخبر المتقدّم عن أبي عبد الله(عليه السلام): «من قال ـ عشر مرّات ـ: يا ربّ» قائلاً: في ذكر الربّ استعطافٌ؛ لما فيه من الدلالة على تربية كلّ شيءٍ وتكميله وحفظه وإخراجه من حدّ النقص إلى الكمال، وهو مجرّبٌ في قضاء الحاجات ودفع البليّات، ولذلك توسّل به] الأنبياء في دفع النوازل والبلايا، كما نطق به القرآن الكريم.

أقول: كان دعاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بهذا الاسم الشريف على ما حكاه عنهم القرآن الحكيم نحو: ما ورد على لسان آدم(عليه السلام): ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٢٣] ونوح(عليه السلام): ﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ [سورة هود، الآية: ٤٥] وإبراهيم(عليه السلام): ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [سورة الشعراء،

الآية: ٨٣] وموسى(عليه السلام): ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ [سورة القصص، الآية: ١٦] وسليمان(عليه السلام): ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً﴾ [سورة ص، الآية: ٣٥] وعيسى بن مريم(عليه السلام): ﴿اللهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سورة المائدة، الآية: ١١٤] ونحوها.

٤٥. ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ...﴾

سورة الزمر، الآيتان: ١٧ـ١٨. ولقد أجاد الكلام في المقام العلاّمة الطباطبائي في الميزان ١٧: ٢٥٠ حيث قال ما ملخّصه: المراد بالقول ـ بقرينة ما ذكر من الاتّباع ـ: ما له نوع ارتباطٍ بالعمل، فأحسن القول أرشده في إصابة الحقّ وأنصحه للإنسان. والإنسان إذا كان ممّن يحبّ الحسن وينجذب إلى الجمال، كان كلّما زاد الحسن زاد انجذاباً، فإذا وجد قبيحاً وحسناً مال إلى الحسن، وإذا وجد حسناً وأحسن قصد ما هو أحسن. وتوصيف العباد باتّباع أحسن القول يفيد أنّهم مطبوعون على طلب الحقّ وإرادة الرشد، فكلّما دار الأمر بين الحقّ والباطل والرشد والغيّ والأحقّ والأرشد، أخذوا بالأحقّ الأرشد. وعليه فالحقّ والرشد مطلوبهم، ولذلك يستمعون القول، ولا يردّون قولاً بمجرّد ما قرع سمعهم؛ اتّباعاً لهوى أنفسهم من غير أن يتدبّروا فيه ويفقهوه. ويستفاد من الآية: أنّ العقل ما به الاهتداء إلى الحقّ، وآيته صفة اتّباع الحقّ.

وإلى هنا انتهى ما أردنا بيانه ونجز ما قصدنا تهذيبه من تعليقةٍ مختصرةٍ على رسالة محاسبة الملائكة الحفظة الكرام وتطهير الصحائف من الآثام لجمال السالكين سيّدنا ابن طاووس على يد راقمه الحقير سلام التميمي في العشرين من ربيع الثاني من السنة الثلاثين بعد الألف والأربعمائة هجريّة في جوار مولاتنا فاطمة المعصومة ـ التي لا يبعد حرمها الشريف عن محلّ تحرير هذه الوجيزة إلاّ مائتي قدم ـ عليها وعلى عمّها وأخيها وأبيها وأجدادها الطاهرين آلاف التحيّة والثناء. فلنقطع الكلام حامدين لله جلّ جلاله على حسن بلائه وسبوغ نعمائه راجين منه تعالى السداد والتوفيق لنيل حظوظ الدارين: أرفعها وأجلّها عاجلاً وآجلاً، والصلاة والسلام على أشرف خلقه وأفضل بريّته المصطفى محمّد وآله الطيّبين الطاهرين.

إلهي فاجعلنا ممّن اصطفيته لقربك وولايتك وأخلصته لودّك ومحبّتك وشوّقته إلى لقائك ورضّيته بقضائك ومنحته بالنظر إلى وجهك وحبوته برضاك وأعذته من هجرك وقلاك وبوّأته مقعد الصدق في جوارك وخصصته بمعرفتك وأهّلته لعبادتك.

مكتبة السيّد مفتى الشيعة العامّة

قم المقدّسة

حول رسالة محاسبة النفس اللوّامة وتنبيه الروح النوّامة

نبذة عن المؤلّف ومكانته العلميّة

حول الكتاب ومصادره

نهجنا في تحقيق الكتاب

نبذة عن المؤلّف ومكانته العلميّة

هو الشيخ تقي الدين إبراهيم بن علي بن الحسن بن محمّد بن صالح بن إسماعيل، الكفعمي[1] مولداً اللويزي محتداً الجبعي أباً التقي لقباً، أحد أعيان القرن التاسع في الفضل والكمال والعبادة والزهد والورع والأدب. ذكر الحرّ العاملي أنّه كان ثقةً فاضلاً أديباً شاعراً عابداً زاهداً[2]، كما أفاد المامقاني ما لفظه: ... من مشاهير الفضلاء والمحدّثين والصلحاء المتورّعين[3]، ووصفه الخوانساري بأنّه الشيخ العالم الباذل الورع الأمين والثقة النقة الأديب الماهر المتقن المتين[4].

كان الكفعمي جامعاً للكتب والآثار، واسع الاطّلاع، كثير البحث والتصنيف، ذا باعٍ طويل في الشعر والنثر والأدب، كلّ ذلك مشفوعٌ بورعٍ موصوفٍ وتقوى في ذات الله، مع ملكاتٍ فاضلةٍ وصفاتٍ شريفةٍ. ولنعم ما أجاد به يراع العلاّمة المجلسي في وصف آثاره من أنّ اشتهارها وفضل مصنّفها أغنانا عن التعرّض لحالها وحاله[5]. نعم، اشتهر من بين مسفوراته الثمينة البلد الأمين والجُنّة الواقية والجَنّة الباقية المعروف بمصباح الكفعمي والمقام الأسنى في شرح الأسماء الحسنى ومحاسبة النفس.

---

١. الكفعمي نسبة إلى كفعم ـ كزمزم ـ قرية من قرى جبل عامل (لبنان).

٢. أمل الآمل ١: ٢٨.

٣. تنقيح المقال ١: ٢٧.

٤. روضات الجنّات ١: ٢٠.

٥. بحار الأنوار ١: ٣٤.

حول الكتاب ومصادره

لم يذكر المصنّف عنوان الكتاب صريحاً في مقدّمته، بل أشار إليه في خطبته بقوله: فحقٌّ على كلّ ذي علم وحتمٌ على كلّ ذي حزم محاسبةُ النفسِ اللوّامةِ وتنبيهُ الروحِ النوّامةِ. ولعلّ طريقة الكتّاب من أفضل طرق محاسبة النفس، وإليها الإشارة في ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «أكيس الكيّسين من حاسب نفسه وعمل لما بعد الموت». فقال رجلٌ: يا أمير المؤمنين، كيف يحاسب نفسه؟ قال: «إذا أصبح ثمّ أمسى رجع إلى نفسه وقال: يا نفسي، إنّ هذا يومٌ مضى عليك، لا يعودُ إليكِ أبداً، والله يسألكِ عنه بما أفنيته. فما الذي عملتِ فيه؟ أذكرتِ الله أم حمدته؟ أقضيتِ حوائج مؤمنٍ فيه؟ أنفّستِ عنه كربه؟ أحفظتيهِ بظهر الغيب في أهله وولده؟ أحفظتيه بعد الموت في مخلّفيه؟ أكففتِ عن غيبةِ أخٍ مؤمنٍ؟ أأعنتِ مسلماً؟ ما الذي صنعتِ فيه؟ فيذكرُ ما كان منه: فإن ذكر أنّه جرى منه خيرٌ، حمد الله وكبّره على توفيقه، وإن ذكر معصيةً أو تقصيراً، استغفر الله وعزم على ترك معاودته»[١] صدق ولي الله.

ثمّ إنّ المصنّف جمع في كتابه آيات التحذير والترغيب ونسجها نسجاً لطيفاً ذا أثر بالغ في قلب القارئ، كما اقتطف من بعض الآيات عبارات زادت من كمال الكتاب، وأورد أحاديث أهل بيت العصمة والطهارة (عليهم آلاف التحيّة والثناء) في الترغيب والترهيب والوعظ والإرشاد دون الإشارة إليها صريحاً إلاّ في مواضع نادرةٍ، وضمّن أثره حكماً وأمثالاً ولطائف ومآثر وعباراتٍ أدبيّةً وأشعار لطيفة بحسب ما يناسب المقام، فخرج الكتاب أثراً عزيزاً وصحيفةً طاهرةً يستمتع بقرائته كلّ أحدٍ ولا يملّ من دوام مطالعته من البدء إلى الختم.

وليتفطّن: أنّ شيخنا الكفعمي استلهم جلّ مطالب الكتاب من الأسفار القيّمة التالية:

الأوّل: غرر الحكم ودرر الكلم لعبد الواحد بن محمّد التميمي الآمدي، كما يلاحظ ذلك من موارد متعدّدةٍ، نحو قوله: الدنيا دار المحنة، والهوى مطيّة الفتنة، والتعزّز بالتكبّر ذلّ، والتكبّر بالدنيا قلّ، واليقين رأس الدين، والانفراد راحة المتعبّدين والزهد سجيّة المخلصين، والخوف جلباب العارفين، والبكاء شعار المشفقين، والفكر نزهة المتّقين، والسهر روضة المشتاقين، والإخلاص عبادة المقرّبين، والذكر لذّة

---

١. وسائل الشيعة ١٦: ٩٥، باب وجوب محاسبة النفس كلّ يوم ... ، الحديث ٢١٠٨١.

المحبّين. وبالرجوع إلى الغرر و الدرر يتّضح أنّ كافّة الفقرات المذكورة في كلامه قبسٌ ممّا ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام من قوله: «الدنيا دار المحنة» [الحديث ٢٢٤٠]، «الهوى مطيّة الفتنة» [الحديث ٧٠٢٧]، «التعزّز بالتكبّر ذلّ» [الحديث ٧١٤١]، «التكبّر بالدنيا قلّ» [الحديث ٢٥٤٠]، «اليقين رأس الدين» [الحديث ٧٢٤]، «الانفراد راحة المتعبّدين» [الحديث ٧٣٦٣]، «الزهد سجيّة المخلصين» [الحديث ٦٠٣٢] ، «الخوف جلباب العارفين» [الحديث ٣٧١٠]، «البكاء سجيّة المشفقين» [الحديث ٣٧٢٨]، «الفكر نزهة المتّقين» [الحديث ٥٣٧]، «السهر روضة المشتاقين» [الحديث ٧٣٧٥]، «الإخلاص عبادة المقرّبين» [الحديث ٣٨٩٣]، و «الذكر لذّة المحبّين» [الحديث ٣٦٤٩]، ونحوه غيره، فراجع.

الثاني: شرح نهج البلاغة لعبد الحميد بن أبي الحديد المعتزلي، كما يتبيّن من مثل قوله: وليس بأبناء السبعين بأحقّ بالحذر من أبناء العشرين، لأنّ طالبها ـ وهو الموت ـ واحدٌ، وليس عن الطلب براقدٍ. واعملي لما أمامك من الهول، ودعي عنك زخرف القول ـ انتهى موضع الحاجة. وفي الحكم المنسوبة إلى مولانا أمير المؤمنين عليه السلام كما أوردها ابن أبي الحديد نقرأ: «وليس أبناء الأربعين بأحقّ بالحذر من أبناء العشرين؛ فإنّ طالبهما واحدٌ، وليس عن الطلب براقدٍ، وهو الموت. فاعمل لما أمامك من الهول، ودع عنك زخرف القول» [شرح نهج البلاغة ٢٠: ٢٦٨، الحكمة١٠٥] ونحوه غيره.

الثالث: تنبيه الخواطر ونزهة النواظر المعروف بمجموعة ورّام للشيخ الزاهد ورّام بن أبي فراس الأشتري. ولا يبعد أن يكون شيخنا الكفعمي قد اقتفى نهج محاسبة النفس من الأثر المذكور؛ إذ أفرد المرحوم ورّام باباً مستقلاً في محاسبة النفس وأجاد فيه بما لا مزيد عليه، ولا يكاد يخلو موردٌ من الموارد أو فقرةٌ من الفقرات فيه إلاّ وقد اقتطفها المصنّف في كتابه من القرن إلى القدم. وكفى مثالاً لذلك ما أورده في صدر كتابه من قوله: يا نفس، احزمي أمرك؛ فما لكِ بضاعةٌ إلاّ عمرك، فلا تفنيه في مآربك ولذّاتك ومطالبك؛ لأنّه إذا فني رأس المال حصلت الخسارة ووقع اليأس عن التجارة إلى آخر كلامه قدّس سرّه. هذا، وقد ذكر ورّام في مجموعته ١: ٢٣٣ ما يلي: فإذا أصبح العبد ... ينبغي أن يفرّغ قلبه ساعةً لمشارطة النفس .. فيقول للنفس: مالي بضاعةٌ إلاّ العمر، ومهما

فني رأس المال حصلت الخسارة، ووقع اليأس من التجارة. ونحوه غيره.

كما استفاد من سائر كتب الحديث ونحوها ولا سيّما الكافي والفقيه وأمالي الشيخ وأمالي الصدوق والإرشاد ومصباح الشريعة وإرشاد القلوب وعدّة الداعي والخصال ونهج البلاغة وإحياء علوم الدين وغيرها. وعلى القارئ اللبيب الرجوع إلى المصادر المعنيّة ـ كما أُشير إليها في التعاليق المنضودة على الاختصار ـ والاستفادة منها والسير إليها والتحقّق بها، والله الهادي.

وجدير ذكره: أنّ الكفعمي صنّف هذا الكتاب بنحوٍ مستقلّ، ثمّ اختصره وأدرجه في آخر كتاب البلد الأمين، وطبع المختصر مع محاسبة النفس للسيّد ابن طاووس وكشف الريبة عن أحكام الغيبة للشهيد الثاني في طهران سنة ١٣٩٠.

نهجنا في تحقيق الكتاب

لم يكن الغرض هنا الرجوع إلى النسخ الخطّيّة للكتاب وتحقيق النصّ التراثي له ومقابلة النسخ وبيان موارد اختلافها؛ بعد أن كفانا مؤونة البحث في ذلك المحقّق المرحوم فارس الحسّون، وإن كانت لدينا ملاحظاتٌ نقديّةٌ عديدةٌ على عمله، وإنّما يمكن تلخيص مراحل العمل بما يلي:

أوّلاً: انتخاب أصحّ المتون وأدقّ النصوص في ضوء تحقيق الكتاب كما تقدّم، مع الأخذ بعين الاعتبار المصادر التي استلهم منها المصنّف مطالب كتابه.

ثانياً: تقويم النصّ ومراجعته وتصحيحه وفق قواعد التحرير وأُصول التحقيق.

ثالثاً: بيان معاني الكلمات الغامضة بالرجوع إلى كتب اللغة.

رابعاً: ردّ الأقوال وإرجاع الآراء الواردة في الكتاب إلى أصحابها ومصادرها الأصليّة. ولا يعلم إلاّ الله جلّ جلاله مدى الجهد الذي بذلناه ومقدار العناء الذي تجشّمناه للوصول إلى ما هو التحقيق فيها ـ إشارةً وتلميحاً ـ.

خامساً: بيان ما لعلّه يحتاج إلى البيان من المتن، مع تقطيع النصّ وتنظيم فقراته.

سادساً: تخريج الآيات والروايات والأقوال والآراء بالرجوع إلى المصادر المعتبرة خاصّةً.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمّدٍ وآله الطيّبين الطاهرين.

العبد المفتاق إلى عفو مولاه الجواد
سلام التميمي
مكتبة السيّد مفتي الشيعة العامّة
قم المشرّفة

رسالة محاسبة النفس اللوّامة وتنبيه الروح النوّامة

تصنيف

الشيخ تقي الدين إبراهيم بن علي الكفعمي

بسم الله الرحمن الرحيم

[خطبة الكتاب]

الحمد لله السريع حسابه الأليم عقابه، وأشهد أن لا إله إلاّ الله شهادة تؤمن صاحبها من عظائم الجرائم وجرائم العظائم، ولا يخاف في الله لومة لائم[1]، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله الذي جعله الله على كافّة اُمّته شهيداً[2] ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً﴾[3].

وبعد، فإنّه قد أجمعت الأنبياء والمرسلون والأئمّة الراشدون أنّه تعالى لجميع العباد بالمرصاد[4]، وأنّهم سيناقشون يوم المعاد[5]، ويطالبون بمثاقيل الذرّ من الخير والشرّ[6] ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ* وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾[7].

ولا ينجي من هذه الأخطار الجليلة إلاّ محاسبة النفس كلّ يوم وليلة. فمن حاسب نفسه قبل أن يُحاسب، خفّ في القيامة حسابه، وحضر عند السؤال جوابه، وعظم يوم

1. إشارة إلى الآية: ٥٤ من سورة المائدة.
2. إشارة إلى الآية: ٤١ من سورة النساء والآية: ٨٩ من سورة النحل ونحوهما.
3. سورة آل عمران، الآية: ٣٠.
4. إشارة إلى الآية ١٤ من سورة الفجر.
5. حسبما يستفاد من الآيتين: ١٣ـ١٤ من سورة الإسراء والآية: ١٣ من سورة القيامة والآيات ١٨ـ٣٧ من سورة الحاقّة وغيرها.
6. كما هو أيضاً مفاد الآية ٤٧ من سورة الأنبياء.
7. سورة الزلزلة، الآيتان: ٧ـ٨.

القيامة ثوابه، وحسن منقلبه ومآبه[١]. ومن لم يحاسب نفسه وأضاع يومه وأمسه وتلفّع بملاءة الهوى[٢] وتعرّى من لباس التقوى، وجب أن يطول في عرصات القيامة مقامه، وتدوم في مواقف يوم الطامّة آلامه[٣].

فحقٌّ على كلّ ذي علمٍ وحتمٌ على كلّ ذيْ حزمٍ محاسبة النفس اللوّامة وتنبيه الروح النوّامة[٤]؛ فإنّ النفسَ بالطبع متمرّدةٌ عن الطاعاتِ مستعصيةٌ عن العبادات[٥]، فكن لها من الواعظين ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٦].

ففي الخبر: «لا يكون الرجل من المتّقين حتّى يحاسب نفسه، فيعلم طعامه وشرابه ولبسه[٧]». وعنه عليه السلام: «قيّدوا أنفسكم بمحاسبتها واملكوها بمخالفتها، تأمنوا من الله الرهب وتدركوا عنده الرغب؛ فإنّ الحازم من قيّد نفسه بالمحاسبة، وملكها بالمغالبة. وأسعد الناس من انتدب لمحاسبة نفسه، وطالبها بحقوقه في يومه وأمسه[٨]». وعنه عليه السلام:

---

١. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر: ٢٣٦، الأحاديث ٤٧٣٨، ٤٧٤٢، ٤٧٤٤، فراجع باب محاسبة النفس واغتنم. وقريبٌ منه ما في أمالي الشيخ الطوسي: ٦١١، المجلس ٢٨، الحديث ١٢، ونحوه ما في نهج البلاغة: ٥٠٦، الحكمة ٢٠٨.

٢. تلفّع أي: التحف، والمُلاءة: الملحفة، والمراد واضحٌ.

٣. كما هو مفاد بعض ما مرّ، وإشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، محاسبة النفس، الأحاديث ٤٧٥٢، ٤٧٥٣، ٤٧٥٤، ٤٧٥٥.

٤. منه اقتطف عنوان هذا الكتاب المستطاب. ثمّ إنّ النفس اللوّامة ـ كما أفاده المحقّق عبد الرزّاق الكاشاني في اصطلاحات الصوفيّة: ٧٦ـ هي التي تنوّرت بنور القلب تنوّراً تامّاً قدر ما تنبّهت به عن سنة الغفلة، فتيقّظت وبدأت بإصلاح حالها متردّدةً بين جهتي الربوبيّة والخلقيّة: فكلّما صدرت منها سيّئةٌ بحكم جبلّتها الظلمانيّة وسجيّتها، تداركها نور التنبيه الإلهي، فأخذت تلوم نفسها وتتوب عنها، مستغفرةً راجعةً إلى باب الغفّار الرحيم. ولهذا نوّه الله بذكرها بالإقسام بها في قوله تعالى: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ (سورة القيامة، الآية: ٢).

٥. لعلّه إشارةٌ إلى الآية: ٥٣ من سورة يوسف، كما أفاده غير واحدٍ من المفسّرين، فلاحظ.

٦. سورة الذاريات، الآية: ٥٥.

٧. لم نعثر على هذا الخبر بلفظه في المصادر المتوفّرة لدينا. نعم، ورد قريبٌ منه في وصيّة رسول الله صلى الله عليه وآله لأبي ذرّ قال: «يا أبا ذرّ، لا يكون الرجل من المتّقين حتّى يحاسب نفسه أشدّ من محاسبة الشريك شريكه، فيعلم من أين مطعمه، ومن أين مشربه، ومن أين ملبسه: أمِن حلٍّ أم من حرام؟». راجع مكارم الأخلاق: ٤٦٧، وصيّة رسول الله صلى الله عليه وآله لأبي ذرّ.

٨ إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، باب النفس وما حولها، محاسبة النفس، الأحاديث ٤٧٣٧، ٤٧٣٨، ٤٧٤٣، وباب المواعظ الاجتماعيّة، آثار الحزم، الحديث ١٠٨٩٤.

«الكيّس من دان نفسه ـ أي: حاسبها ـ وعمل لما بعد الموت وطالبها[1]».

فحاسب نفسك قبل أن تُحاسب، وطالبها قبل أن تطالب[2]، وقل لها:

[الزجر عن ضياع العمر]

يا نفس:

احزمي أمرك؛ فما لك بضاعةٌ إلاّ عمرك، فلا تفنيه في مآربك ولذّاتك ومطالبك؛ لأنّه إذا فني رأس المال حصلت الخسارة ووقع اليأس عن التجارة[3].

شعر:

إذا كنت أعلم علماً يقيناً ... بأنّ جميع حياتي كساعةِ

فلم لا أكون ضنيناً بها ... وأجعلها في صلاحٍ وطاعةِ

يا نفس:

وهذا يومٌ جديدٌ، وهو عليك شهيدٌ، فاعملي فيه لله بطاعته، وإيّاك إيّاك من إضاعته؛ فإنّ كلّ نفسٍ من الأنفاس وحاسّةٍ من الحواسّ جوهرةٌ عظيمةٌ ليس لها من قيمةٍ[4].

شعر:

أولى الذخائر في الحماية ... والرعاية والحراسة

عمر الفتى فهو النهاية ... في الجلالة والنفاسة

وحذار من تضييعه ... إن كنت من أهل الكياسة

---

١. حسبما رواه في أماليه: ٥٣٠، المجلس ١٩، الحديث ١ مع أدني تفاوت، ونحوه ما في مجموعة ورّام: ٢٣٥ باب محاسبة النفس، ومكارم الأخلاق: ٤٦١، وصيّة رسول الله صلى الله عليه وآله لأبي ذرّ.

٢. إشارة إلى ما رواه السيّد ابن طاووس في رسالة محاسبة النفس: ١٣ عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة: ٣٤٣، الخطبة ٢٢٢، وإشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر: ٢٣٦، كما مرّ.

٣. لعلّه إشارةٌ إلى ما أورده الديلمي في إرشاد القلوب ١: ٥٩، الباب ١٣، عن مولانا زين العابدين عليه السلام من قوله: «الدنيا سوق الآخرة، والنفس تاجرةٌ، والليل والنهار رأس المال، والمكسب الجنّة، والخسران النار...».

٤. إشارة إلى ما رواه الصدوق في أماليه: ١٠٨، المجلس ٢٣، الحديث، عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام من قوله: «ما من يومٍ يمرّ على ابن آدم إلاّ قال له ذلك اليوم: يا ابن آدم، أنا يومٌ جديدٌ، وأنا عليك شهيدٌ...».

[الحثّ على الطاعة والإعراض عن المعصية]

يا نفس:

إنّ اليوم والليلة أربع وعشرون ساعةً، فاشتغلي فيها بالطاعة؛ فقد ورد في الخبر عن سيّد البشر أنّه: «ينشر للعبد كلّ يوم أربع وعشرون خزانةً: بعضها فارغة وبعضها ملآنة: فإذا فتحت له خزانة الحسنات والمَراضي والمثوبات، ناله من الفرح والسرور والبهجة والحبور[1] ـ بمشاهدة تلك الأنوار التي هي وسيلةٌ عند الملك الجبّار ـ ما لو وزّع على أهل النار لأدهشهم ذلك الفرح عن ألم السعار[2]. وإن فتحت له خزانة العصيان والغيبة والبهتان، غشّاه من نتنها وظلامها وأصابه من شرّها وآلامها ما لو قسّم على أهل النعيم لنغّص عليهم التنعيم. وإن فتحت الفارغة[3] من الأعمال الموصوفة بالتكاسل والإهمال، لحقه الحزن العظيم على خلوّها من الثواب الدائم المقيم[4]».

يا نفس:

فاملئي تلك الساعات من الحسنات، واشحنيها بما شقّ من العبادات والقربات، ولا تميلي إلى الكسل والاستراحة؛ فما ملأ الراحة من استوطأ الراحة[5].

وهب كنت مسيئةً قد عفي عن جريرتك وستر على سريرتك، أليس قد فاتك ثواب المحسنين ودرجات الأبرار في علّيّن[6]؟!

يا نفس:

إن كنت في معصية الله ممّن يعلم اطّلاعة، فلقد اجترأت على أمر عظيم الشناعة؛ لجعلك إيّاه أهون الناظرين وأخفّ المطّلعين. وإن كنت تظنّين أنّه لا يراك، فلقد كفرت بمولاك[7].

---

١. الحبور: السرور.

٢. السُعار: حرّ النار.

٣. المراد هنا الخزانة التي تفتح للعبد فيراها فارغةً ممّا اشتغل فيها من مباحات الدنيا.

٤. أورد هذا الخبر مع أدنى تفاوت ورّام بن أبي فراس في مجموعته: ٢٣٣، باب محاسبة النفس، وقريبٌ منه ما في عدّة الداعي: ١١٣، البابُ الثاني، القسم السادس، مرفوعاً عن رسول الله ﷺ.

٥. الراحة الأُولى: بطن الكفّ والراحة الثانية: من الاستراحة، واستوطأ المركب بمعنى: وجده وعدّه وطيئاً سهلاً.

٦. لعلّه تلميحٌ إلى الآية: ٣٦ من سورة القيامة ونحوها.

٧. إشارة إلى ما رواه الكليني في الكافي ٢: ٦٨، باب الخوف والرجاء، الحديث ٢ عن مولانا الصادق عليه السلام، وما ورد في الدعاء المرويّ عن أبي حمزة الثمالي عن مولانا زين العابدين عليه السلام، حسبما ذكره في الإقبال ١: ٦٧.

يا نفس:

أترين لو أنّ أحدا من جلسائك أو عبيدك وإمائك واجهك بما تمقتينه أو عاملك بما تكرهينه، لقلّمت منه الأظفار، وأحللت به دار البوار[١]! فبأيّ جسارةٍ تتعرّضين لمقت الله وعذابه وشدّة نكاله وعقابه؟ وقرّبي إصبعك من الحميم[٢]، إن ألفاك البطر عن النظر في عقابه الأليم.

[الاستعداد للموت قبل حلول الفوت]

و يحك بل ويلك من العذاب: كأنّك لا تؤمنين بيوم الحساب[٣]! أتظنّين أنّك إذا متّ انفلتّ، و إذا حشرت رددت[٤]؟! هيهات هيهات، كلّ ما توعدين لآتٍ[٥].

شعر:

ولـــو أنّـــا إذا مـتـنـا تـركـنـا	لكان الـمـوت راحـة كـلّ حـيّ
ولـكـنّـا إذا مـتـنـا بـعـثـنـا	ونـسـأل بـعـده عـن كـلّ شـيءٍ

يا نفس:

إنّك تقدمين على ما قدّمت، وتجازين على ما أسلفت[٦]، فلا تخدعنّك دنيا دنيّةً عن مراتب جنّاتٍ عليةٍ؛ فإنّ لكلّ حسنةٍ ثواباً، ولكلّ سيّئةٍ عقاباً. وإنّه لا بدّ لك في قبرك من قرينٍ: فإن كان صالحاً فبه تستأنسين، وإن كان طالحاً فمنه تستوحشين[٧].

شعر:

أتُـرجـى نـجـاةٌ مـن حـيـاةٍ سقيمةٍ	وسهم المنايا للخليقة راشـقٌ
فـمـن حسنت أفـعـالـه فـهـو فـائـزٌ	ومـن قبحت أفعاله فهو زاهـقٌ
لقد شقيتْ نـفـسٌ تخالف ربّها	وتعرض عن إرشـادهـا وتشاقق

١. إشارة إلى الآية: ٢٨ من سورة إبراهيم.

٢. الحميم: الماء الحار جدّاً، وإليه الإشارة في غير موضعٍ من القرآن الكريم.

٣. إشارة إلى الآية ٢٧ من سورة غافر.

٤. لعلّه تلميحٌ إلى الآية: ٣٦ من سورة القيامة ونحوها.

٥. إشارة إلى الآية: ١٣٤ من سورة الأنعام.

٦. لعلّه إشارةٌ إلى الآية: ١٣ من سورة القيامة والآية: ٥٤ من سورة يس ونحوهما.

٧. إشارة إلى ماورد عن رسول الله ﷺ في موعظته لقيس بن عاصم التميمي، حسبما رواه الصدوق في أماليه: ٢، المجلس ١، الحديث ٤، فلاحظ واغتنم.

يا نفس:

ما هذه الحيرة والسبيل واضحٌ؟! وما هذه الغفلة والمشير ناصحٌ؟ إلى كم تجمعين ولا تقنعين، ولوارثك تودعين[1]؟!

شعر:

وأنت كمن يبني بناءً وغيره يعالجه في هدمه ويسابق

وينسج آمالاً طوالاً بعيدةً ويعلم أنّ الدهر للنسج خارق

[عدم الاغترار بالنعيم الزائل]

يا نفس:

أتفرحين بنعيمٍ زائلٍ وسرورٍ راحلٍ؟! غفلت وأغفلت، وعلمت فأهملت. إلى كم مواظبتك على الذنوب، وأنت بعين علّام الغيوب؟ فجمعك في هذه الدنيا إلى تفريقٍ، وسعتك إلى ضيقٍ. فما هذه الطمأنينة وأنت مزعجةٌ؟! وما هذا الولوج وأنت مخرجةٌ[2]؟!

شعر:

أتُرجى نجاةٌ بعد سبعين حجّةٍ ولا بدّ من يوم تعقك العوائق

ومن طرقته الغاديات بويلها فلا بدّ ما يأتيه فيها الصواعق

وليس أبناء السبعين بأحقّ بالحذر من أبناء العشرين؛ لأنّ طالبها ـ وهو الموت ـ واحدٌ، وليس عن الطلب براقدٍ. واعملي لما أمامك من الهول، ودعي عنك زخرف القول[3].

يا نفس:

أمّا رأيك فعازبٌ[4]، وأمّا رشدك فغائبٌ، داؤك لا يُرجى له دواءٌ، وأملك ليس له

---

١. لعلّه إشارةٌ إلى ما أورده الشيخ المفيد في الإرشاد ١: ٢٣٥ عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام من كلامه في التزهيد في الدنيا والترغيب في أعمال الآخرة.

٢. لعلّه إشارةٌ إلى ما رواه الصدوق في أماليه: ٧، المجلس ٢، الحديث ٥ عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «إن كان الله تبارك وتعالى قد تكفّل بالرزق فاهتمامك لماذا؟! ... وإنْ كانت الدنيا فانيةً فالطمأنينة إليها لماذا؟!» فراجع وتدبّر. ونحوه ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام من جوامع كلمه في ذمّ الدنيا، حسبما أورده في بحار الأنوار ٧٥: ٦٥، الباب ١٦، عن مناقب ابن الجوزي نقلاً عن الحلية لأبي نعيم، فراجع.

٣. إشارة إلى ما ورد في الحكم المنسوبة إلى مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، كما نقله ابن أبي الحديد في شرحه على نهج البلاغة ٢٠: ٢٦٨، الحكمة ١٠٥.

٤. عازب أي: بعيد عن الصواب.

انتهاءً. قد فتنت بعملك، وخضت في بحار زللك، فقدّمي التوبة قبل أن تبلغك النوبة، واعملي للخلاص قبل الأخذ بالنواص[١].

شعر:

إذا نصب الميزان للفصل والقضا وأُبلس محجاج وأُخرس ناطق

وأُجّجت النيران واشتدّ غيظها وقد فتحت أبوابها والمغالق

وقطّعت الأسباب من كلّ ظالمٍ وقامت به أسراره والعلائق

يا نفس:

لا جرم أنّه تعالى تكفّل في الدنيا بإصلاح أحوالك، فعلامَ كذّبتيه بأفعالك، وأصبحت تتكالبين على طلب الدنيا تكالب المدهوش المستهتر، وأعرضت عن الآخرة إعراض المغرور المستحقر؟! ما هذا من علامات من يتّبع السنّة أو يبتغي الجنّة.

شعر:

فحسبّك هذا من أدلّ دلالةٍ

على أنّك في غمرة الجهل تسبحي

تروحي وتغدي في غرورٍ وغفلةٍ

وأنت بغير الحقّ في الأرض تمرحي

فعاصي هواك واتّق الله وحده

عساكي في يوم القيامة تفلحي

[لزوم الحذر قبل قضاء الوطر]

يا نفس:

أتحسبين أن تُتركي سدىً؟! ألم تكوني نطفةً من منيّ يمنى، ثمّ كنت علقة فخلق فسوّى؟! [أليس ذلك بقادرٍ على] أن يحيي الموتى[٢]؟! فما لك لا تعرفين قدرك[٣]، ولا

---

١. لعلّه إشارةٌ إلى بعض ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام من مواعظه وحكمه، حسبما رواه المجلسي في البحار ٧٤: ٤٣٩، الباب ١٥، الحديث ٤٨.

٢. إشارة إلى الآيات: ٣٦ـ٤٠ من سورة القيامة.

٣. لعلّه إشارةٌ إلى ما ورد عن مولانا الجواد عليه السلام عن أبيه عن جدّه عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «ما هلك امرؤٌ عرف قدره» حسبما رواه الصدوق في الأمالي: ٤٤٧، المجلس ٦٨، الحديث ٩.

تأخذين حذرك[١]؟ فإن كنت قد أمنت في الحشر بسؤالك وعرفت جميع ذلك هنالك، فما بالك تسوّفين بالعمل وقد دنا الأجل، ولعلّه يختطفك من غير مهلٍ[٢]؟!

شعر:

وكأنّا للمـــوت ركـــبٌ مخبّـــون	ســراع لمنهـــل مـــورود

يا نفس:

لو عزمت على سفرٍ لقضاء الوطر ترتجين فيه نيل الظفر والأمن من الضرر، فلقيت في طريقك شخصاً أخبرك أنّه رأى أمامك لصّاً يأخذ الأقفال ويستبيح النفس والمال، لرجعت عن ذلك الطريق المخوف؛ حذراً من اللصّ العسوف[٣]. أفكان قول التوراة والإنجيل والزبور والتنزيل ـ بإخبارهم بأخاويف القيامة وأهاويل يوم الطامّة ـ أقلّ من مخبرك صدقاً وأنذر منه حقّاً؟! ولعلّ المخبر غير صادقٍ، بل أكذب من بارقٍ[٤]!

يا نفس:

لو أنّ طبيبا يهوديّاً أو حكيماً نصرانيّاً أخبرك في ألذّ أطعمتك بدائه وعدم دوائه، ثمّ أمرك بالاحتماء عن بعض الغذاء، لصبرت عنه وتركته وجاهدت نفسك فيه. أفكان قول القرآن المبين والأنبياء والمرسلين أقلّ تأثيراً من قول يهوديٍّ يخبر عن تخمينٍ، أو نصرانيٍ ينبئ عن غير يقينٍ؟! والعجب لمن يحتمي عن الطعام لأذيّته، كيف لا يحتمي عن الذنب لأليم عقوبته[٥]؟!

شعر:

جسمـك بالحميـــة وقيتـــــه	مخافـــــة البـــــارد والحـار
قـــد كان أولـــى بك أن تحتمـي	عن المعاصـــي حـــذر النـار

---

١. لعلّه إشارةٌ إلى الآية: ٧١ من سورة النساء.

٢. لعلّه إشارةٌ إلى ما أورده في تحف العقول: ٢٠٢ عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام من قوله: «أنتم في مهل، من ورائه أجلٌ، ومعكم أملٌ يعترض دون العمل، فاغتنموا المهل، وبادروا الأجل، وكذّبوا الأمل، وتزوّدوا من العمل».

٣. العسوف: الظلوم.

٤. البارق: السحاب الذي يكون فيه البرق ولا ماء فيه، ويضرب به المثل للتشبيه بالكذّاب.

٥. إشارة إلى ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «عجبت لمن يحتمي من الطعام؛ مخافة الداء، كيف لا يحتمي من الذنوب؛ مخافة النار؟!» كما رواه في من لا يحضره الفقيه ٣: ٣٥٩، باب الصيد و الذبائح، الحديث ٤٣٧٢.

يا نفس:

ومن العجب أنّه لو أخبرك طفلٌ بأنّ عقرباً في جيبك لرميت بثوبك، أو حيّةً في إزارك لرميت بأطمارك[١] ! أفكان قول الأنبياء والأبدال[٢] أقلّ عندك من قول الأطفال؟! أم صار حرّ نار جهنّم وزقّومها[٣] أحقر عندك من العقرب وسمومها[٤] ؟! ولا جرم فلو انكشف للبهائم علانيتك وسريرتك، لضحكوا من غفلة سيرتك.

يا نفس:

من لا يُطعم الدابّة إلاّ في الحضيض[٥] لا يقدر على قطع العقبة؟! ومن لا يملك قيراطاً من المال كيف يفكّ الرقبة[٦]؟! وكيف بك إذا اُمرت بالصعود على عقبةٍ كؤودٍ[٧]، وطرسك[٨] موفورٌ من السيّئات، وظهرك موقورٌ[٩] من التبعات، وأنت مع ذلك عاريةٌ عطشانةٌ حافيةٌ غرثانةٌ[١٠] ؟! فلا شكّ هنالك أنّ المستريح أحسن حالاً من الطليح[١١]، ولا جرم أنّ المبطئين

---

١. الطمر: الثوب الخلق، والجمع أطمار.

٢. الأبدال في اصطلاح الصوفيّة لفظ مشترك: يطلق تارةً على جماعة بدّلوا صفاتهم الذميمة بالصفات الحميدة، وعددهم غير محصور، وأُخرى يطلق على عددٍ معيّنٍ قيل: إنّهم أربعون شخصاً لهم أوصافٌ مشتركةٌ. ويقال لهم الأبدال لأنّهم إذا ذهب واحدٌ منهم حلّ محلّه الذي يليه في الرتبة وينال مقامه. وقيل: إنّ تسميتهم بالأبدال لأنّ الحقّ جلّ جلاله أعطاهم قوةً بحيث ينتقلون حيث يشاؤون. ونسب إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال: «بدلاء أمّتي سبعة» وهم في سبعة أقاليم: فالذي في الإقليم الأوّل على قلب إبراهيم عليه السلام واسمه عبد الحيّ، والثاني على قلب موسى عليه السلام واسمه عبد العليم، والثالث على قلب هارون عليه السلام واسمه عبد المريد، والرابع على قلب إدريس عليه السلام واسمه عبد القادر، والخامس على قلب يوسف عليه السلام واسمه عبد القاهر، والسادس على قلب عيسى عليه السلام واسمه عبد السميع، والسابع على قلب آدم عليه السلام واسمه عبد البصير. راجع كشّاف اصطلاحات الفنون ١: ٨٨ ـ ٨٩ هذا، إلاّ أنّ المحقّق عبد الرزّاق الكاشاني في اصطلاحاته: ١٧ قال: البدلاء: سبعة رجالٍ يسافر أحدهم عن موضع ويترك جسداً على صورته فيه، بحيث لا يعرف أحد أنّه فقد، وذلك معنى البدل لا غير، وهم على قلب إبراهيم عليه السلام.

٣. الزقوم: الأطعمة الكريهة في النار، كما أفاده الراغب في مفرداته.

٤. إشارة إلى الآيتين: ٤٢ و٥٢ من سورة الواقعة.

٥. الحضيض: القرار من الأرض عند منقطع الجبل.

٦. إشارة إلى الآيات: ١١ـ ١٣ من سورة البلد.

٧. عقبة كؤود: شاقّة الصعود صعبة المرتقى.

٨. الطرس: الصحيفة.

٩. موقور أي: مُثقل.

١٠. غرثانة: جائعة.

١١. طلح البعير إذا أعيا وكلّ، والطلح والطلاحة: الإعياء والسقوط من السفر.

أقبح حالاً من المسرعين[١]. فاستعدّي للآخرة على قدر هول أرض الساهرة[٢]، ولا تكوني ممّن يعجز عن شكر ما أُوتي، ويبغي الزيادة فيما بقي، وينهى الناس ولا ينتهي[٣].

[المبادرة إلى العمل الصالح]

يا نفس:

ما المانع لك من المبادرة إلى صالح الأعمال؟ وما الباعث لك على التسويف والإهمال؟ وهل سببه إلاّ عجزك عن مخالفة شهوتك، وضعفك عن مؤالفة أئمّتك؟ وهب أنّ الجهد في آخر العمر نافع وأنّه مُرقٍ إلى أسعد المطالع، فلعلّ اليوم آخر عمرك ونهاية دهرك[٤].

شعر:

ولا تُرجِ فعلِ الصالحات إلى غدٍ
لعلّ غداً يأتي وأنت فقيد

[فطام النفس وشهواتها]

يا نفس:

غالبي الشهوة قبل قوّة طراوتها؛ فإنّها إن قويت لم تقدري على مقاومتها. وَمُثُل ذلك: أنّ الشهوة كالشجرة النابتة والصخرة الثابتة التي تعبّد العبد بقلعها أو أُمر بنزعها،

---

١. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في وصيّته لابنه الحسن عليه السلام ـ حسبما نقله الشريف الرضيّ في نهج البلاغة: ٣٩١ـ٤٠٦، الكتاب ٣١ ـ من قوله: «واعلم: أنّ أمامك طريقاً ذا مسافة بعيدة ومشقّة شديدة ... واعلم: أنّ أمامك عقبة كؤوداً: المخفّ فيها أحسن حالاً من المُثقِل، والمبطئُ عليها أقبح حالاً من المسرع، وأنّ مهبطك بها ـ لا محالة ـ: إمّا على جنّة أو على نار. فارتد لنفسك قبل نزولك، ووطّئ المنزل قبل حلولك؛ فليس بعد الموت مستعتبٌ، ولا إلى الدنيا منصرفٌ» فراجع وتدبّر.

٢. إشارة إلى قول تعالى: ﴿إِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ * فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾ سورة النازعات، الآيتان: ١٣ـ١٤]. والساهرة: الأرض المستوية أو الخالية من النبات، وقيل: أرض القيامة.

٣. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام من قوله لرجلٍ سأله أن يعظه فأجاب: «لا تكن ممّن يرجو الآخرة بغير عملٍ... إن أُعطي منها لم يشبع، وإن منع منها لم يقنع، يعجز عن شكر ما أُوتي، ويبتغي الزيادة فيما بقي، ينهى ولا ينتهي، ويأمر بما لا يأتي» فراجع نهج البلاغة: ٤٩٨، الحكمة ١٥٠.

٤. لعلّه إشارةٌ إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في كلامه في المبادرة إلى صالح الأعمال، كما أورده الرضي في النهج: ٩٥، الخطبة ٦٤.

فمن ترك قلعها وعجز عن نزعها، كان كمن عجز عن قلع شجرة وهو شابٌّ قويّ الهمّة، فأخّرها بعد أمةٍ[١] إلى الضعف وابيضاض اللمّة[٢]، مع العلم بأنّ طول المدّة تزيد الشجرة قوّةً وثباتاً، وتولي القالع ضعفاً وشتاتاً.

وبالجملة: ما لا يقدر عليه في الشباب لا يقدر عليه في المشيب، لكن من التعذيب تهذيب الذنب[٣].

شعر:

أتروض عرسك بعد ما هرمت ومن العناء رياضة الهرم

يا نفس:

ما قولك في مريضٍ غمره الأسقام أُشير عليه بترك الماء البارد ثلاثة أيّام؛ ليصحّ ويتهنّأ بشربه مدى الشهور والأعوام؟ فما مقتضى العقل في افتعال أمر الصبوةً وقضاء حقّ الشهوة: أيصبر الثلاثة أيّام ليتنعّم طول عمره، أم يقضي في الحال شهوة وطره؟!

وليت شعري: أألم الصبر عن الشهوات وكظم الغيظ عن العقوبات أعظم شدّة وأطول مدّة، أم ألم النار وغضب الجبّار[٤]؟!

يا نفس:

من لا يطيق الصبر عن قضاء الوطر، كيف يصبر يوم العرض على حرّ سقر[٥]؟!

يا نفس:

ولربّ شهوة ساعةٍ قد أورثت حزناً طويلاً، فكم من أُمنيّةٍ جلبت منيّةً[٦]!

شعر:

من نال من دنياه أُمنيّة أسقطت الأيّام منها الألف

---

١. الأمة: الحين.

٢. اللمّة: الشعر يجاوز شحمة الأُذن.

٣. لعلّه تلميحٌ إلى ما ورد في الخطبة المعروفة بالغرّاء عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، حسبما نقله في نهج البلاغة: ١٠٧ ـ ١١٥، الخطبة ٨٣، ونحوه ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، باب الدنيا دار الفناء وباب العمر.

٤. لعلّه تلميحٌ إلى بعض الفقرات الواردة في الدعاء الموسوم بدعاء كميل وخطبة مولانا أمير البيان ـ ذي البيان الأمير على كلّ بيانٍ ـ في الحثّ على التقوى، أي: الخطبة ١٩٠ من نهج البلاغة: ٢٨٠ـ ٢٨٣.

٥. سقر: اسم علم لجهنّم، وإليها الإشارة في الآيات الكريمة ٢٦ـ٣٠ من سورة المدّثر.

٦. إشارة إلى ما ورد في وصيّة رسول الله صلى الله عليه وآله لأبي ذرّ، حسبما رواه الشيخ في أماليه: ٥٣٣، المجلس ١٩، الحديث ١، وما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر: ٣١٢، باب ذمّ الأمل، الحديث ٧٢١٧.

وإيّاكِ إيّاكِ أن تُرضي غير الله وتعرضي عنه ؛ فإنّه مانعك من الغير، ولا يمنعك الغير منه. والعجب منك: كيف تذنبين والشاهد عليك الملك الجبّار؟! وتضحكين ولعلّ أكفانك قد خرجت من عند القصّار[١] ؟!

[مواعظ وحكم]

يا نفس:

وممّا أعظك به من كلام أمير المؤمنين وسيّد الوصيين أنّ: «الفكر يهدي، والهوى يردي، والشهوات آفاتٌ، واللذّات مفسداتٌ، والرزق مقسومٌ، والحريص محرومٌ، والدنيا تضرّ، والأمل يغرّ، والأمن اغترارٌ، واليقظة استبصارٌ، والغفلة ضلالةٌ، والغرّة جهالةٌ[٢]».

[شرائط الهويّ والرقيّ]

يا نفس:

مكاسب الدنيا بالإنفاق والآخرة بالاستحقاق، والهوى عدوّ العقل، واللهو من ثمار الجهل، والأعمال من ثمار النيّات، والصدقة أفضل الحسنات، والطمع فقرٌ ظاهرٌ، واليأس غنىً حاضرٌ[٣].

يا نفس:

السلامة في التفرّد، والراحة في التزهّد، والساعات تكمن الآفات، والعمر تفنيه اللحظات، والدنيا سوق الخسران، والجنّة دار الأمان، والحساب قبل العقاب، والثواب بعد الحساب، والدنيا دار الأشقياء، والجنّة دار الأتقياء[٤].

---

١. إشارة إلى ما ورد عن مولانا الرضا عليه السلام عن أبيه عن الحسين بن علي عليهما السلام، حسبما رواه الصدوق في عيون أخبار الرضا ٢: ٤٤، باب فيما جاء عن الرضا من الأخبار المجموعة، الحديث ١٥٨. والقصّار: المحوّر للثياب بعد أن يدقّها بالقصرة التي هي قطعة من الخشب.

٢. اُنظر الغرر والدرر، الأحاديث ٥٨٧، ٧٠١٠، ٦٩٣١، ٦٩١٥، ٩١٧٨، ٢٤٦٨، ٧٢٨٨، ١٠٢٦٠، ١٠٢٩٠، ٧١٧٠.

٣. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٢٦٨٩، ٨٠٨، ١٠٥٣٧، ١٦٢٢، ٩١٢٨، ٦٧٤٧، إلاّ الحديث الأخير فإنّه روي عن مولانا الرضا عليه السلام، حسبما جاء في فقه الرضا: ٣٦٧، باب اليأس ممّا في أيدي الناس.

٤. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٧٣٦٢، ٦٠٧٦، ١٠٨٤٤، ٣٠٤١، ٢٥٣٢، ٣٣٠٤، ٣٢٣٧، ٢٤٥٩، ٣٣٠٦.

[التحذير عن الركون إلى الدنيا]

يا نفس:

الدنيا محلّ الآفات، والمال مادّة الشهوات، والدنيا مطلّقة الأكياس ومنيّة الأرجاس، والتقوى خير زادٍ، والطاعة أحرز عتادٍ، والزهد متجرٌ راجحٌ، والورع عملٌ راجحٌ، والحريص عبد المطامع، والمستريح من الناس القانع[١].

يا نفس:

المواصل للدنيا مقطوعٌ، والمغترّ بالآمال مخدوعٌ، والتقوى رأس الحسنات، والورع جُنّةٌ من السيّئات، والتوبة تستنزل الرحمة، والإصرار يجلب النقمة، والطاعة تستدرّ المثوبة، والمعصية تجلب العقوبة[٢].

يا نفس:

الدنيا دار المحنة، والهوى مطيّة الفتنة، والتعزّز بالتكبّر ذلّ، والتكبّر بالدنيا قلّ، واليقين رأس الدين، والانفراد راحة المتعبّدين، والزهد سجيّة المخلصين، والخوف جلباب العارفين، والبكاء شعار المشفقين، والفكر نزهة المتّقين، والسهر روضة المشتاقين، والإخلاص عبادة المقرّبين، والذكر لذّة المحبّين[٣].

يا نفس:

الدنيا مصرع العقول، والشهوات تسترقّ الجهول، والفكر مرآةٌ صافيةٌ، والموعظة نصيحةٌ شافيةٌ، والنيّة أساس العمل، والأجل حصاد الأمل، والمقادير لا تدفع بالقوّة والمغالبة، والأرزاق لا تنال بالحرص والمطالبة[٤].

يا نفس:

الدنيا كيومٍ مضى وشهرٍ انقضى، فالرغبة فيها توجب المقت، والاشتغال بالفائت

---

١. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٢٢٣٨، ٨٣١٧، ٢٥٣٧، ٢٥٣٥، ٥٩٣٩، ٣٤١٧، ٦٠٨٢، ٦٦٣٦، ٩٠٧٢.

٢. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٢١٨٤، ٧٢٤٤، ٥٩٢٠، ٥٨٨٠، ٣٨٣٥، ٣٥٧٧، ٣٤٤٧، ٣٢٥٨.

٣. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٢٢٤٠، ٧٠٢٧، ٧١٤١، ٢٥٤٠، ٧٢٤، ٧٣٦٣، ٦٠٣٢، ٣٧١٠، ٣٧٢٨، ٥٣٧، ٧٣٧٥، ٣٨٩٣، ٣٦٤٩.

٤. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٢٥٣٩، ٦٩٦٣، ٤٥١٩، ١٦٢٤، ٣١٨٢، ١٧٩٤، ٩١٩٥، وما في نهج البلاغة: ٥٣٨، الحكمة ٣٦٥.

يضيع الوقت، والمال يفسد المآل ويوسع الآمال، وهو داعية التعب ومطيّة النصب، والغنيّ من استغنى بالقناعة، والعزيز من اعتزّ بالطاعة[١].

يا نفس:

أسباب الدنيا منقطعةٌ، وعواريها[٢] مرتجعةٌ، والمصيبة بالدين أعظم المصاب، والغضب يفسد الألباب ويبعد من الصواب، وهو عدوٌّ فلا تملّكيه نفسك ولا تجعليه لبسك، والندم على الخطيئة استغفارٌ، والمعاودة للذنب إصرارٌ[٣].

يا نفس:

الوله بالدنيا أعظم فتنةٍ، واطّراح الكلف أشرف قنيةٍ[٤]، فمن أخلص فيها توبته أسقط حوبته[٥]، والعمل فيها بطاعة الله أربح، والرجاء لرحمته أنجح، والاشتغال بتهذيب النفس أصلح، والاتّكال على القضاء أروح[٦].

شعر:

عجبت لشيءٍ لا يساوي جميعه
جناح بعوضٍ عند من أنت عبده
شُغلت بجزءٍ منه عنه فما الذي
يكون إذا حاسبك عذرك عنده

يا نفس:

الحازم من ترك الدنيا للآخرة، والرابح من باع العاجلة بالآجلة يوم الساهرة، والزهد أن لا يُطلب المفقود حتّى يعدم الموجود، واجتناب السيّئات أولى من اكتساب

---

١. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٢٢٦٨، ٢٥١٦، ١١٠٢٢، ٨٣١٩، ٨٣٤٢، ٩٠٣١، ٣٤٩٥.

٢. عواري جمع عارية، وهي العطيّة والمنفعة، والمراد واضحٌ.

٣. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٢٣١٧، ٦٢٢٣، ٨٦٢، ٦٨٦٠، ٣٧٩٧، ٣٥٧٨.

٤. اطّرح الكلف أي: ترك التكلّف، وقنية بمعنى: غنيمة.

٥. الحوبة: الخطيئة.

٦. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٢٤٤٨، ١٠٩٧٢، ٣٨٣٦، ٣٤٣٣، ١٣٢٢، ٤٨٣٩، ١٨٣٤.

الحسنات، واشتغالك بمعايبك يكفيك العار، واشتغالك بإصلاح معادك ينجيك من عذاب النار، والطاعة لله أقوى سببٍ، والموّدة في الله أقرب نسبٍ[١].

يا نفس:

الدنيا لا تصفو لشاربٍ ولا تفي لصاحبٍ؛ فهي مليّة بالمصائب طارقةٌ بالفجائع والنوائب. والعاقل من هجر شهوته وأسخط دنياه وأرضى آخرته، والعارف من عرف نفسه فأعتقها ونزّهها عن كلّ ما يبعدها ويوبقها[٢].

يا نفس:

الدنيا إذا تحلّت انحلّت، وإذا حلَتْ أوحلتْ، فالحازم من جاد بما في يده ولم يؤخّر عمل يومه إلى غده، والكيّس من كان يومه خيراً من أمسه وعقل الذمّ عن نفسه، والشقيّ من اغترّ بحاله وانخدع لغرور آماله، والجاهل لا يرتدع وبالموعظة لا ينتفع[٣].

يا نفس:

الدنيا شرك النفوس وقرارة كلّ ضرٍّ وبؤسٍ، وهي عرضٌ حاضرٌ يأكل منه البرّ والفاجر، فأخوك في الله من هداك إلى رشادٍ ونهاك عن فسادٍ وأعانك على إصلاح المعاد، والحازم من لم يشغله غرور دنياه عن العمل لأُخراه، والمغبون من اشتغل بالدنيا جهده وفاته من الآخرة جدّه[٤].

يا نفس:

أوقات الدنيا وإن طالت قصيرةٌ، والمتعة بها وإن كثرت يسيرةٌ، والخوف من الله في الدنيا يؤمن الخوف منه في العقبى. والمتّقي من اتّقى من الذنوب، والمتنزّه من تنزّه عن العيوب. وانتباه العيون لا ينفع مع غفلة القلوب. والعاقل من زهد في الدنيا

---

١. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٢٦٥٨، ٢٦٥٩، ٦٠٥١، ٣٥١٤، ٤٦٨٨، ٢٦٣٥، ٣٤١٩، ٩٦٩٢.

٢. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٢٣٣٩، ٢٢٤١، ٤٤٩، ٤٨٤١.

٣. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ١٠٨٨٢، ٧٤٦٣، ٧١٧١، ١١٥١.

٤. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٢٢٤٣، ٢٦٩١، ٩٦٩٧، ١٠٨٨٣، ٢٦٦٣.

الدنيّة ورغب في جنّةٍ سنيّةٍ[١].

يا نفس:

اعزفي عن دنياك تصلحي مثواك، واركني إلى الحقّ وإن خالف هواك، واجعلي جهدك وهمّك لآخرتك، واحفظي بطنك وفرجك؛ فهما فتنتك، واعفي عن خادمك إذا عصاك، واضربيه إذا عصى مولاك[٢].

يا نفس:

اُنظري إلى الدنيا نظر الزاهد المفارق، ولا تنظري إليها نظر العاشق الموامق[٣]، وامسكي من المال بقدر ضرورتك، وقدّمي الفضل ليوم فاقتك، واذكري مع كلّ لذّةٍ زوالها ومع كلّ نعمةٍ انتقالها، واجعلي همّتك وسعيك للخلاص من الشقاء والعقاب والنجاة من مقام البلاء والعذاب[٤].

[هجران الشهوات والكثرات]

يا نفس:

اذكري عند المعاصي ذهاب اللذّات وبقاء التبعات، واهجري الشهوات؛ فإنّها تقود إلى ركوب السيّئات، واعملي والعمل ينفع والدعاء يسمع والتوبة ترفع، والمحتكر البخيل جامعٌ لمن لا يشكره وقادمٌ على من لا يعذره[٥].

يا نفس:

اتّقي غرور الدنيا؛ فإنّها تسترجع أبدا ما خدعت به من المحاسن، وتزعج المطمئّن

---

١. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٢٢٨٨، ٣٦٩٦، ٥٨١٦، ٩٠٩، ٤٦٣.

٢. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٢٤٢٦، ٩٦٤، ٢٥٩٢، ٦٩٤٥، ٧٨١٧.

٣. الموامق: المحبّ المتودّد.

٤. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٢٤٧٢، ٨٣٠٢، ٢١٨٦، ٢٥٩١.

٥. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٣٥١٧، ٦٩٧٢، ٢٧٨٤، ٨٢٠٥

إليها القاطن. فكم من جامع مالٍ يبخل على نفسه بأقلّه ويسمح لوارثه بكلّه، ولعلّه من باطل جمعه ومن حقٍ منعه، أصابه حراماً واحتمل به آثاماً! وربّ مستقبل يومٍ ليس بمستدبره، ومغبوطٍ في أوّل ليلٍ قامت بواكيه في آخره[١]!

شعر:

هـو الـمـوت لا أعـوانـه تَـقـبـل الـرشـا
ولا تُـشـتـرى سـاعـاتـه بـالـدراهـم

[الاستعداد ليوم المعاد]

يا نفس:

استعدّي ليومٍ تشخص فيه الأبصار وتفدم فيه الأبصار[٢]، واذكري هادم اللذّات ومنغّص الشهواتٍ وداعي الشتات ومفرّق الجماعات ومبعّد الأُمنيّات ومدني المنيّات والمؤذن بالبين والشتات، واحذري الأمل المغلوب والفاني المحبوب والنعيم المسلوب[٣].

شعر:

أمـــا والله لـــو عـــلـــم الأنـــام
لِما خُلقوا لَما هجعوا وناموا
لـقـد خُـلـقـوا لِـمـا لـو أبـصـرتـه
عـيـونٌ قلوبهم تـاهـوا وهـامـوا
حـــيـــاة ثـــمّ مـــوت ثـــمّ بـعـث
وتــوبــيــخ وأهـــــوال عـظـام

[لزوم اتّقاء اليسير الحائل والأمل الزائل]

يا نفس:

احذري أن يخدعك الغرور بالحائل اليسير أو يستزلّك السرور بالزائل الحقير،

---

١. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٢٣٥٣، ٦٥١٥، ٧٢ ٤٧، وما في نهج البلاغة، الحكمة ٣٨٠.

٢. الأبصار الأُولى بمعنى: حاسّة البصر، والثانية بمعنى: البيّنة، وتفدم فيه الأبصار أي: تعيا عن الحجّة والكلام، والفقرة إشارة إلى الآية: ٤٢ من سورة إبراهيم.

٣. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٣١٢٩، ٢٦٥٧، ٢٤١٧، ٧٢٠٨.

وإيّاك وفعل القبيح؛ فإنّه يقبّح ذكرك ويكبّر وزرك ويحبط أجرك، وإيّاك أن تكوني على الناس طاعنةً ولنفسك مداهنةً؛ فتعظم عليك الحوبة وتحرمي المثوبة[١].

يا نفس:

إيّاك وطول الأمل؛ فكم من مغرورٍ افتتنه أمله، فأفسد عمله وقطع أجله، فلا أمله أدرك ولا ما فاته استدرك، وإيّاك والوقوع في الشبهات والولوع بالشهوات؛ فإنّهما يقتادانك إلى الوقوع في الحرام وركوب كثيرٍ من الآثام[٢].

[الاعتبار بمصارع الموتى]

يا نفس:

أين اللذين دانت لهم الأُمم وبلغوا من الدنيا أقاصي الهمم؟! أين اللذين حازوا من الدنيا أقاصيها واستذلّوا الأعداء وملكوا نواصيها؟! أين من سعى واجتهد، وأعدّ واحتشد، وبنى وشيّد، وزخرف ونجّد، وفرش ومهّد، وجمع وعدّد؟! أين كسرى وقيصر، وتبّع وحمير؟! وأعظم العظات الاعتبار بمصارع الأموات[٣].

[الفاني والباقي]

يا نفس:

أسعد الناس من ترك لذّةً فانيةً للذّةٍ باقيةٍ، وأشقاهم من باع جنّة المأوى بمعصيةٍ من معاصي الدنيا، وأفضل الناس من عصى [هواه ورفض دنياه، وقطع منها أمله ومناه، وكان همّه لأُخراه، وأبعد الناس من النجاح المشتهر باللهو والمزاح، وأبعدهم من الصلاح الكذوب ذو الوجه الوقاح[٤].

---

١. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٢٣٥٤، ٢٩٩٥، ٤٥٠٩.

٢. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الحديثان ٧٢٥٣ و ١٠٨٢.

٣. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٧٩١٧، ٧٩١٦، ٧٩١٩، ٧٩١٨، ٧٩٠٦، ٧٩١١، ٧٩١٠، ٧٩٠٧، ١٠٧٦٤.

٤. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٣٢٧٤، ٣٥٢٤، ٤٨٧٠، ١٠٥٤٢، ٤٤١١.

[الهوى والردى]

يا نفس:

إيّاك والهوى؛ فإنّ أوّله فتنةٌ وآخره محنةٌ، وإيّاك وحبّ الدنيا؛ فإنّها أصل كلّ خطيئةٍ ومعدن كلّ بليّةٍ. فالحازم من لا يغترّ بالخدع، والعاقل من لا يغترّ بالطمع، ومن باع نفسه بغير الجنّة، فقد عظمت عليه المحنة[١].

[خير المال وشرّه]

يا نفس:

إنّ مالَك لَحامدُك في حياتك ولذامّك بعد وفاتك، والتقوى عصمةٌ لك في حياتك وزلفى لك بعد مماتك، والمرء على ما قدّم قادمٌ، وعلى ما خلّف نادمٌ. وإنّ النفس التي تطلب الرغائب الفانية لتهلك في طلبها وتشقى في منقلبها، والتي تجهد في اقتناء الرغائب الباقية لتدرك طلبها وتسعد في منقلبها[٢].

يا نفس:

إنّ الدنيا لمفسدة الدين ومسلبة اليقين، وإنّها رأس الفتن وأصل المحن، وإنّ خير المال ما اكتسب ثناءً وشكراً، وأوجب ثواباً وأجراً. وإنّ أخيب الناس سعياً رجلٌ أخلق بدنه في طلب أمانيه، ولم تسعده المقادير على ما أراده واجتهد فيه، فخرج من الدنيا بحسراته، وقدم على الآخرة بتبعاته. والكيّس من كان لشهوته مانعاً، ولنزوته عند الحفيظة قامعاً[٣].

[آثار التقوى]

يا نفس:

إنّ تقوى الله عمارة الدين وعماد اليقين، وإنّها لمفتاح الفلاح ومصباح النجاح،

---

١. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٧٠٣٠، ٢٥١٧، ١٠٨٩٢، ٤٦٢٤.

٢. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٨٣٨٨، ٦٠١١، ٢٧٣٢، ٤٨١٧، ٤٨١٨.

٣. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٢١٧٤، ٨٢٨٥، ٣٢٩١، ٧٤٧٣.

وهي في اليوم الحرزُ والجُنّة وفي غد الطريق إلى الجَنّة، مسلكها واضحٌ، وسالكها رابحٌ. وإنّ المتّقين ذهبوا بعاجل الدنيا والآخرة: شاركوا أهل الدنيا في الدنيا ولم يشاركهم أهل الدنيا في الآخرة. بالتقوى ينجو الهارب وتُنجح المطالب وتُنال الرغائب[١].

[مساوئ الدنيا ودركاتها]

يا نفس:

إنّ من هوان الدنيا على الله أن لا يعصى إلاّ فيها، ولا ينال ما عنده إلاّ بترك ما لديها. فعيشها عناءٌ، وبقاؤها فناءٌ، لذّاتها تنقيصٌ، ومواهبها تغصيصٌ، سريعة الزوال، وشيكة الانتقال. تقبل إقبال الطالب، وتدبر إدبار الهارب، وتصل مواصلة الملول، وتفارق مفارقة العجول، تصل العطيّة بالرزيّة، والأُمنيّة بالمنيّة، خيرها زهيدٌ، وشرّها عتيدٌ، وملكها يسلب، وعامرها يخرب[٢].

يا نفس:

إنّ الدنيا لهي الكنود العنود، والصدود الجحود، والحيود الميود[٣]، عزّها ذلٌّ، وجدّها هزلٌ، وكثرها قلٌّ، وعلوّها سفلٌ. غرورٌ حائلٌ، وظلٌّ زائلٌ، وسنادٌ مائلٌ. عيشها قصيرٌ، وخيرها يسيرٌ، وإقبالها خديعةٌ، وإدبارها فجيعةٌ، ولذّاتها فانيةٌ، وتبعاتها باقيةٌ. في حلالها حسابٌ، وفي حرامها عقابٌ. من استغنى فيها فتن، ومن افتقر فيها حزن[٤].

يا نفس:

إنّ الدنيا دار شخوصٍ، ومحلّة تنغيصٍ، ساكنها ظاعنٌ، وقاطنها بائنٌ، وبرقها خالبٌ، ونطقها كاذبٌ، وأموالها مخروبةٌ، وأعلاقها مسلوبةٌ، ولذّاتها قليلةٌ، وحسرتها طويلةٌ. غرّارةٌ غرورٌ ما فيها، فانيةٌ فانٍ من عليها، تشوب نعيمها ببؤسٍ، وتقرن سعودها

---

١. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٦٠١٣، ٦٠١٢، ٥٩٩٠، ٥٩٤٢.

٢. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٢٥٥٠، ٢١٥٦، ٢٣٢٢، ٢٣٥٧، ٢٢٧٤.

٣. حاد عن الطريق إذا مال عنه وعدل، وماد الشيء: تحرّك ومال.

٤. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٢١٥٩، ٢٣٥٧، ٢١٦٠، ٢١٦١.

بنحوسٍ، وتصل نفعها بضرٍ، وتمزج حلوها بمرٍّ[١].

يا نفس:

إنّ الدنيا دار محنٍ، ومحلّ فتنٍ، غرّارةٌ خدوعٌ، معطيةٌ منوعٌ، ملبسةٌ نزوعٌ. تدني الآجال، وتباعد الآمال، وتبيد الرجال، وتغيّر الأحوال. لا يدوم رخاؤها، ولا ينقضي عناؤها، ولا يركد بلاؤها. قد أمر منها ما كان حلواً، وكدر منها ما كان صفواً. من صارعها صرعته، ومن غالبها غلبته، ومن أبصر إليها أعمته، ومن أبصر بها بصّرته، ومن عاصاها أطاعته، ومن ساعاها فاتته، ومن تركها نالته[٢].

يا نفس:

إنّ الدنيا دارٌ بالبلاء معروفةٌ، وبالغدر موصوفةٌ، لا تدوم أحوالها، ولا يسلم نزّالها، العيش فيها مذمومٌ، والأمان فيها معدومٌ. ألا وهي المتصدّية للعيون، والجامحة الحرون[٣]، والمائنة الخؤون[٤]. تعطي وترتجع، وتنقاد وتمتنع، وتوحش وتؤنس، وتطمع وتؤيس، يعرض عنها السعداء، ويرغب فيها الأشقياء[٥].

يا نفس:

إنّ الدنيا ظلّ الغمام، وحلم المنام، والفرح الموصول بالغمّ، والعسل المشوب بالسمّ، سلاّبة النعم، أكّالة الأمم، جلاّبة النقم، نعيمها ينتقل، وأحوالها تبتدل. لا تفي لصاحبٍ، ولا تصفو لشاربٍ، ولا تبقى على حالةٍ، ولا تخلو من استحالةٍ، تصلح جانبا بفساد جانبٍ، وتسرّ صاحبا بمساءة صاحبٍ[٦].

يا نفس:

إنّ الدنيا يونق منظرها، ويوبق مخبرها، ولا تدوم حبرتها[٧]، ولا تؤمن فجعتها.

---

١. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الحديثان ٢١٦٢ و ٢٢٤٥.

٢. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٢٤٤٩، ٢٣٥٨، ٢١٦٣، ٢١٤٣.

٣. الجامحة: التي تُسرع براكبها، والحرون: التي لا تنقاد.

٤. المائنة: الكذوب.

٥. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٢٣٢٣، ٢٤٤٤، ٢١٦٥.

٦. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٢١٦٦، ٢٣٢٤، ٢٣٢٦.

٧. يونق أي: يعجب، ويوبق: يهلك، وحبرتها أي: حسنها وجمالها.

حائلةٌ زائلةٌ، نافدةٌ بائدةٌ، أكّالةٌ غوّالةٌ[١]، غرّارةٌ ضرّارةٌ. فالكون فيها خطرٌ، والثقة بها غررٌ، والإخلاد إليها محالٌ، والاعتماد عليها ضلالٌ. لم يصفها الله لأوليائه، ولم يضنّ[٢] بها على أعدائه، وهي والآخرة عدوّان متفاوتان، وسبيلان مختلفان: فمن أحبّ الدنيا وتوالاها، أبغض الآخرة وعاداها[٣].

[حرث الدنيا وزاد الآخرة]

يا نفس:

إن جزعت على ما تفلّت من يديك فاجزعي على ما لم يصل إليك، وإن كنت في البقاء راغبةً فازهدي في عالم الفناء، وإن كنت للنعيم طالبة فاعتقي نفسك من دار الشقاء. وأراك إن دعيت إلى حرث الآخرة كسلت، وإن دعيت إلى حرث الدنيا عملت، وإن سقمت ندمت، وإن عوفيت نسيت، تواقعين الحوبة، وتتّكلين على التوبة. فأحسني الاستعداد والإكثار من الزاد ليوم تقدمين على ما قدّمت، وتندمين على ما خلّفت، وتجازين على ما أسلفت[٤].

يا نفس:

إنّك إن سالمت الله سلمت وفزت، وإن حاربت الله خربت وهلكت، وإن أقبلت على الدنيا أدبرتْ، وإن أدبرت أقبلتْ. وإنّك إن أطعت الله نجّاك وأصلح مثواك، وإن أطعت هواك أصمّك وأعماك وأفسد منقلبك وأرداك، وإن ملكت هواك قيادك أفسد معادك وأرداك، بلاءٌ لا ينتهي، وشقاءٌ لا ينقضي[٥].

---

١. غوّالة أي: خادعة وهالكة.

٢. لم يضنّ بها: لم يبخل بها.

٣. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٢٣٦٠، ٢٣٥٩، ٢٣٢٦، ٢٤٦٧.

٤. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٥٦٢٨، ٦٠٨٧، ٦٠٨٨، ٢٤٧٧، ٢٧١٧.

٥. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٣٥٠٩، ٢١٨٧، ٢١٨٨، ٣٤٥١، ٧٠٣٤، ٤٧٨٣.

[لزوم اغتنام المكارم]

يا نفس:

إنّك إن اغتنمت صالح الأعمال نلت من الآخرة نهاية الآمال، وإنّك إلى مكارم الأخلاق والأفعال أحوج منك إلى جمع الأموال، وإنّك إلى إعراب الأعمال أحوج منك إلى إعراب الأقوال، وإنّك إلى اكتساب الأدب أحوج منك إلى اكتساب الفضّة والذهب. وإنّك إن رغبت في الدنيا أفنيت عمرك وأبقيت وزرك، وإن زهدت خلصت من الشقا وفزت بدار البقا. فاصبري على البلا، واشكري في الرخا، وارضي بالقضا، يكون لك من الله الرضا[1].

[حكم أمير المؤمنين عليه السلام]

يا نفس:

من كلام سيّد الوصيّين أمير المؤمنين صلوات الله عليه لرجل سأله الموعظة ومن رقدة الغفلة أن يوقظه: «لا تكن ممّن يرجو الآخرة بغير عملٍ، ويرجو التوبة بطول الأمل، يقول في الدنيا بقول الزاهدين، ويعمل فيها بعمل الراغبين. إذا أُعطي منها لم يشبع، وإن منع منها لم يقنع، يعجز عن شكر ما أُوتي، ويبتغي منها الزيادة فيما بقي، ينهى ولا ينتهي، ويأمر بما لا يأتي. إن أصابه بلاءٌ دعا مضطرّاً، وإن ناله رخاءٌ أعرض مغترّاً. يقصر إذا عمل، ويبالغ إذا سئل، يصف العبرة ولا يعتبر، ويبالغ في الموعظة ولا يزدجر، فهو بالقول مدلٌّ، ومن العمل مقلٌّ. يناقش فيما يفنى، ويسامح فيما يبقى، يرى المغنم مغرما، والمغرم مغنماً، يخشى الموت، ولا يبادر الفوت. يستعظم عن معصية غيره ما يستقلّه من معاصي هواه، ويستكثر من طاعته ما يستحقره من طاعة سواه، فهو على الناس طاعنٌ، ولنفسه مداهنٌ. يهوى داراً أوّلها عناءٌ، وآخرها فناءٌ، في حلالها حسابٌ، وفي حرامها عقابٌ، من استغنى فيها افتتن، ومن افتقر فيها حزن، من سعى إليها فاتته، ومن قعد عنها أتته، من أبصر بها بصّرته، ومن أبصر إليها أعمته»[2].

---

١. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٢٨٧٠، ٢٨٧٠، ٧٣١٦، ٥٠٨١، ٢٥١٨، ٦٠٨٨، ٦٢٧٩.

٢. كما أورده الشريف الرضي في نهج البلاغة: ٤٩٧ ـ ٤٩٩، الحكمة ١٥٠ مع تفاوتٍ في اللفظ، فلاحظ.

فقال عليه السلام: «دنياك مثل الشمس تدني إليك الضوء، لكن وعرة المسلك، إذا أبصرت إلى نورها تُعش، وإن تبصر به تدرك»[١].

[علامات الكرامة والسلامة]

يا نفس:

إنّما الكرم التنزّه عن المساوي، والورع التطهّر عن المعاصي. واعلمي: أنّ آفة العقل الهوى، وآفة النفس الوله بالدنيا، وآفة الطاعة العصيان، وآفة النعم الكفران، وآفة الأعمال عجز العمّال، وآفة الآمال حضور الآجال. والبصير من سمع ففكّر، ونظر وأبصر، وانتفع بالعبر، والسعيد من خاف العقاب فآمن، ورجا الثواب فأحسن[٢].

يا نفس:

إذا كان البقاء لا يوجد فالنعيم زائلٌ، وإذا كان القدر لا يرد فالاحتراس باطلٌ. واعلمي: أنّه بالعفاف تزكو الأعمال، وبالصدقة تفسح الآجال، وبالطاعة يكون الإقبال، وأنّ الله إذا أحبّ عبداً بغّض إليه المال، وقصّر منه الآمال، وإذا أراد بعبد شرّاً حبّب إليه المال وبسط منه الآمال[٣].

[ما هو النافع والضارّ]

يا نفس:

إنّك ستؤاخذين بقولك فلا تقولي إلاّ خيراً، وتجازين بفعلك فلا تفعلي إلاّ برّاً، وإنّه بقدر اللذّة يكون التغصيص، وبقدر السرور يكون التنغيص، وبالطاعة تحصل المثوبة لا بالكسل، وبالعمل تحصل الجنّة لا بالأمل، وبالأعمال الصالحات ترفع الدرجات، وبالتوبة

---

١. أورده شعراً لا نثراً ابن أبي الحديد في شرحه على نهج البلاغة ٦: ٢٣٩ لدى تعرّضه للخطبة ٨١ في صفة الدنيا.

٢. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٥٨٦٠، ٥٨١٩، ٨١٤، ٢٣٨٥، ٣٥٩٦، ٧٤٨٧، ٧٩٢٤، ٧٢٧١، ٤٨١، ٣٢٧٢.

٣. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٢٢٩٢، ١٨٠٠، ٥٤٢٢، ٩١٤١، ٣٣٩١، ٨٣٠٣، ٨٣٠٤

تمحّص السيّئات، وبادري العمل عمراً ناكساً ومرضاً حابساً وموتاً خالساً[١][٢].

يا نفس:

حبّ الرئاسة رأس المحن، وحبّ المال سبب الفتن، وحبّ الدنيا يوهن الدين ويفسد اليقين. وحقٌّ يضرّ خيرٌ من باطلٍ يسرّ، وخير الأعمال ما قضى اللوازم واكتسب شكراً، وخير الأموال ما أعان على المكاره واسترقّ حرّاً. وخير الناس من إذا أُعطي شكر، وإذا اُبتلي صبر، وإذا ظُلم غفر، وإذا أحسن استبشر، وإذا أساء استغفر[٣].

يا نفس:

حاصل المعاصي التلف، وحاصل الأماني الأسف، وحاصل التواضع الشرف، ودرك الخيرات ونيل السعادات بلزوم الطاعات والأعمال الزاكيات. واعلمي: أنّ دوام الفكر والحذر يؤمن من الزلل والعثر، وأنّ دوام الاعتبار يؤدّي إلى الاستبصار ويثمر الازدجار، وأنّ ذهاب البصر خيرٌ من عمى البصيرة، وذهاب النظر خيرٌ من النظر إلى ما يوجب الجريرة[٤].

[طول الأمل وقصره]

يا نفس:

رحم الله امرءاً قصّر الأمل، وبادر الأجل، واغتنم المهل، وأحسن العمل. ورحم الله امرءاً ألجم نفسه عن معاصي الله بلجامها، وقادها إلى طاعة الله بزمامها. فَزِدي من طول أملك في قصر أجلك، ولا تغرّنّك صحّة نفسك وسلامة أمسك؛ فإن مدّة العمر قليلةٌ، وسلامة الجسم مستحيلةٌ[٥].

---

١. العمر الناكس: الهرم، والموت الخالس: المختطف، والمرض الحابس: العسير.

٢. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٣٢٣٦، ٢٨٦٩، ٦٩٢٠، ٦٩١٩، ٣٤٤٧، ٣١٦٠، ٣١٩٣، ٢٨٧٢، ٣٨٣٨، ونهج البلاغة، الخطبة ٢٣٠.

٣. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٥٨٦٠، ٥٨١٩، ٨١٤، ٢٣٨٥، ٣٥٩٦، ٧٤٨٧، ٧٩٢٤، ٧٢٧١، ٤٨١، ٣٢٧٢.

٤. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٣٥٦٠، ٧٣٠٠، ٥١٨٢، ٣٤٢١، ٣٢٧٩، ٥٩٢، ١٠٧٨٨، ٤، ٥٥٤٤.

٥. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٢٧٣٤، ٤٧٢٠، ٣٠٣٣.

شعر:

كـــلّ حـــيـــاةٍ إلـــى مـــمـــاتٍ وكـــلّ ذي جـــدّة تـحـول
كـيـف بـقـاء الـفـروع يـومـاً وقـد ذوت دونـهـا الأُصـول

[التزهيد في الدنيا ولذّاتها]

يا نفس:

زهدك في الدنيا ينجيك، ورغبتك فيها ترديك. وسبب الشقاء حبّ الدنيا، وسبب فساد العقل الهوى، وسبب صلاح النفس الورع، وسبب فسادها الطمع. واعلمي: أنّ شرّ الناس الطويل الأمل السيّئ العمل، الذي ينصر الظلوم ويعين على المظلوم، وشرّ الناس من لا يرجى خيره ولا يؤمن شرّه[١].

يا نفس:

شتّان بين عملٍ تذهب لذّته و تبقى تبعته، وبين عملٍ تذهب مؤنته و تبقى مثوبته. واعلمي: أنّ شيمة العقلاء قلّة الشهوة والغفلة، و سجيّة الأتقياء اغتنام المهلة والتزوّد للرحلة، فشقّي أمواج الفتن بسفن النجاة، وشوّقي نفسك إلى نعيم الجنّات تحبّين الموت وتمقتين الحياة[٢].

[لزوم المراقبة والرعاية]

يا نفس:

طوبى لمن راقب ربّه، وخاف ذنبه، وشغل بالفكر قلبه. وطوبى لمن أطاعت نفسه ناصحاً يهديه، وتجنّبت غاوياً يرديه، قصّر همّته على ما يعنيه، وجعل كلّ جدّه لما ينجيه. وطوبى لمن بادر أجله، وأخلص عمله، وقصر أمله، واغتنم مهله. وطوبى لمن كذّب مناه، وأخرب دنياه لعمارة أُخراه، وملك هواه ولم يملكه، وعصى أمر نفسه فلم تهلكه. وطوبى

---

١. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٢٤٣٦، ٢٤٦٣، ٨١٥، ٥٩١٢، ٦٧٠٦، ٦٧٥٢، ٧٢٢٠، ١٠٤٠٨، ١٩٢٢.

٢. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٣٤٧٩، ٥٧٥١، ١٠٨٢٣، ٢٠٢٣، ٢٧٦٠.

لمن تحلّى بالعفاف، ورضي بالكفاف، وتجنّب الإسراف، وندم على زلّته، واستدرك فارط عثرته. وطوبى لمن بادر الهدى قبل أن تغلق أبوابه، والعمل الصالح قبل أن تنقطع أسبابه[1].

[الجمع بين الدنيا والآخرة]

يا نفس:

طلب الجمع بين الدنيا والآخرة من خداع النفس، وطالب الخير بعمل الشرّ فاسد العقل والحسّ، وطالب الدنيا بالدين معاقبٌ مذمومٌ وذو ضلالةٍ، وطالب المراتب والدرجات بغير عملٍ ذو] جهالةٍ. وطلب الجنّة بلا عملٍ حمقٌ، وطلب الثناء بغير استحقاقٍ خرقٌ. وطالب الآخرة يدرك منها أمله ويأتيه من الدنيا ما قدّر له، وطالب الدنيا تفوته الآخرة، ولا يدرك من الدنيا إلاّ الصفقة الخاسرة[2].

[التحلّي بالفضائل]

يا نفس:

طاعة دواعي الشرور تفسد عواقب الأُمور، ولقد ظفر بجنّة المأوى من غلب الهوى وأعرض عن شهوات الدنيا. وعليك بلزوم اليقين وتجنّب الشكّ في الدين؛ فليس للمرء شيءٌ أهلك لدينه من غلبة الشكّ على يقينه. وعليك بالوفاء؛ فإنّه أوقى جنّة، وبالعمل الصالح؛ فإنّه الزاد إلى الجنّة. وعليك بالصبر والورع؛ فإنّهما عون الدين، والحصن الحصين، وشيمة المخلصين، وعادة الموقنين[3].

يا نفس:

عليك بلزوم العفّة والأمانة، وترك فساد النيّة والجناية؛ فإنّ ذلك أشرف ما أسررت،

---

١. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٣٧١٦، ٣٦٩٩، ٣٧٠٢، ٤٥٧٥، ١٠٢٦٨، ٣١٣٤، ١٠٨٢٤، ٧٢٣٥، ٤٩٣١، ٥٠٦٦، ٩٢٢٥، ٨٩٩٣، ٣٨٠٣، ١٦٣٦، ٢٨٧٨.

٢. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٢٤٨٥، ١٩٣٣، ٢٢٢٤، ٢٩٦٠، ٢٩٥٩، ١٠٧٣٦، ٢٦٠٢، ٢٤٨٦.

٣. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ١٩٠٢، ٣٣١٧، ٣٣١٨، ٧٢٩، ٩٩٥٩، ٢٨٧٩، ٥٩١٥.

وأحسن ما أعلنت، وأفضل ما ادّخرت. وعليك بصنائع الإحسان، وحسن البرّ بذوي الرحم والجيران؛ فإنّهما يعمران الديار ويزيدان في الأعمار. وعليك بلزوم الصبر، ودوام الشكر ؛ فإنّهما يزيدان في النعمة ويزيلان النقمة[١].

يا نفس:

على قدر العقل تكون الطاعة، وعلى قدر العفّة تكون القناعة، وعند اشتداد القرح تبدو مطالع الفرح، وعند الامتحان يُكرم الرجل أو يهان، وعلى قدر البلاء يكون الجزاء، وعند كثرة العثار والزلل تكثر الملامة، وعند معاينة أهوال القيامة تكثر من المفرطين الندامة[٢].

[لزوم التزوّد للآخرة]

يا نفس:

عجباً لمن خاف البيات فلم يكفّ، ولمن عرف سوء عواقب اللذّات فلم يعفّ! وعجباً لمن يقنط ومعه نجاة الاستغفار، ولمن علم شدّة انتقام الله سبحانه وهو مقيمٌ على الإصرار! وعجباً لمن عرف أنّه منتقلٌ عن دنياه كيف لا يحسن التزوّد لأُخراه! وعجبا للشقيّ البخيل يتعجّل الفقر الذي منه هرب ويفوته الغنى الذي إيّاه طلب، فيعيش في الدنيا عيش الفقراء ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء! وعجباً لمن يتكلّم بما لا ينفعه في دنياه، ولا يكتب له أجره في اُخراه![٣].

[مجانبة الباطل و تبعاته]

يا نفس:

عودُك إلى الحقّ خيرٌ من تماديك في الباطل، وعداوة العاقل خيرٌ من صداقة الجاهل، وعبد الشهوة أذلّ من عبد الرقّ ولا يجد أبداً حلاوة العتق، وعبد الحرص

---

١. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٥٤١٣، ٧٥٢١، ٩٣٣٣، ٦٢٥٠، ٦١٧٧، ٦١٩٧.

٢. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٦٨٧، ٩٠٦٨، ١٧٦٨، ١٧٤٦، ١٧٣٩، ١١٠٥٩، ٣٣٠٢.

٣. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٣١٧٥، ٦٩٢٥، ٣٨٢٩، ٣٢٣٩، ٢٧٠١، ٨٣٧٣، ٤١٧٦.

مخلّد الشقاء، وعبد الدنيا مؤبّد البلاء، وقلبٌ متعلّقٌ بالشهوات غير منتفعٍ بالعظات[1].

يا نفس:

غشّك مَن بالباطل أرضاك وبالملاهي والهزال أغراك. واعلمي: أنّ في ذكر الله حياة القلوب، وفي رضاه غاية المطلوب، وفي الطاعة كنوز الأرباح، وفي مجاهدة النفس كمال الصلاح، وفي العزوف عن الدنيا نيل النجاح، وفي العمل لدار البقاء إدراك الفلاح. ألا وفي كلّ لحظةٍ أجلٌ، وفي كلّ وقتٍ عملٌ، وفي كلّ نفسٍ موتٌ، وفي كلّ وقتٍ فوتٌ، وفي كلّ حسنةٍ مثوبةٌ، وفي كلّ سيّئةٍ عقوبةٌ[2].

[خير الذخائر التقوى]

يا نفس:

اتّق الله تقيّة من سمع فخشع، واقترف فاعترف، ووجل فعمل، وحاذر فبادر، فتدارك فارط الزلل، واستكثر من صالح العمل. فيا فوزَ مَنْ أصلح عمل يومه، واستدرك فوارط أمسه، ويا ظفر من غلب هواه، وملك دواعي نفسه، واستصبح بنور الهدى، وخالف دواعي الهوي، وجعل الإيمان عُدّة معاده، والتقوى خير ذخره وأفضل زاده[3].

[لزوم هجران الفاني]

يا نفس:

قليلٌ تحمد مغبّته خيرٌ من كثيرٍ تضرّ عاقبته، وقرين الشهوات أسير التبعات ورهين السيّئات، وما فات اليوم من الرزق ترجى غداً زيادته، وما فات أمسُ من العمر لم يرج العمر رجعته. فتفكّري واعتبري تهتدي، وتزوّدي للآخرة تسعدي[4].

---

١. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٩٤٧، ٣١٣، ٦٩٦٥، ٦٧٤٠، ٦٦٢٠، ٢٤٠٦، ٨٤١.

٢. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ١٠٥٤٣، ٣٦٤٣، ٤٠١٢، ٣٤٤٠، ٤٩٣٥، ٢٤٣٨، ٢٩٦١، ٣١١٩، ٢٨٠٠، ٣٠٧٩، ٣٢٥٣، ٣٢٦٠.

٣. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٣٦٨٧، ٥٨٦٩، ٣٧٨١، ٤٨٨٥، ١٦٥٣.

٤. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٨٢٥٥، ٦٩٦٧، ٣٥٣٤، ٣٠٣٤، ١٠٧٤٨، ١٠٧٥٠.

يا نفس:

كلّ طامعٍ أسيرٌ، وكلّ حريصٍ فقيرٌ، وكلّ متوقّعٍ آتٍ، وكلّ جمعٍ إلى شتاتٍ، وكلّ مقتصرٍ عليه كافٍ، وكلّ ما زاد على الاقتصاد إسرافٌ، وكلّ يومٍ يفيدك عبرةً وإن أصحبته فكرةً، وكلّ قريب دانٍ، وكلّ أرباح الدنيا خسرانٌ، وكلّ مدّةٍ من الدنيا إلى انتهاءٍ، وكلّ حيٍّ فيها إلى فناءٍ[1].

يا نفس:

كم من أكلةٍ منعت أكلاتٍ، وكم من لذّةٍ دنيّةٍ منعت سنيّ درجاتٍ، وكم من مؤمّلٍ ما لا يدركه، وجامعٍ ما سوف يتركه، وكم من مغرور بالستر عليه، وكم من مستدرجٍ بالإحسان إليه، وكم من صائم ليس له من صيامه إلاّ الظماء، وقائمٍ ليس له من قيامه إلاّ العناء، وكم من حزينٍ وفد به حزنه على سرور الأبد، وفرح أفضى به فرحه إلى حزنٍ مخلّدٍ[2]!

[مكارم الأخلاق ومساوئها]

يا نفس:

كيف يملك الورع من يملكه الطمع؟! وكيف يهتدي الضليل مع غفلة الدليل؟! وكيف يستطيع الهدى من يغلبه الهوى؟! وكيف يستأنس بالله من لا يستوحش من الخلق؟! وكيف يجد حلاوة الإيمان من يسخطه الحقّ؟! وكيف يُفرح بعمر تنقصه الساعات، ويُغترّ بسلامة جسم معرّض للآفات[3]؟!

يا نفس:

كفى بالغفلة ضلالاً، وكفى بجهنّم نكالاً، وكفى بالقناعة ملكاً، وكفى بالشره هلكاً، وكفى بالقرآن داعياً، وبالشيب ناعياً، وكفى بالتواضع شرفاً، وبالتكبّر تلفاً، وكفى بالرجل

---

١. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٦٧٤١، ٦٦٣٢، ٣٢٠٩، ٢٢٩٩، ٩٢٢٧، ٨١١٦، ١٠٧٧٨، ٣٢١١، ٢٥٦٦، ٢٣٠٠.

٢. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ١١١٨٤، ٦٩٢٦، ٧٢٢٢، ٨٣٣٢، ٧١٧٦، ٨٩٦٣، ٣٣٦١، ٣٣٤٦، ٧٤٤٦، ٧٣٩٥.

٣. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٦٧٠٨، ٧٨٧٠، ٨٣٢، ٧٣٥٥، ٩٩٩، ٣٠٤٩، ١١١٦٢.

سعادةً أن يعزف عمّا يفنى، ويتولّه بما يبقى، وكفى بالظلم سالباً للنعمة وجالباً للنقمة[١].

[لزوم الحذر والاستعداد]

يا نفس:

[كيف تبقين] على حالتك والدهر في إحالتك؟! فكوني لهواك غالبةً، ولنجاتك طالبةً، وبمالك متبرّعةً، وعن مال غيرك متورّعةً، جميلة العفو إذا قدرت، عاملةً بالعدل إذا ملكت، لعقلك مسعفةً، ولهواك مسوّفةً، وكوني في الفتنة كابن اللبون: لا ضرع فيحلب، ولا ظهر فيركب[٢].

يا نفس:

كذب من ادّعى اليقين بالباقي وهو مواصلٌ للفاني. كلاّ لن يفوز بالجنة إلاّ الساعي لها، ولن ينجو من النار إلاّ التارك عملها، ولن يلقى جزاء الشرّ إلاّ عامله، ولن يجزى جزاء الخير إلاّ فاعله، ولن يجوز الصراط إلاّ من جاهد نفسه، ولن يحرز العلم إلاّ من يطيل درسه[٣].

[التحضيض على الصلاح والاستقامة]

يا نفس:

ليس بخيرٍ من الخير إلاّ ثوابه، وليس بشرٍّ من الشرّ إلاّ عقابه، وليس مع الصبر مصيبةٌ، ولا مع الجزع مثوبةٌ. وليس لمتكبّر صديقٌ، وليس لشحيح رفيقٌ، وليس لك بأخ من احتجت إلى مداراته أو أحوجك إلى مماراته. ليس شيءٌ أعزّ من الكبريت الأحمر إلاّ ما بقي من عمر المؤمن، ولا ثواب عند الله أعظم من ثواب السلطان العادل والرجل المحسن[٤].

---

١. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٥٧٦٣، ٣٣٣٤، ٩٠١٩، ٦٦٦٥، ١٩٦٦، ٣٠٧٢، ٥١٤٩، ٧١٦١، ٣٢٨٣، ١٠٤١٧.

٢. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٢٣٣٥، ٤٨٨٨، ٨٤٧٤، ٥٠٤٢، ٣٦٦، ١٠٦٧٥.

٣. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٢٧٦٩، ٢٩٦٢، ٢٩٦٣، ١٧٢٤، ٣٢٦٣، ٣٢٥٥، ٤٩٣٩، ٢٦٩.

٤. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٣٢٥٤، ٣٢٦٤، ٦٢٩٢، ٧١٦٢، ٦٥٣٩، ٩٥٥١، ٩٥٥٢، ٣٠١٨، ٧٧٤٥، ٨٧٢٠.

يا نفس:

لم يوفّق من بخل على نفسه بخيره وخلّف ماله لغيره، ومن أصلح نفسه ملكها، ومن أهملها أهلكها، ومن أكرمها أهانته، ومن وثق بها خانته، ومن ملكه هواه ضلّ، ومن استعبده الطمع ذلّ، ومن أطاع نفسه قتلها، ومن عصاها وصلها، ومن ملكها علا أمره، ومن ملكته ذلّ قدره[١].

يا نفس:

من أخذ بالحزم استظهر، ومن أضاعه تهوّر، ومن أسرع المسير أدرك المقيل، ومن أيقن بالنقلة تأهّب للرحيل، ومن بخل بماله ذلّ، ومن بخل بدينه جلّ، ومن أعجب برأيه ضلّ، ومن ركب هواه زلّ، ومن زرع العدوان حصد الخسران، ومن عمل للمعاد ظفر بالسداد، ومن فعل ما شاء لقي ما شاء[٢].

يا نفس:

من منع برّاً منع شكراً، ومن أخفر ذمّةً[٣] اكتسب مذمّةً، ومن لزم الاستقامة لم يعدم السلامة، ومن أعطى التوبة لم يحرم القبول، ومن أخلص العمل لم يعدم المأمول، ومن فعل الخير فبنفسه بدأ، ومن فعل الشرّ فعلى نفسه اعتدى. واعلمي: أنّه لم يضع امرؤٌ ماله في غير محلّه أو معروفه في غير أهله إلاّ حرمَه الله حمدَهم وكان لغيره وُدّهم[٤].

يا نفس:

من استقلّ من الدنيا استكثر ممّا يؤمنه، ومن استكثر منها استكثر ممّا يوبقه، ومن حسنت مساعيه طابت مراعيه، ومن أصلح جوانيه أصلح الله برانيه[٥]، ومن كثر تعدّيه كثرت أعاديه، ومن طالت غفلته تعجّلت هلكته، ومن أحسن العمل حسنت له

---

١. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٦٥٢٢، ٤٧٦٩، ٤٧٥٢، ٤٦٠٨، ٤٧٥١، ٨٣٤، ٦٧٢٨، ٤٧٨٧، ٤٩٤١، ٤٩٤٢، ٤٧٢٣.

٢. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ١٠٨٧٠، ١٠٨٥٧، ٧٥٩٠، ٢٧٠٣، ٦٥٥٨، ١٤٣٢، ١٠١١٠، ٧٠٤١، ١٠٥٧٢، ٢٦٢٧، ٩٥٩.

٣. أخفر ذمّة: لم يفِ بها.

٤. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٦٥٧٥، ٥٣٠٧، ٦٤٧٤، ٣٧٨٣، ٢٩٢٠، ١٨٨٢، ١٩٠٥، ٨٣٧٦.

٥. جوانيه أي: باطنه و سرّه، وبرانيه أي: ظاهره وعلانيّته.

المكافاة، ومن نصح فيه نصحته المجازاة، ومن أطاع هواه باع آخرته بدنياه[١].

يا نفس:

من ترقّب الخير تسارع إلى الخيرات، ومن اشتاق إلى الجنّة سلا عن الشهوات، ومن أشفق من النار اجتنب المحرّمات، ومن أحبّ الدار الباقية لهى عن اللذّات، ومن عرف قدر نفسه لم يهنها بالفانيات، ومن خاف العقاب انصرف عن السيّئات، ومن لم يقدّم إخلاص النيّة في الطاعة لم يظفر بالمثوبات، ومن أسّس أساس الشرّ أسّسه على نفسه، ومن سلّ سيف البغي غمد في رأسه[٢].

يا نفس:

من شاور ذوي النهى والألباب فاز بالنجح والصواب، ومن كتم مكنون دائه عجز طبيبه عن شفائه، ومن أصرّ على ذنبه اجترأ على سخط ربّه، ومن أكثر من ذكر الآخرة قلّت معصيته، ومن كرمت عليه نفسه هانت عليه شهوته، ومن اعتمد على الدنيا فهو محرومٌ، ومن جمع الحرص والبخل فقد استمسك بعمودَي اللؤم[٣].

يا نفس:

من لم يحمل قليلاً لم يسمع جميلاً، ومن لم يداوِ شهوته بالترك لها لم يزل عليلاً، ومن لم يدار مَن دونه لم ينل حاجته، ومن لم يدار مَن فوقه لم يدرك بغيته، ومن مدحها فقد ذبحها، ومن أوسع الله عليه نعمة وجب عليه أن يوسّع الناس إنعاماً، ومن زاده الله كرامةً فحقيقٌ به أن يزيد الناس إكراماً[٤].

---

١. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٢٢٠٠، ٢٢٠١، ٢٨٥٥، ١٠٤٧١، ٥٧٦٤، ٢٨٥٦، ٢٩١٨، ٣٥٤١، ٧٠٤٤. أمّا الحديث القائل:«من أصلح جوانيه أصلح الله برانيه» فقد رواه الشيخ في أماليه: ٤٥٨، المجلس ١٦، الحديث ١٦، الحديث ٢٨، عن الحارث الهمداني عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

٢. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٢٧٦٤، ٢٦٤٢، ٢٦٤٣، ٢٦٤١، ٤٦٥٣، ٢٦٤٤، ١٦١٤، ١١٠٠١، ٧٩٤٤.

٣. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ١٠٠٨١، ١١١٩٠، ٣٥٨٥، ٢٦٤٠، ٤٦١١، ٢٤٦٦، ٥٦٠٤.

٤. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٦٤٦٤، ٦٩٩٣، ٥٢١٠، ١٠١٩٤، ٧٠٥٨، ٨٤٢٧، ٨٤٢٨.

يا نفس:

من لم يصحبك معيناً على نفسك فصحبته وبالٌ عليك إن علمت، ومن مدحك بما ليس فيك فهو ذمٌّ لك إن عقلت، ومن أطلق طرفه جلب حتفه، ومن كثر قنوعه قلّ خضوعه، ومن بخل بماله على نفسه جاد به على بعل عرسه، ومن عكف عليه الليل والنهار أدّباه وأنبياه، وإلى المنايا أدّياه[١].

يا نفس:

من العقوق إضاعة الحقوق، ومن الفساد إفساد المعاد، ومن كمال الحماقة الاختيال في الفاقة، ومن كمال النعم وفور النعم، ومن أشدّ المصائب غلبة الجهل، ومن أفضل المعروف إغاثة الملهوف، ومن أفضل الإحسان الإحسان إلى الأبرار، ومن أفضل الأعمال ما أوجب الجنّة وأنجى من النار[٢].

يا نفس:

ما ندم من استخار، وما ضلّ من استشار، وما افتقر من ملك فهماً، ولا مات من أحيا علماً. وما أحسن العفو مع الاقتدار، وما أقبح العقوبة مع الاعتذار، وما أقبح بالإنسان ظاهراً موافقاً وباطناً منافقاً! وما من شيءٍ يحصل به الأمان أبلغ من إيمانٍ وإحسانٍ[٣].

يا نفس:

ما الدنيا غرّتك، ولكن بها اغتررت، وما العاجلة خدعتك، ولكن بها انخدعت. واعلمي: أنّ مذيع الفاحشة كقابلها، وسامع الغيبة كفاعلها، وأنّ مداومة المعاصي تقطع الرزق، ومقارنة السفهاء تفسد الخلق، ومواصلة الأفاضل توجب السموّ، ومباينة الدنايا تكبت العدوّ[٤].

---

١. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٩٩٠٤، ١٠٧٤١، ٥٥٥٦، ٩٠٢٢، ٦٥٥٨، ٢٢٨٢.

٢. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٩٣٥٣، ٢٦٣٨، ٧١٣٤، ٣٣٨، ١١٠٧، ٨٦٩٠، ٨٩٠٢، ٢٩٣٩.

٣. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٧٥٩٦، ١٠٠٧٤، ٦٥١، ٢١٣، ٥٠٤٤، ١٠٦٩٨، ١٠٤٧٧، ١٤٨٨، ٨٨٣٨.

٤. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٢٣٧٧، ٢٣٧٨، ٧٦٠٢، ٤٤٤٥، ٤٤٤٦، ١٧٢٩، ٩٨٨، ١٠٠٢١، ٩٩٠٥.

[ضرورة مجالسة الأخيار]

يا نفس:

مصاحب الأشرار كراكب البحار: إن سلم من الغرق لا يسلم من الفرق، ومجالسة أبناء الدنيا منساةٌ للإيمان، قائدةٌ إلى طاعة الشيطان، وموافقة الأصحاب تديم الاصطحاب، ونيل المآثر ببذل المكارم، ونيل الجنّة بالتنزّه عن المآثم. واعلمي: أنّ مصيبةً يُرجى أجرها خيرٌ من نعمةٍ لا يُؤدّى شكرها[١].

[آثار الغفلة]

يا نفس:

ويح النائم ما أخسره وثوابه ما أنزره: قصر عمره، وقلّ أجره! وويح ابن آدم ما أغفله، وعن رشده ما أذهله، وعن حظّه ما أعدله[٢] ! وفيما أوصى الله إلى موسى عليه السلام:«كذب من زعم أنّه يحبّني فإذا جنّه الليل نام»[٣]. وإيّاك أن تخيّبي المضطرّ وإن أسرف، أو تحرمي المحتاج وإن ألحف، أو تصحبي أبناء الدنيا؛ فإنّك إن أقللت استقلّوك، وإن أكثرت حسدوك. ولا تعملي شيئاً من الخير رياءً، ولا تتركيه حياءً[٤].

---

١. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٩٨٣٤، ٩٩٠٧، ٩٩٨٤، ٧٣٣٦، ٥٩٧٤، ٦٢١١.

٢. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٥٧٥٥، ٥٧٥٤، ٣٥٤٧.

٣. راجع أمالي الشيخ الصودق: ٣٥٧، المجلس ٥٧، الحديث ١، وإليك نصّ الحديث: عن المفضّل بن عمرو قال: سمعت مولاي الصادق عليه السلام يقول: «كان في ما ناجى الله عزّ وجلّ موسى بن عمران عليه السلام أن قال له: يا ابن عمران، كذب مَن زعم أنّه يحبّني، فإذا جنّه الليل نام عنّي. أليس كلّ محبٍّ يحبّ خلوة حبيبه؟ ها أنا ذا ـ يا ابن عمران ـ مطّلعٌ على أحبّائي: إذا جنّهم الليل حوّلت أبصارهم من قلوبهم، ومثّلت عقوبتي بين أعينهم، يخاطبوني عن المشاهدة، ويكلّموني عن الحضور. يا بن عمران ، هب لي من قلبك الخشوع، ومن بدنك الخضوع، ومن عينيك الدموع في ظلم الليل، وادعني؛ فإنّك تجدني قريباً مجيباً» فلاحظ وتدبّر. كما أورده الديلمي في إرشاد القلوب ١: ٩٣ وابن فهد في عدّة الداعي: ٢٠٧ والحرّ العاملي في الوسائل ٧: ٧٧، أبواب الدعاء، الباب ٣٠، استحباب الدعاء في الليل، الحديث ٨٧٨٧ والمجلسي في البحار في مواضع متعدّدة.

٤. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٨٥١٩، ١٠٣١١، ٩٩٠٩، ٧١٩٣.

[لزوم المسارعة إلى المكارم]

يا نفس:

لا كرم كالتقوى، ولا عدوّ كالهوى، ولا عزّ كالطاعة، ولا كنز كالقناعة، ولا هداية كالذكر، ولا رشد كالفكر، ولا زينة كالآداب، ولا ربح كالثواب، ولا غناء مع إسرافٍ، ولا فاقة مع عفافٍ، ولا ثواب لمن لا عمل له، ولا عمل لمن لا نيّة له، ولا نيّة لمن لا علم له، ولا علم لمن لا بصيرة له، ولا بصيرة لمن لا فكرة له، ولا فكرة لمن لا اعتبار له، ولا اعتبار لمن لا ازدجار له، ولا ازدجار لمن لا إقلاع له[١].

[لزوم التطهّر عن المآثم والعيوب]

يا نفس:

ما لي أراك إذا قرّب إليك الطعام في الليل الداج، تكلّفت إنارة السراج؛ لتبصرين ما يدخل بطنك من المأكول والمشروب، ولا تهتمّين بإنارة لبّك بالعلم والتقوى [لتسلمين] من لواحق الجهالة والذنوب؟! فنزّهي نفسك عن المآثم والعيوب[٢]، واعلمي: أنّ أعظم الخطايا عند الله تعالى اللسان الكذوب[٣].

وعليك بالتقوى وصحّة النيّة في العلوم والأعمال، فإن دخلها الرياء ضاع الربح ورأس المال، فبالإخلاص يعرف الصواب من الزلل، والاستقامة من الخطل، وكلّما امتدّت المعارف اشتدّت المخاوف.

وإيّاك واتّباع إبليس الذي رضي بهلاك نفسه، واختار من كلّ شيءٍ أقبح جنسه. [أترين] من غرّ أباك ينصحك، ومن أفسد شأن نفسه يصلحك، فما يغترّ بالدنيا غير غرٍّ، لا يعرف هرّاً من برٍّ[٤]!

---

١. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٥٨٧٥، ٧٠٠٨، ٣٥٠٣، ٩٠٠٥، ٣٦٤٦، ٥٨٦، ٥٠٥٩، ٣٢٥١، ٨١٣٤، ٥٤٣٠، ٢٩٥٤، ١٦٣١، ٨٠٧، ٦٨٢، ٥٨٠، ١٠٨٠٥، ١٠٨٠٦، ٧٦١١.

٢. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الحديث ٥٥٠٥.

٣. إشارة إلى ما أورده ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ٢٠: ٢٦٠، في الحكم المنسوبة إلى أمير المؤمنين عليه السلام، الحكمة ٤٧.

٤. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٢٤٣٢، ٥٨١٣، ١٦٢٨، ٥٨١١، ٦٤٦٩، ٦٤٧٤، ١٦٣٩، ٧٣٦٧.

[التأهّب لأمر المعاد]

يا نفس:

ينبغي لمن عرف سرعة رحلته أن يحسن التأهّب لنقلته، وأن يقدّم العمل الصالح لآخرته، ويعمر دار إقامته، وأن لا يخلو في كلّ حالٍ من مجاهدة نفسه قبل حلول رمسه. فإذا كنت في النهار تشترين وتبيعين وفي الليل على الفرش تتقلّبين وتنامين وفيما بين ذلك عن الآخرة تلهين وتغفلين، فمتى تتفكّرين بالإرشاد، وتهتمّين بأمر المعاد[١] ؟!

[رذائل الصفات وفضائلها]

يا نفس:

الحرص أحد الشقاءين، والبخل أحد الفقرين، والحسد ألأمُ الرذيلتين، والطمع أحد الذلّين، والجور أحد المرديين، والشهوة أحد المغويين، والخلق السيّئ أحد العذابين، والهوى أحد العدوّين، والغدر أقبح الجنايتين، والنساء أعظم الفتنتين[٢].

يا نفس:

حسن البشر أحد العطاءين، والكفّ عمّا في أيدي الناس أحد السخاءين، والذكر الجميل أحد الحباءين، والفكر إحدى الهدايتين، والذكر أفضل الغنيمتين، والأدب أحد الحسبين، والدين أشرف النسبين، والنيّة الصالحة إحدى العملين، والمودّة إحدى القرابتين، والعفو أعظم الفضلين، والتبصّر أحد الظفرين، والتوفيق أشرف الحظّين، والتواضع أفضل الشرفين، والسخاء إحدى السعادتين، والوعد إحدى الرقّين، وإنجازه أحد العتقين[٣].

يا نفس:

الحلم إحدى المنقبتين، والعلم أفضل الجمالين، والزهد أفضل الراحتين، والعمل

---

١. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٢٧٥٦، ٢٧٣٠، ٢٩٨٤، ٢٦٣٠.

٢. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٦٦١٤، ٦٥٦٢، ٦٧٩٨، ٦٧١٩، ١٠٤٢٩، ٦٩٤١، ٥٧٠١، ٦٩٩٨، ٦٥٠٢، ٩٣٦١.

٣. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٩٩٢٩، ٩٢٤٨، ١١٠٢٣، ٥٤١، ٥٨٤ ن ٣٦٠٢، ٥٠٧٤، ١٣٧٦، ١٥٩٦، ٩٤١٢، ٥٠٠٦، ٦٢٢٩، ٣٩٩٦، ٥١٣٥، ٨٤٤١، ٥٢٧١، ٥٣٧٠.

الصالح أفضل الزادين، والخلق السجيح[١] إحدى النعمتين، والعدل أفضل السياستين، والشجاعة أحد العزّين، والفرار أحد الذلّين، والمودّة في الله آكد السبيلين، والإيمان أفضل الأمانتين، والقرآن أفضل الهدايتين[٢].

يا نفس:

الصدق أفضل الذخرين، والصدقة أعظم الربحين، والمعرفة بالنفس أنفع المعرفتين، والأخذ على العدو بالفضل أحد الظفرين، والقناعة أفضل الغنائين، والشكر أحد الجزائين، والمعروف أفضل الكنزين، والندامة إحدى التوبتين، والصلاة أفضل القربتين، والصيام إحدى الصحّتين، وحسن الردّ إحدى الصدقتين، ولطف المنع أحد البذلين، والقرض إحدى الهبتين، وحسن التدبير إحدى الترويتين[٣].

يا نفس:

سامع الغيبة أحد المغتابين، وراوي الكذب أحد الكذّابين، ومنشد الهجا أحد الهاجين، ومبلّغ الشتمة أحد الشاتمين، والقلم أحد اللسانين، والكتاب أحد المحدّثين، وحسن الردّ أحد البذلين، والعدَة أحد العطاءين، والدعاء أحد الصدقين. القرض أحد الهبتين، النظافة أحد الحليتين، الدهر أنصح المؤدّبين، المشيب أحد القطيعتين، المصيبة بالصبر إحدى المصيبتين، والمصيبة واحدة: فإن جزعت فهي اثنتين[٤].

[التحذير عن فوات العمر وفناء الدنيا]

يا نفس:

العمر وإن طال فما تحته حائلٌ، وكلّ نعيمٍ لا محالة زائلٌ، فترصّدي للموت؛ فلكلّ

---

١. السجيح أي: الليّن السهل.

٢. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٦٣٨٣، ٥٦، ٦٠٧٨، ٢٨٦٣، ٥٣٤٤، ٧٧٣٢، ٥٥٢٩، ٧٦٧٥، ٩٦٩٤، ١٤٥٧، ١٩٧١.

٣. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٩١٣٣، ٩١٣٢، ٤٦٣٠، ٨٧٠٣، ٧٦٨٠، ٩٠٣٦، ٦١١٠، ٨٦٨٠، ٣٧٩٩، ٣٣٤٠، ٣٣٥٧، ٣٧٤٦، ٨٦٣٧، ٨٠٨٠، ٨٠٨٤.

٤. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٤٤٤٥، ٤٤٤٤، ١٠٩٥٥، ٢٩٢، ٥٣٥٩، ٢٧٤٦، ٢٣١٨، ٣٠٦٨، ١٧٧٣، ٥٦٢٤.

طالع أُفولٌ، وتزوّدي لدار الإقامة؛ فلكلّ غائب قفولٌ، واتّخذي الدنيا سوقاً مسلوكاً، لا بيتاً مملوكاً؛ فهي حانوتٌ لا يطرق إلاّ للتجارة، ومبيتٌ لا يسكن إلاّ بالإجارة. وما هذه الحياة الفانية إلاّ أنفاسٌ تتردّد وستنقطع، وقاماتٌ تتمدّد وستنقلع[1].

يا نفس:

علامَ تركنين إلى الدنيا وعن قليلٍ تقلعك، وترفلين على وجه الأرض وعن قريبٍ تبلعك؟! ولعمري من عاين تلوّن الليل والنهار لا يغترّ بدهره، ومن علم أنّ بطن الثرى مضجعه لا يمرح على ظهره، ومن عرف الدهر حقّ العرفان يزهد فيه، ومن شغله همّ الموت لا يضحك ملء فيه[2]، فاغتنمي الخمس قبل الخمس[3]، وادركي عصرك قبل غروب الشمس.

[بئس الزاد البخل]

يا نفس:

البخيل يقاسي ثلاثة: البرد والحرّ، ويركب مطيّة البحر والبرّ، ويجمع الدرّ إلى الدرّ، فيركمه جميعاً، ويتركه سريعاً، يبذل نفسه ويحزن قلبه[4]. والشحيح من يشفق على الدرهم الصحيح، فلا يكسره مصارفةً، ثمّ يقسّم بعده مجازفةً[5]. والسعيد من يتجهّز للسفر البعيد: إن رزق مالاً يفرّقه يميناً وشمالاً، يغني به جيرانه ويطفي به نيرانه، لا يمسكه في يده ولا يتركه لغده ولا يدّخره لولده، إنّما هو الزاد يقدّمه لمسرّاه،

---

١. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٢٣٥٢، ٢٣٥٧، ٢٢٩٢، ٢٣٣٦، ٢٥٣٢، ٣٠٤٣.

٢. إشارة إلى ما ورد في وصيّة رسول الله صلى الله عليه وآله لا بن مسعود من قوله: «يا ابن مسعود، لا تركن إلى الدنيا ولا تطمئنّ إليها؛ فستفارقها عن قليلٍ ...» كما أوردها الطبرسي في مكارم الأخلاق : ٤٥٣، الباب ١٢، الفصل ٤، وإلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الفصل السادس: في الموت.

٣. إشارة إلى ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله في وصيّة لأبي ذرّ ـ حسبما أورده الديلمي في أعلام الدين: ٢٦٣ـ من قوله: «يا أبا ذرّ، اغتنم خمساً قبل خمسٍ: شبابك قبل هرمك، وصحّتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل مماتك» ونحوه ما ورد في أمالي الشيخ: ٥٢٦، المجلس ١٩، الحديث ١.

٤. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٦٥١٥، ٨٢٠٥، ٨٣٧٣.

٥. لعلّه إشارةٌ إلى ما أورده الحرّاني في تحف العقول: ٣٧٢ عن مولانا الصادق عليه السلام من حكمه وقصار كلماته، فراجع.

ويتصدّقه بيمناه ويسراه[١]. فتعساً للبخلاء بما تحوي جيوبهم ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنوبُهُمْ﴾[٢]. ألا أُخبرك عنهم؟ ألا أقول لك: من هم؟ هم الجمّاعون الطمّاعون ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾[٣].

[الشرف والإجمال في الطلب]

يا نفس:

ليس الشريف من تطاول وكاثر، إنّما الشريف من تطوّل وآثر، وليس البرّ إبانة الحروف بالإمالة والإشباع، لكن البرّ إعانة الملهوف بالإنالة والإشباع، وليس الصوم صوم جماعة الطغام عن الجماع والطعام، إنّما الصوم صوم الجوارح عن الآثام وكفُّ الكفِّ عن أخذ الحطام[٤]. فوا لك لمن تدّخرين] أموالك؟ فانفقي الفكّ[٥] قبل أن يقسّم خلفك، وكفّي يدك السفلى، واجعلي على باب اليمنى قفلاً؛ فإنّك لن تبيتي حتّى تملئي زقّك[٦]، ولن تموتي حتّى تستكملي رزقك. وعلامَ تطلبين الرزق وهو طالبك، وتستبطئين نزوله وهو مصاحبك، وتستقبلين قادمه وهو في بلدك، وتنشدين ضالّته وهو في يدك؟ وعلامَ تهتمّين لرزقك وقد هُيّئ لك قبل خلقك، وتطلبين رزقاً يعدو في قفاك، ولو قعدت لأتاك ما كفاك[٧]؟ إن ساعد القضاء فالسيّارة كالقاطن، والسائمة كالداجن، وإن لم يساعد فالسعي جهلٌ والتعب فضلٌ. إنّما الرازق ضامنٌ، والمقدور كائنٌ، والقناعة

---

١. لعلّه إشارةٌ إلى ما أورده الديلمي في إرشاد القلوب: ٥١ ـ ٥٢، الباب ١٣، المبادرة في العمل، وإلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الحديث ٣٢٧٧.

٢. سورة التوبة، الآية: ٣٥.

٣. سورة الماعون، الآيتان: ٦ ـ ٧.

٤. لعلّه إشارةٌ إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٤٦١٤، ٨٦٩٠، ١٠٣٥٨، ٣٣٦٣، ٣٣٦٤.

٥. لعلّه إشارةٌ إلى قوله تعالى: ﴿فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ سورة البلد، الآيات: ١١ ـ ١٣.

٦. الزقّ: كلّ وعاءٍ اتّخذ لشرابٍ ونحوه.

٧. إشارة إلى ما أورده الكليني في الكافي ٥: ٨٠ باب الإجمال في الطلب، الحديث ١، عن مولانا أبي جعفر عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حجّة الوداع: ... ألا وإنّ الروح الأمين نفث في روعي: أنّه لا تموت نفس حتّى تستكمل رزقها، فاتّقوا الله عزّ وجلّ وأجملوا في الطلب ...».

سيادةٌ، والمشقّة زيادةٌ، فانفقي ولا تخشي الفاقة، وارفقي ولا تتعبي الناقة[1].

شعر:

مـا لـك مـن مـالـك إلاّ الـذي	قـدّمـت فـابـذل طـائـعاً مالكا
تـقـول أعـمـالـي ولـو فـتّـشـوا	رأيــت أعـمـالـك أعـمـى لكا

[السعادة والشقاء]

يا نفس:

الصراط طريقان والناس فريقان: سعيدٌ وما أراك، وشقيٌّ وعصاك. هُبِلت[2]: أللنوم جُبلت؟! وقتلت: أللهو عُدلت؟! تستطيبين ركوب الأخطار وورود التيّار[3] ولحوق العار والشنار[4] لأجل الدنيا، وتستلذّين سفّ الرماد ونقل السماد ووطي البلاد للأولاد، وتصبرين على نقل الجبال وسفّ[5] السبال لشهوة المال، وربّما تبدّلين الإيمان بالكفر، وتحفرين الجبال بالظفر للدنانير الصفر، لا تكرهين صداعا إذا نلت كراعاً[6].

[الحذر عن زخارف الدنيا]

يا نفس:

لا تصحبي الدنيا صحبةً بحالٍ، ولا تنظري إلى أبنائها إلاّ من عالٍ، ولا تخفضي جناحك لبنيها، ولا تضعضعي ركنك لبانيها، ولا تمدّي عينيك إلى زخارفها[7]، ولا

---

١. لعلّه إشارةٌ إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٨٣٤٢، ٩١٩٨، ٨٩١، ٩٠٣٩، ٤٩٨٠، ٤٩٥٨، ٣٩٤٣.

٢. هُبِلتِ أي: ثُكِلت.

٣. التيّار: موج البحر.

٤. الشنار: العيب والعار.

٥. السفّ من الرماد ونحوه: الدقيق منه.

٦. لعلّه إشارةٌ إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ١٠٨٢، ٣٥٥٤، ٢٣٨٧، ٢٧٠١، ٣١٥٦، ٣٢٣٩،٣٢٤٠، ٦٩٢٥، ٩١٨٦.

٧. لعلّه إشارة إلى الآية: ٨٨ من سورة الحجر والآية: ١٣١ من سورة طه.

تبسطي يدك إلى مخارفها[1].

شعر:

ميّزتُ بين جمالها وفعالها ... فإذا الملاحة بالقباحة لا تفي

حلفتْ لنا أن لا تخون عهودنا ... فكأنّما حلفت لنا أن لا تفي

فالسعيد من تركها لطلاّبها، ويطرح الجيفة لكلابها[2]، يدع الطعام طاوياً، ويذر الشراب صادياً[3]، والحازم من قدّم الزاد لعقبة العقبى[4]، وآتى المال على حبّه ذوي القربى[5].

[لزوم مخالفة الهوى ومجانبة الشحّ]

يا نفس:

خالفي هواك؛ فإنّها زبانيةٌ، وطلّقي دنياك؛ فإنّها زانيةٌ[6]. والمال رزقٌ أُتيح، ونزلٌ أُبيح، فمن به شحٌّ وضنٌّ فقد اتّهم الرازق وأساء الظنّ[7]، ومن حلّ عقد فلسه فقد حاز ملكاً مقيماً، ومن توقّ شحّ نفسه فقد فاز فوزاً عظيماً[8]، فطوبى لكلّ غنيّ نفّاعٍ للغير، وتبّاً لكلّ دنيٍّ منّاعٍ للخير[9].

---

١. مخارفها: طرقها وبساتينها.

٢. لعلّه إشارة إلى ما نسب إلى بعض الحكماء من قوله: طوبى للهارب من زخارف الدنيا ... والمتأمّل لقبح مصارعها، والتارك لكلابها على جيفها، كما أورده في شرح نهج البلاغة ١٩: ٧ ـ ٨، ذيل الحكمة ١٨٦.

٣. طاوياً: جائعاً، وصادياً: عطشان.

٤. لعلّه إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الحديث ٢٦٥٨، وإلى الآيتين ١٩٧ و ٢٢٣ من سورة البقرة، فراجع.

٥. إشارة إلى الآية: ١٧٧ من سورة البقرة.

٦. لعلّه إشارةٌ إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الحديثان ٨٣٥، ٢٦٦٩.

٧. لعلّه إشارةٌ إلى ما ورد في الفقيه٣: ٣٨٥، الحديث ٤٣٥٣، عن مولانا الصادق عليه السلام قال: «من ترك التزويج مخافة الفقر فقد أساء الظن بالله عزّ وجلّ ...».

٨ إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْراً لِأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ سورة التغابن، الآية: ١٦.

٩. لعلّه إشارةٌ إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ * هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ * مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ﴾ سورة القلم، الآيات ١٠ ـ ١٢.

[اغتنام ساعات العمر]

يا نفس:

ادركي عمرك قبل الفوت، وهيّيء أمرك قبل الموت، واغتنمي بياض النهار قبل العشيّة؛ فالليل حبلى وجنينه في مشيمة المشيّة. ولا تغترّي بذكر أسنانك؛ فلعلّ هذا السمن ورمٌ، ولا تنظري بنظرة شبابك؛ فبعده شيبٌ وهرمٌ[١].

يا نفس:

إنّ الله تعالى أمهلك حتّى كأنّه أهملك، فالحذر الحذر؛ فوالله لقد ستر حتّى كأنّه غفر. أتغترين عن واضحةٍ[٢]، وقد عملت الذنوب الفاضحة؟! فواعجباه لعينٍ تلتذّ بالرقاد، وملك الموت معها على الوساد! والصراط ميدانٌ يكثر فيه عثار السالك: فالسالم ناجٍ والعاثر هالكٌ[٣].

واعلمي: أنّ الدنيا سجينٌ، وحطامها سرجينٌ[٤]، فلا يغرّنّك من الدنيا طرفها ومطارفها، ولا يعجبنّك تليّدها وطارفها[٥]، إنّما هي ضوء الحباحب[٦]، وطيف الجنائب[٧].

[ذمّ الدنيا وبيان حقيقتها]

يا نفس:

كوني من المصلّين ولا تكوني من المضلّين، وكوني من المناجين تكوني في الناجين، والزمي اليقين تكوني من المتّقين. واتركي دنياك؛ فإنّها أنتن من جيفة المزابل،

---

١. لعلّه إشارةٌ إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الحديثان ٢١٢٣، ٢٧٨٦، وما في نهج البلاغة، الخطبة ١٠٩، والخطبة ١٩٦، والحكمة ١٥٠.

٢. الواضحة: الأسنان التي تبدو عند الضحك.

٣. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الحديثان ٣٥٢٠، ٧٢٨٢، وما في نهج البلاغة، الخطبة ١٩٦.

٤. السرجين: الزبل والفرث.

٥. التليد: المال القديم، والطارف: المال المكتسب.

٦. ضوء الحبائب: ما اقتدح من شرر النار في الهواء من تصادم الحجارة، فضرب به المثل فيما ضعف وهزل.

٧. لعلّه إشارةٌ إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الحديث ٨٢٧٩

واخرجي منها؛ فإنّها أضيق من كفّة الحابل، فالقيها؛ فإنّها حليلة آبائك، وضايقيها؛ فإنّها ضجيعة أبنائك، واغتنمي فودك[١] الفاحم قبل أن يبيضّ؛ فإنّما الدنيا جدارٌ يريد أن ينقضّ. وإيّاك ومضاجعة هذه العجوز الشوهاء[٢]، وحذار من هذه الحيّة الفوهاء[٣]. ولا يغرّنّك قطفها النضيج ونورها البهيج[٤]؛ فهو غيثٌ أعجب الكفّار نباته ثمّ يهيج[٥].

[النهي عن الافتخار بالحسب]

يا نفس:

لا تفخري على أهل الحسب لشرف النسب؛ فالشرف البالغ نباهة النبيه، والمجبوب[٦] من يفتخر بذكر أبيه، فما يخفض المرء جمول الأسلاف، إنّما الحصرم جدّ السلاف[٧]، والأنجاد قد تلد الأوغاد، والنار تعقب الرماد، والأرض كما تنبت الحبّات تولد الحيّات. والمرء بفضيلته لا بفصيلته، والانسان بسيرته لا بعشيرته، وذو الهمّة العالية لا يغترّ بالرمّة البالية. وأكرم الناس حملاً وفصالاً أشرفهم خصالاً، وأطيبهم طيناً، وأخلصهم ديناً. وهل يضرّ النضار[٨] كونه من صلب الصخور؟ وهل يصلح التمساح نشؤه في حجور البحور؟ وأبو البغلة الهملاج حمارٌ بليدٌ، وأصل السلسل الرجراج[٩]

---

١. فود الرأس: جانباه.

٢. أي: قبيحة المنظر.

٣. أي: الواسعة الفم.

٤. لعلّه إشارة إلى ما ورد عن مولانا الصادق عليه السلام في ما ناجى الله به موسى، حسبما رواه الكليني في الكافي ٢: ١٣٥، باب ذمّ الدنيا والزهد فيها، الحديث ٢٨، وإلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الباب ٦، الفصل ١، في الدنيا.

٥. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ سورة الحديد، الآية: ٢٠.

٦. المجبوب أي: المقطوع.

٧. الحصرم: أوّل العنب، والسلاف: ما سال من عصير العنب قبل أن يعصر.

٨. النضار: اسم الذهب والفضّة.

٩. الهملاج: الحسن السير في سرعةٍ وبخترةٍ، والسلسل: الماء العذب السلس، والرجرجة: بقيّة الماء في الحوض الكدرة المختلطة بالطين.

صخرةٌ جليدٌ. ولو نجى بعلوّ النسب ذو روحٍ لعصم ابنُ نوحٍ بنوحٍ[١].

[في وصف عبدٍ صالحٍ]

يا نفس:

كم لله من عبدٍ لا يعرف ربّاً سواه، ولا يتّخذ إلهه هواه[٢]، وجهه وضيّ، وفعله رضيّ، وقلبه سماويّ، وجسمه أرضيّ. في الوجد سكرانٌ ملطّخٌ، وفي الخوف عصفورٌ نصب له فخٌّ. لا يذوق في العشق نومة نائم، ولا يخاف لومة لائم[٣]، لا يسترزق لئام الناس، ويقنع بالخبز اليباس. إذا أثرى جعل موجوده معدوماً، وإن أقوىً حسب قفاره مأدوماً[٤]. ثوبٌ بالٍ، وجوفٌ خالٍ، ومجدٌ عالٍ. يرى ربوة الحقّ فيرتقيها، ويرمق هوّة الباطل فيتّقيها. لا يدعوه القرم[٥] إلى أكل الجيف، ولا يبلغه النهم إلى حدّ السرف، يأكل ليقوى على الاجتهاد، وينام ليصبر على السهاد[٦]. ينظر إلى طعامه: من أين حصل، وكيف وصل، ومن حصده وزرعه، ومن داسه ورفعه، ومن الكيّال والطحّان، ومن الخبّاز والعجّان؟ فلا يزال يفحص حتّى يخلص إبريزه[٧] على نار السبك[٨]، ويكمل عياره على المحكّ، ويشذب[٩] تخيّله عن شوك الشكّ[١٠]. فهكذا خشية الأتقياء يجفلون[١١] كما يجفل النعام، ولا يأكلون كما تأكل الأنعام[١٢].

---

١. لعلّه إشارةٌ إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٧١٨٤، ٧١٨٦، ١١٠٣٢، ٣٣٥١. وإلى هذا المعنى أشار مولانا الصادق عليه السلام قال:«افتخر رجلان عند أمير المؤمنين عليه السلام فقال: أتفتخران بأجسادٍ باليةٍ وأرواحٍ في النار؟ إن يكن لك عقلٌ فإنّ لك خلقاً، وإن يكن لك تقوىً فإنّ لك كرماً، وإلاّ فالحمار خيرٌ منك، ولستَ بخيرٍ من أحدٍ». راجع علل الشرائع ٢: ٣٩٣، الباب ١٣١، الحديث ٨

٢. إشارة إلى الآية: ٤٣ من سورة الفرقان.

٣. إشارة إلى الآية: ٥٤ من سورة المائدة.

٤. القفار: الخبز بلا أدم، يقال: أكل خبزه قفاراً.

٥. أي: شدّة شهوة اللحم حتّى لا يصبر عنه.

٦. السهاد: الأرق.

٧. الإبريز: الذهب الخالص من الكدورات.

٨ سبك الفضّة: أذابها.

٩. يشذب: يقطع.

١٠. لعلّه إشارةٌ إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة، الخطبة ٢٣، والكتاب ٤٥، وإلى ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله في وصيّته لأبي ذرّ، فراجع مكارم الأخلاق، الباب ١٢، الفصل ٥.

١١. يجفلون أي: يُجهدون أنفسهم.

١٢. إشارة إلى الآية: ١٢ من سورة محمّد صلى الله عليه وآله.

[لزوم التجهّز والاحتياط]

يا نفس:

أراك على شرف الحِمام، وأجدك على طرف الثمام[١]، قد انحنت قامتك، ودنت قيامتك، ولم يبق من عمرك إلاّ ساعةً زمنيّةً، وما بعد المشيب إلاّ بليّةٌ أو منيّةٌ. فتأهّبي للعرض يوم القيامة، وتوضّأي للفرض قبل الإقامة، وأكثري حزناً على نفسٍ ضيّعته، وشيطانٍ أطعته، وهوى تبعته، ودينٍ بعته. وما أخالك[٢] إلاّ كزنجيّ زنى وسرق، وعصى وأبق، فيرد إلى سيّده مكتوفاً، ومثّل بين يديه موقوفاً، يهوى الخلاص وأنّى له الخلاص، ويرجو النجاة ﴿وَلاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾[٣]. فهو كمريضٍ لا يُرجى برؤه، أو محيضٍ لا يرقى[٤] قرؤه، أو غريقٍ نبذه الملاّح فأخذه التمساح، أو هائمٍ خلّفه الخرّيت[٥] واستهوته العفاريت[٦].

يا نفس:

كم من غافلٍ يبيت على فراش الأمن وسنان[٧]، والموت يحرق عليه الأسنان. يا ويله: يركض بالنهار خيله، ويطوي على الغفلة ليله! وهو كالقطرب[٨] في المطاف والمطار، جيفةٌ بالليل، بطّالٌ بالنهار[٩]، يعيش ساخطاً، ويموت قانطاً، ذلك دأبه وديدنه، حتّى يفترق روحه وبدنه، وسيفجأه من ألدّ ما لا يودّ، يوم تبيضّ وجوهٌ وتسودّ[١٠].

---

١. تقول العرب للشيء الذي يعسر تناوله: هو على طرف الثمم، والحِمام: قضاء الموت.

٢. أي: ما أظنّك.

٣. سورة ص، الآية: ٣.

٤. أي: لا ينقطع.

٥. الخرّيت: الماهر.

٦. لعلّ بعض فقراته إشارة إلى وصيّة رسول الله ﷺ لأبي ذرّ، حسبما رواه الشيخ في أماليه: ٥٣٤، المجلس ١٩، الحديث ١، فراجع.

٧. وسنان أي: نائماً نومةً خفيفةً.

٨ القطرب: دويبة كانوا في الجاهليّة يزعمون أنّها ليس لها قرارٌ البتّة. وفي الحديث:«لا أعرفنّ أحدكم جيفة ليلٍ قطرب نهار» أي: يسعى طول نهاره لدنياه، وينام طول ليله، كالجيفة التي لا تتحرّك. راجع النهاية في غريب الحديث ١: ٣١٣ (جيف).

٩. إشارة إلى ما ورد عن مولانا الباقر عليه السلام قال:«قال موسى عليه السلام: أيّ عبادك أبغضُ إليك؟ قال: جيفة الليل، بطال النهار» حسبما رواه في البحار ١٣: ٣٥٤، الباب ١١، الحديث ٥٢.

١٠. إشارة إلى الآية: ١٠٦ من سورة آل عمران.

[بيان مرض القلوب]

يا نفس:

مرض القلوب من أشدّ الأمراض، وعلاجه من أصحّ الأغراض. فيا مَن مرض فؤاده، وملّ عوّاده! وتراجع الطبيب في الحمّى، وأين الطبيب من الأجل المسمّى؟ وأيّ حكيم لم تصرعه المنون ثمّ لم ينفعه القانون؟ وأيّ طبيبٍ لم تفده الغبّ[١]، ثمّ لم ينفعه الطبّ ؟ فعلامَ ترفعي إلى الحكيم شأنك، وتدلعي لسانك، فتنهي سرّك إلى الطبيب، وتشتكي إلى العدوّ من الحبيب؟ واللهِ لا ينعشك إلاّ مَن صَرَعك، كما لا يحصدك إلاّ مَن زرعك. إن كنت وصفت له علّةً لم يشفها، وإن عرضت عليه كربة لم يقدر على كشفها[٢].

[علامة النفاق]

يا نفس:

إيّاك أن تكوني ممّن إذا ذكّر بالآخرة قبع قبوع الوسنان في جيب الكسل[٣]، وإن ظفر بالحلوة الخضرة وقع وقوع الذباب على ظرف العسل. وهذه علامات المنافقين: لهم في المعاصي وثباتٌ، وفي الطاعات سكونٌ وثَبَاتٌ، وفي الطمع حركاتٌ قمريّةٌ، وفي الورع سكناتٌ زحليّةٌ. إذا قلت: حيّ على الشهوات. طاروا إليها خفافاً وثقالاً[٤]، ﴿وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى﴾[٥] [٦].

[ضرورة ترك الدنيا ومفاتنها]

يا نفس:

اعمري دنياك بقدر محياك، ودبّري أمر عقباك التي هي مأواك بقدر مثواك؛ فما

---

١. الغبّ: العافية.

٢. لعلّ بعض فقراته إشارةٌ إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة، الخطبة ١١١، في وصف الدنيا، فلاحظ.

٣. قبع قبوعاً إذا أدخل رأسه في قميصه أو ثوبه متثاقلاً.

٤. خفافاً و ثقالاً أي: موسرين ومعسرين.

٥. سورة النساء، الآية: ١٤٢.

٦. لعلّ بعض فقراته إشارةٌ إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة، الخطبة ١٩٤، في وصف المنافقين، فراجع.

الدنيا إلاّ دار غرور، وجسر مرور. فما أسخر من خيّم على الجسر فلا يجوز، وما درى أنّ القعود على طرقات المارّة لا يجوز! المخدوع من وضع لبنةً على لبنةٍ، والمخذول من ادّخر تبنةً على تبنةٍ. وبال المرء مالٌ أعدّ أو درهمٌ عدّد، وشقاء الغافل بيتٌ يبنيه ويعمره لبنيه، فاحملي من الدنيا زاد الضرورة، واحرمي إلى الآخرة إحرام الصرورة[١].

واعلمي: أنّ الدنيا بئر هاروتٍ أو نهر طالوتٍ، وأنّ الله مبتلي الخلق به: فمن تبرّض[٢] ولم يصب ريّاً شرب مريّاً، ومن ارتوى أشرف على التوى[٣]، إلاّ من نضح نفاضةً على كبده أو اغترف غرفةً بيده[٤].

[معالي الأمور و سفاسفها]

يا نفس:

القطيعة شيمة الشرس[٥]، والغُمْر الذي لم يجرّب الأمور، وصلة الرحم تزيد في العمر[٦]، وأصدق الصداقة طلاقة البشر الراشح، وأفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح[٧]، وخدش القطيعة فوق الأرش، والرحم معلّقةٌ بالعرش[٨]. من طلب الخلد وشهبه وخاف السعير وحميمه، فليواصل حميمه[٩]. إنّ نسيب المرء قفار ظهره، وفقرة نهره،

---

١. الصرورة يُقال للذي لم يحجّ بعد.

٢. التبرّض: أي: التبلّغ بالقليل من العيش.

٣. التوى: الهلاك.

٤. لعلّ بعض فقراته إشارةٌ إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة، الحكمة ١٣١، فراجع وتدبّر.

٥. الشرس: السيّء الخلق.

٦. إشارة إلى ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله في الحديث المشهور:«صلة الرحم تزيد العمر» حسبما رواه في الفقيه ٤: ٣٦٨، باب النوادر، الحديث ٥٧٦٢، كما وَرد الخبر في مصادر متعدّدة، فراجع.

٧. إشارة إلى ما ورد عن مولانا الصادق عليه السلام من قوله: «سُئل رسول الله صلى الله عليه وآله: أيّ الصدقة أفضل ؟ قال: على ذي الرحم الكاشح» حسبما رواه في الكافي ٤: ١٠، باب الصدقة على القرابة، الحديث ٢. والكاشح: العدوّ المبغض.

٨ إشارة إلى ما ورد عن مولانا الصادق عليه السلام قال: «إنّ الرحم معلّقةٌ بالعرش تقول: اللّهمّ صل من وصلني، واقطع من قطعني ...» حسبما رواه في الكافي ٢: ١٥١، باب صلة الرحم، الحديث ٧.

٩. لعلّه إشارةٌ إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، القسم ٦، الباب ١، الفصل ٢، في الرحم: صلة الرحم وفوائدها، قطع الرحم وذمّه، وإكرام ذوي الرحم والعشيرة، فلاحظ.

وبؤام جوزاته، وجزءٌ من أجزائه، وخوطٌ من دوحته[1]، وبخورٌ من فوحته، وضلعٌ من أضالعه، وإصبعٌ من أصابعه، وجانحةٌ من جوانحه، وجارحةٌ من جوارحه، وزندٌ من ذراعه فليراعه، وبضعةٌ من لحمه فليحمه. ومن لؤم الطبيعة اجتباب القطيعة، وأعظم الجريرة سوء العشيرة، وإحراز الفضيلة في إعزاز الفصيلة. والانسان كثيرٌ بعشائره، والحرم شريفٌ بمشاعره، ظهره ببطنه يقوى، وفخذه .... يبقى، وذكره بحبه يحيى[2].

[توبيخ النفس وذمّها]

يا نفس:

ابيضّ فودك[3] وفؤادك فاحمٌ[4]، وباختْ[5] نارك وحرصك جاحمٌ. كيف النجا وقد نشبتِ نشب الغزال في الحبالة وتنكّست أحوالك؟ أما علمت: أنّك للموت تنكّست وللنزع تقوّست؟ وقد هاج بقلك، وماج[6] عقلك، ونعر فيك ألف التأليف، ولم يرفع عنك قلم التكليف، ونهزت حدّ الثمانين، وما بلغت محور المجانين؟! أما يَرُعك موت الشبّان قبل الإبّان[7]، ودفن الأحداث تحت الأجداث؟! أما يَرُعك تقديم أعمامك أمامك، وجعل أسباطك أفراطك؟! فكم لك في الرمس متزعزعٍ يافع، وكم لك بالأمس من فرطٍ شافعٍ[8]، وأنت لا تزدادين بذلك إلاّ ضلالةً وقسوةً وجهالّةً وصبوةً[9]!

يا نفس:

ما أراك تتوانين عن النظر لنفسك والتمهيد لرمسك إلاّ لكفرٍ خفيٍّ أو لحمقٍ جليٍّ:

---

١. أي: غصن من شجرته.
٢. لعلّه إشارةٌ إلى ما تقدّم آنفاً.
٣. الفود: ناحية من الرأس أو شعره ممّا يلي الأُذن.
٤. فاحم أي: مظلم.
٥. باخت: سكنت وفترت.
٦. ماج أي: اضطرب وتحيّر.
٧. أي: قبل الحين والوقت.
٨ الرمس أي: القبر أو ترابه، وتزعزع الصبي إذا نشأ وطال، واليافع: الذي قارب الاحتلام، والفرط: المتقدّم، وفرطتهم أي: سبقتهم.
٩. لعلّ بعض فقراته إشارةٌ إلى ما ورد في وصيّة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام في نهج البلاغة، الكتاب ٣١، فراجع وتعرّض لنفحاتها ولا تُعرض عنها.

فأمّا الكفر الخفيّ فهو ضعف إيمانك بيوم الحساب، وقلّة معرفتك بعظيم قدر الثواب والعقاب. وأمّا الحمق الجليّ فاعتمادك على عفوه تعالى وستره، من غير التفاتٍ إلى معاجلته ومكره. فلا تضيّعي أوقاتك، ولا تأسي عن ما فاتك[١].

شعر:

إذا أبقت الدنيا على المرء دينه ... فما فاته منها فليس بضائر

فأنفاسك معدودةٌ، وأوقاتك محدودةٌ، فإذا مضى منك نفسٌ فقد ذهب بعضك، ومارتْ[٢] سماؤك، ورختْ أرضك[٣].

شعر:

ويح ابن آدم كيف يذهب عقله ... أو يستلذّ بليله ونهاره

يمسي وقد أمن الحوادث بغتةً ... ولربّما طرقته في أسحاره

يضحي وكفّ الموت في أطرافه ... كالكبش يلعب في يدي جزّاره

من ليس يدري كيف تصبح داره ... من بعده فلينظرن في جاره

يا نفس:

اقلعي عن فعلك، وانزعي عن جهلك، واغتنمي صحّتك قبل سقمك، وشبابك قبل هرمك[٤].

---

١. إشارة إلى الآية ١٥٣ من سورة آل عمران، وإلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الحديثان ٣٠٢٤ و ١١٠٢٢.

٢. المور: الجريان السريع.

٣. لعلّه تلميحٌ إلى ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الحديثان ٣٠١٥ و ٣٠٦٠، وإلى ما ورد عنه عليه السلام من قوله: «إنّ ملك الموت يعدّ أنفاسك ويتّبع آثارك، فلو أجّلك وانقطعت من الدنيا مدّتك، نزل بك ملك الموت، فلا يقبل بديلاً، ولا يأخذ كفيلاً، ولا يدع صغيراً ولا كبيراً» حسبما رواه في الجعفريّات، كتاب الدعاء، باب البرّ وسخاء النفس وطيب الكلام والصبر على الأذى.

٤. إشارة إلى ما ورد في وصيّة رسول الله صلى الله عليه وآله لأبي ذرّ، وقد تقدّم تخريجه.

شعر:

آلــة الــمــرء صــحّــةٌ وشــبــابٌ فــإذا ولّيــا عــن المــرء ولّــى

وانظري إلى الذين مضوا: كيف بنوا وعلوا، ثمّ ذهبوا وخلّوا؟! وانظري إلى حمقهم: كيف يجمعون ما لا يأكلون، ويبنون ما لا يسكنون، ويأملون ما لا يدركون؟! فهل في الدنيا أحمقٌ ممّن يعمر دنياه وهو مرتحلٌ عنها يقيناً، ويخرب آخرته وهو صائرٌ إليها قطعاً رهيناً[1]؟!

يا نفس:

إذا كان طلبك للدنيا غايتك وما بلغت منها إرادتك، فما ظنّك بدارٍ لم تطلبيها، وكيف يكون حالك فيها؟

شعر:

إذا كان أدنــى العيــش ليــس بحاصــل لذّي اللبّ في الدنيا بغير المتاعب

فكيــف بأســنى العيــش فــي عالــم البقــا لــذي الجهل فــي تفريطه فــي المطالب

اُفٍّ للدنيا الدنيّة، خبثتْ فعلاً ونيّةً، ولعيشٍ حشوه همٌّ، وعقابه منيّةٌ! واعلمي: أنّ الدنيا ليست تعطيك لتسرّك، إنّما تعطيك لتضرّك[2].

شعر:

فــذي الــدار أخــون مــن مومــس وأخــدع مــن كفّــة الحابــل

تفانــى الرجــال علــى حبّهــا ولا يحصلون على طائل

[دركات الدنيا وسفالة مرتبتها]

يا نفس:

إنّ الدنيا أقلّ عند الله من جناح بعوضةٍ وأحقر، فمن عظّم هذا الجناح كان منه

---

١. لعلّ بعض فقراته تلميحٌ إلى ما ورد عن رسول الله ﷺ حسبما رواهُ في البحار ٧٤: ١٨٩، أبواب المواعظ والحكم، الباب ٧، ما جمع من مفردات كلمات الرسول ﷺ وجوامع كلمه، فراجع واغتنم.

٢. لعلّ بعض فقراته تلميحٌ إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، القسم ١، الباب ٦، الفصل ١، في الدنيا، فلاحظ.

أصغر. فكم تشعبيها وتنصدع، وترقعي خرقها فيتّسع، وتجمعي منها ما لا يجتمع[١]!

شعر:

تــأمّــل بـعـيـنـيـك كـيـف الــذهــاب
فـــإنّ لـــكـــلّ حـــيـــاةٍ مـمـاتـا
فـمـن عـاش شـبّ ومـن شـبّ شـاب
ومــن شــاب شــاخ ومــن شــاخ ماتا

يا نفس:

ما عسى أن ينال طالب الدنيا من لذّتها، ويتمتّع به من بهجتها، مع ما يرى من فنون مصائبها، وأصناف عجائبها، وكثرة تعبه في طلابها، وتكادحه في اكتسابها، وما يكابده من أسقامها وأوصابها[٢] [٣]؟!

شعر:

تــعــاوره آفـاتــهـا وهـمـومـهـا — وكم ما عسى يبقى لها للتعاور
فـلا هـو مـغـبـوطٌ بـدنـيـاه آمـنٌ — ولا هو عن طِلابها النفس قاصر

[الحثّ على ترك الدنيا]

يا نفس:

هب أنّك لست بخبيرةٍ ولا ذات بصيرةٍ، وإنّما تميلين بطبع الصباء إلى التشبيه في الاقتداء، فقيسي عقل الأنبياء والأبدال بعقل هؤلاء الأغمار الجهّال. وأيضاً إذا كنت لا تتركين الدنيا لعمى بصيرتك وخبث سريرتك، فما لك لا تتركيها ترفّعاً عن خسّة شركائها، وتنزّهاً عن كثرة عنائها، وتوقيّاً من سرعة فنائها، وتفصيّاً من لأوائها وضرّائها[٤]، مع أنّ بلادك لا تخلو من جماعةٍ من اليهود والمجوس يزيدون عليك في نعيم المأكول والملبوس؟! فأُفٍّ لدنيا يسبقك بها هؤلاء الأنذال الأخسّاء الجهّال!

---

١. لعلّه إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة، الخطبة ١١١، في ذمّ الدنيا.

٢. أوصابها أي: أوجاعها وأمراضها.

٣. لعلّه إشارة إلى ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله من جوامع كلمه، حسبما رواه في البحار ٧٤: ١٩٠، أبواب المواعظ والحكم، الباب ٧.

٤. تفصيّاً أي: تخلّصاً، ولأوائها: مشاقّها وشدائدها.

وعلامَ لا تستحين من مساعدتهم على حماقتهم، ومراودتهم على جهالتهم[١] ؟

[التحضيض على علوّ الهمّة]

يا نفس:

إذا رغبت عن أن تكوني في جملة المقرّبين من الأولياء والمؤمنين والأنبياء والمرسلين في جوار ربّ العالمين؛ لتكوني من جملة الهالكين والسفهاء الجاهلين أيّاماً معدوداتٍ على اليقين، لقد خسرت الدنيا والدين، فإذن ما أخسّ همّتك، وأحقر قيمتك، وأسخف عقلك، وأعظم جهلك، وأقلّ حياءك، وأنزر وفاءك! لقد أرداك الطغيان، واستحوذ عليك الشيطان[٢].

[زجر النفس عن الأُمور السفليّة]

يا نفس:

ما أشبهك في قصر العمر وطول الأمل بالجمل: له عنقٌ طويلٌ، وذنبٌ قصيرٌ، وجسدٌ كبيرٌ، وأُذنٌ صغيرٌ، فصورتك صورة انسانٍ، وقلبك قلب حيوانٍ[٣] ! فأنت كالنقد بل أذلّ، وكالأنعام بل أضلّ[٤]، لا تقتفين أثر نبيّ، ولا تقتدين بعمل وصيّ. فيا ويلك ثمّ يا ويلك إن أقمت على ضلالتك، وثبتّ على جهالتك، ودمت على إصرارك، وتماديت في اغترارك.

١. لعلّه تلميحٌ إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، القسم ١، الباب ٦، الفصل ١، في الدنيا، فراجع.

٢. لعلّه تلميحٌ إلى ما ورد عن مولانا الباقر عليه السلام، حسبما رواه ابن شعبة الحرّاني في تحف العقول: ٢٩١ في كلامه ومواعظه.

٣. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في بيان صفات المتّقين والفاسقين من قوله:«وآخر قد تسمّى عالماً وليس به، فاقتبس جهائل من جُهّالٍ وأضاليل من ضلاّلٍ ... فالصورة صورة إنسانٍ، والقلب قلب حيوانٍ» كما أورده الشريف الرضي في نهج البلاغة، الخطبة ٨٦.

٤. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ سورة الأعراف، الآية ١٧٩. ثمّ إنّ النقد جنسٌ من الغنم قصار الأرجلَ قباح الوجوه.

يا نفس:

كم من جرمٍ اجترمت، وإثمٍ اقترفت، تنقلبين في أودية الغفلات تقلّب الريشة في الفلوات! لا والله ما لهذا فطرت، ولا بهذا أُمرت. إنّه لم يخلقك لعباً[١]، ولم يعدك كذباً. عدلك وسوّاك[٢] فلا تخرفي، ونوّرك وصفّاك فلا تنكسفي، وطَبَعك ذهباً طريّاً فلا تعودي زيفاً، وخلقك بشراً سويّاً فلا تصيري طيفاً، وجعلت واضحة الغرّة فلا يسودنّك هواك، وولدت على الفطرة فلا يهوّدنّك أبواك. ويلك جُبلت حنيفةً فتمجّست[٣]، وقدمت قدسيّةً فتنحّست، وأُنزلت طهوراً فتلوّثت، وخرجت سيّاحةً فتلبّثت، ونسجت ديباجاً فصرت مسحاً، وهبطت عذباً فعدت ملحاً[٤].

يا نفس:

ما أكثر انهماكك في غوايتك، وتهوّرك في عمايتك، وتمسّكك بشقاوتك، وتشبّثك بغباوتك، وعمهك في سكرتك، وتردّدك في غمرتك، وخبطك في عشوائك، واستمرارك على التوائك! وما أعظم عنودك وشقاقك، وكنودك ونفاقك، وطغواك وعداوتك، وفسقك وعصيانك! إن قلت كذبت، أو عوتبت غضبت، أو سئلت بخلت، أو وعدت مطلت[٥].

[معاذلة النفس]

يا نفس:

أنت التي حسدت، أنت التي كندت، أنت التي حقدت، أنت التي جحدت أنت التي أفسدت، أنت التي عاندت، أنت التي وشيت، أنت التي التويت، أنت التي طغيت، أنت التي بغيت، أنت التي عصيت، أنت التي هويت، أنت التي غويت، أنت التي

---

١. تلميح إلى قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ سورة المؤمنون، الآية ١١٥.

٢. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ سورة الانفطار، الآية: ٧.

٣. إشارة إلى ما ورد عن مولانا الصادق عليه السلام قال: «ما من مولودٍ يُولد إلاّ على الفطرة، فأبواه اللذان يهوّدانه و ينصّرانه ويمجّسانه ...» كما أورده في الفقيه ٢: ٤٩، باب الخراج والجزية، الحديث ١٦٦٨.

٤. لعلّه تلميحٌ إلى ما ورد عن مولانا أمر المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة، الخطبة ١٧٦، فراجع وتبصّر.

٥. لعلّه تلميحٌ إلى وصيّة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام في نهج البلاغة، الكتاب ٣١.

راءيت، أنت التي ماريت، أنت التي جنيت، أنت التي عتبت، أنت التي اعتديت، أنت التي جشعت، أنت التي جمعت، أنت التي منعت، أنت التي قطعت، أنت التي طحت[١]، أنت التي ضيّعت، أنت التي ضجعت، أنت التي خدعت، أنت التي زللت، أنت التي غفلت، أنت التي عللت، أنت التي ضللت، أنت التي احتلت، أنت التي أغفلت، أنت التي جهلت، أنت التي أثمت، أنت التي اجترمت، أنت التي ظلمت، أنت التي نممت، أنت التي غممت[٢]، أنت التي أسأت، أنت التي أخطأت، أنت التي اجترأت، أنت التي هزأت، أنت التي ترأت، أنت التي همزت[٣]، أنت التي لمزت[٤]، أنت التي هتكت، أنت التي أهلكت، أنت التي شككت، أنت التي فتكت، أنت التي اقترفت، أنت التي خلّفت، أنت التي خالفت، أنت التي سلفت، أنت التي سوّفت، أنت التي أسرفت، أنت التي فتنت، أنت التي ظننت، أنت التي خنت، أنت التي منْتِ، أنت التي فسقت، أنت التي أبقت، أنت التي جمعت، أنت التي عققت، أنت التي شاققت، أنت التي نافقت، أنت التي حنثت، أنت التي نكثت، أنت التي عتبت، أنت التي ارتبت، أنت التي سببت، أنت التي كذبت، أنت التي صبوت، أنت التي قسوت، أنت التي سهوت، أنت التي جفوت، أنت التي هفوت، أنت التي ضررت، أنت التي غررت، أنت التي ضاررت، أنت التي شازرت[٥]، أنت التي أضررت، أنت التي أخفرت[٦]، أنت التي فخرت، أنت التي غدرت، أنت التي خترت، أنت التي حيّرت، أنت التي قصرت، أنت التي قنطت، أنت التي شططت[٧]، أنت التي أسقطت، أنت التي سفهت، أنت التي عمهت.[٨ و ٩]

---

١. أي: هلكت وسقطت.

٢. أي: غطّيت وسترت.

٣. أصل الهمز الغمز والوقيعة في الناس وذكر عيوبهم بالغيب.

٤. لمزك إذا عابك في وجهك لا من خلفك، بخلاف الهمز.

٥. الشزر: نظرٌ فيه إعراضٌ، كنظر المعادي المبغض.

٦. أي: نقضت العهد.

٧. الختر: أقبح العذر، والشطط: تجاوز القدر في كلّ شيءٍ.

٨. أسقطت أي: عثرت وزللت، وسفهت: جهلت، وعمهت: تحيّرت.

٩. لعلّه تلميحٌ إلى ما ورد عن مولانا سيّد الشهداء عليه السلام في دعاء عرفة من قوله: «أنا الذي أسأتُ، أنا الذي أخطأتُ، أنا الذي هممتُ، أنا الذي جهلتُ، أنا الذي غفلتُ ...» حسبما رواه السيّد ابن طاووس في الإقبال: ٣٤٥، فصل: فيما نذكره من أدعية يوم عرفة.

[تنبيه النفس عن الرقاد]

يا نفس:

وبالجملة: فخيرك يسيرٌ، وشرّك كثيرٌ، بل خيرك ظفرٌ، وشرّك شبرٌ. لا تزيدك الموعظة إلاّ خساراً، ولا تفيدك الوصية إلاّ إضراراً، قد ضجّ منك الضياء والظلام، والليالي والأيّام، والملائكة الكرام. ولا جرم أنّه من كانت هذه المعائب صفته واعتماده وسيرته أن يستوجب سخط الخالق، ومقت الخلائق. فعلامَ بعت الدين بالدون، ودنّست ثوب عرضك المصون؟ فإنّا لله وإنا إليه راجعون[١].

يا نفس:

عجباً لك وقد قادتك أزمّة الحين، واستغلق على قلبك أقفال الرين، وقد أشرفت على الهلاك، وحلّ بك الارتباك، وآن فوتك، واقترب موتك! كيف تعمين عن هذه الأُمور، ولا تحسبين عواقب يوم النشور؟! وقد قيل: من تدبّر العواقب أمن من المعاطب[٢].

شعر:

فإنّ الجرح ينفر بعد حين   إذا كان البناء على فساد

وكيف تبيعين ما يبقى أبد الآبدين بما لا يبقى إلاّ عدد سنين؟! فأنت كالمنخل يمسك النخالة ويرسل الطحين.

يا نفس:

أنت تستعدّين للشتاء بجمع عدّته بقدر طول مدّته، فتجمعين له من الكسوة والأحطاب وجميع الأسباب، ولا تتّكلين في ذلك على فضل الله وكرمه وجوده ونعمه؛ حتّى يدفع عنك البرد وشدّته، والقرّ[٣] ورعدته، من غير جبّةٍ أولبّادٍ[٤] أو حطبٍ أو زنادٍ!

---

١. لعلّه تلميحٌ إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، القسم ٣ الباب ٢، النفس وما حولها، والباب ٣، آفات النفس، فلاحظ.

٢. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٨، ١٠٩١٤، ١٠٩١٥، ١٠٩١٦، ١٠٩١٧، ١٠٩١٨.

٣. القرّ: البرد أو اليوم البارد.

٤. اللبّادة: ما يلبس للمطر.

أو تظنّين أنّ زمهرير جهنم وشدّة عقوبته أخفّ من زمهرير الشتاء ومدّة صعوبته؟! هيهات هيهات: كما لا يندفع برد الشتاء إلاّ بالجبّة والنار وسائر الآلات، فكذا لا يندفع حرّ النار وبردها إلاّ بحصن التوحيد وخندق الطاعات. وكيف تستعدّين للشتاء قبل حلوله والصيف قبل دخوله، وتنسي زاد القبر قبل نزوله[١] ؟!

يا نفس:

أما تعلمين: أنّ الموت ميعادك، والتراب في القبر وسادك، والدود يأكل لحم خدّيك وإنسان عينك، والفزع الأكبر بين يديك؟! أما تعلمين: أنّ الأموات يتمنّون الرجعة إلى هذه الدار؛ ليشتغلوا بتدارك تكفير الأوزار، ولو قدروا على يومٍ من عمرك أو ساعةٍ من دهرك لاشتروا ذلك بأعلى الأثمان والياقوت البهرمان، وأنتَ الآن في أُمنيّتهم لا في منيّتهم، وفي مقامتهم لا في قيامتهم[٢] ؟!

يا نفس:

أما تستحين تزيّنين ظاهرك للعوام، وتبارزين الله في السرّ في الجرائم؟! وكيف تأمرين بالخير الداني والقاصي وأنت ملطّخةٌ بالمعاصي؟! تدعين إلى اللين وأنت قاسيةٌ، وتذكّرين بالله وأنت له ناسيةٌ[٣].

شعر:

إذا أنـت عبـت الأمــر ثـمّ أتيته ... فأنت ومـن تـزري عليه سـواء

فليكن قلبك محزوناً، وشرّك مأموناً، ونفسك عفيفةً، وحوائجك خفيفةً، واصبري أيّاماً قليلةً، لراحةٍ طويلةٍ[٤]. وانُظري وجهك في المرآة في كلّ آنٍ وفي كلّ وقتٍ وزمانٍ: فإن كان وجهك مليحاً فاستقبحي أن تضيفي إليه فعلاً قبيحاً، وإن كان وجهك

---

١. لعلّه إشارةٌ إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٢٦٣٠، ٢٧١٢، ٢٧١٣، ٢٧١٧، ٢٩٨٤.

٢. لعلّه تلميحٌ إلى بعض ما ورد في وصيّة رسول الله صلى الله عليه وآله لأبي ذرّ، فلاحظ.

٣. لعلّه تلميحٌ إلى بعض ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة، الخطبة ٢٢٣، فراجع وتدبّر.

٤. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة، الخطبة ١٩٣، في وصف المتّقين، حيث قال: «قلوبهم محزونةٌ، وشرورهم مأمونةٌ، وأجسادهم نحيفةٌ، وحاجاتهم خفيفةٌ، وأنفسهم عفيفةٌ. صبروا أيّاماً قصيرةً أعقبتهم راحةً طويلةً» فراجع واغتنم.

ليس بالزين فلا تجمعي بين القبيحين. وانظري إلى قول الشاعر:

شعر:

يـا حسـن الوجـه فكـن محسـناً　　لا تبدلـنّ الزيـن بالشـين

ويـا قبيـح الوجـه لا تجمعـن　　بـالله مـا بيـن قبيحيـن

[التحذير عن الرياء والحضّ على الإخلاص]

يا نفس:

إيّاك واستعمال الرياء[1]؛ فإنّه موجبٌ للمقت والشقاء، حيث ينادى عليه يوم تبلى السرائر: يا مرائي يا فاجر يا غادر[2]. ثمّ يقال له في التوبيخ على رؤوس الأشهاد: أما استحييت إذ استخففت نظر سلطان المعاد، وراقبت قلوب العباد، وتقرّبت إلى المخلوقين بالبعد عن المهيمن الجواد؟!

يا نفس:

لو لم يكن في الرياء إلاّ تحويل العمل من جزيل الثواب إلى وبيل العقاب لكان إلى معرفة ضرره كافياً، ولترك قوله والعمل به واعياً، مع أنّه من طلب رضا المخلوق منعه الله في الدارين ثواب ما لديه، وسخط عليه وأسخطهم عليه. وأيضا فإنّ رضاهم لا يزيده رزقاً ولا أجلاً، ولا يُرى نافعاً يوم فاقته قولاً وعملاً[3].

---

١. إشارة إلى ما ورد عن مولانا الصادق عليه السلام من قوله لعبّاد بن كثير البصري في المسجد: «ويلك يا عبّاد! إيّاك والرياء؛ فإنّه من عمل لغير الله، وكله الله إلى مَن عمل له» حسبما رواه في الكافي ٢: ٢٩٤، باب الرياء، الحديث ١.

٢. إشارة إلى ما ورد عن مولانا الصادق عليه السلام عن أبيه عن آبائه عليهم السلام: «أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله سُئل فيما النجاة غداً، فقال: إنّما النجاة في أن لا تخادعوا الله ... فاتّقوا الله في الرياء؛ فإنّه الشرك بالله. إنّ المُرائي يُدعى يوم القيامة بأربعة أسماء: يا كافر، يا فاجر، يا غادر، يا خاسر، حبط عملك، وبطل أجرك، فلا خلاص لك اليوم، فالتمس أجرك ممّن كنت تعمل له» كما رواه في الوسائل: ٦٩، باب تحريم قصد الرياء والسمعة بالعبادة، الحديث ١٥٣، نقلاً عن عقاب الأعمال.

٣. إشارة إلى ما ورد عن مولانا الصادق عليه السلام قال: «قال النبي صلى الله عليه وآله: إنّ الملك ليصعد بعمل العبد مبتهجاً به، فإذا صعد بحسناته يقول الله عزّ وجلّ: اجعلوها في سجّين؛ إنّه ليس إيّاي أراد بها» حسبما رواه في الكافي ٢: ٢٩٥، باب الرياء، الحديث ٧، وإلى ما ورد عنه عليه السلام في الباب المتقدّم، الحديث ١٠، فراجع، وإلى ما ورد عنه عليه السلام أيضاً قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من طلب رضا الناس بسخط الله، جعل الله حامده من الناس ذامّاً» كما رواه في الكافي ٢: ٣٧٢، باب من أطاع المخلوق في معصية الخالق، الحديث ١.

يا نفس:

وكيف يترك العاقل ما عند الله تعالى برجاءٍ كاذبٍ ووهمٍ خائبٍ، مع أنّ مدح الناس لا ينفعه، وهو مذمومٌ عند الله ومن أهل النار، وذمّهم لا يضرّه، وهو محمودٌ عند الله، وفي زمرة الأبرار؟! وفي الحديث: «من آثر محامد الله، كفاه الله مؤنة الناس»[1] و «من أصلح ما بينه وبين الله، أصلح الله ما بينه وبين الناس»[2].

يا نفس:

فكوني على وجلٍ، ولا تصحبي غير الخالص من العمل، كما أنّ المسافر إلى بعيد القفار لا يصحب معه إلاّ خالص النضار؛ طلباً للخفّة وكثرة الانتفاع، والابتياع به عند الحاجة لما يباع[3]. ولا حاجة أعظم من فاقة القيامة، ولا عمل أنفع من الخالص لله يوم الطامّة ؛ فهو أحسن الذخائر، وأخفّها حملاً عند أُولي البصائر[4].

شعر:

ما بال دينك ترضى أن تدنّسه — وثوب جسمك مغسول من الدنس
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها — إنّ السفينة لا تجري على اليبس

[تمهيد العمل الصالح لصاحبه]

يا نفس:

في الخبر:«إنّ العمل الصالح يمهّد في الجنة لصاحبه، كما يرسل الرجل غلامه بفراشه ومآربه»[5] بل هو يحمل صاحبه، على ما ورد عن العلماء في رواياتهم في تفسير

---

١. إليك نصّ الحديث النبويّ: «مَن آثر محامد الله على محامد الناس، كفاه الله مؤونة الناس» حسبما رواه في البحار ٦٩: ٣٠٤، الباب ١١٦، الحديث ٥١.

٢. اُنظر نهج البلاغة، الحكمة ٨٩

٣. لعلّه تلميحٌ إلى ما ورد عن مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام، حسبما رواه في تحف العقول: ١٥٤، في حكمه وترغيبه وترهيبه ووعظه، فلاحظ.

٤. لعلّه إشارةٌ إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ١٥٢، ٢٨٨٠، ٢٩٥٦؛ وما في نهج البلاغة، الخطبة ١٢٠، والكتاب ٥٣، فراجع.

٥. لم نعثر على الخبر المذكور في المصادر المتوفّرة لدينا، ولعلّ المصنف أورده بمضمونه، لا بلفظه ومتنه؛ إذ روى الديلمي في إرشاد القلوب ١: ٧٥ عن رسول الله صلى الله عليه وآله مرفوعاً قال:«واعلموا: أنّ القبر روضةٌ من رياض الجنّة أو حفرةٌ من حفر النيران، فمهّدوه بالعمل الصالح. فمثل أحدكم يعمل الخير كمثل الرجل ينفذ كلامه يمهّد له. قال الله تعالى: ﴿فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ [سورة الروم، الآية: ٤٤]».

قوله تعالى:﴿وَيُنَجِّي الله الَّذينَ اتَّقَوْا بِمَفازَتِهِم﴾[١]. إذ العمل الصالح يقول لصاحبه: اركبني عند أهوال يوم القيامة؛ فلطالما ركبتك في الدنيا في الصلاة والصيام، فيركبه فيتخطّى به مواقف الهوان، حتّى يحلّ به غرفات الجنان[٢]. فارتئي لنفسك قبل نزولك، ومهّدي المنزل قبل حلولك، و﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾[٣] ﴿وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾[٤].

[ذمّ الحرص والحثّ على القناعة]

يا نفس:

إيّاك والحرص؛ فالحرص مذمومٌ، والحريص محرومٌ، والرزق مقسومٌ، لا يزيده قيام حريصٍ طامعٍ، ولا ينقصه قعود مجملٍ قانعٍ[٥].

شعر:

إيّـاك أن تحـرص فـي مكتسـب	يحظـى بـه الغيـر وتشـقى بـه
كالكلـب يسـتبدل مجهـوده	فـي طلـب الصيـد لأصحابـه

فخفّضي في الطلب، واجملي في المكتسب. ففي الحديث: «لا تموت نفسٌ من الخلق حتّى تستكمل ما قُسم لها من الرزق. إنّ الله قسّم الرزق بين خلقه حلالاً ولم يقسمه حراماً: فمن اتّقى وصبر أعطاه الله رزقه تماماً، ومن هتك حجاب الستر فأخذه من غير حلّه قوقص[٦] به من رزقه الحلال كلّه»[٧].

---

١. سورة الزمر، الآية: ٦١.

٢. لعلّه إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٢٨٦٣، ٢٨٨٠، ٢٨٦٤، ٢٨٦٥.

٣. سورة الروم، الآية: ٤٤.

٤. سورة الأنبياء، الآية: ١٠٢.

٥. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الحديثان ٣١١٢ و ٩١٧٨ فراجع، وإلى ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «أيّها الناس، إنّ الرزق مقسومٌ، لن يعدو امرؤٌ ما قُسم له، فأجملوا في الطلب ...» حسبما رواه في البحار ١٠٠: ٢٦، باب الإجمال في الطلب، الحديث ٣٧، وقريبٌ منه ما ورد في الباب المتقدّم، الحديث ٦٦.

٦. أي: قطع.

٧. راجع الكافي ٥: ٨١، باب الإجمال في الطلب، الحديث ١ مع أدنى تفاوت، كما ورد الخبر في التهذيب والوسائل ومستدركه والبحار وعدّة الداعي مع اختلاف يسير، فلاحظ.

شعر:

يفنـي الحريـص بجمـع المـال مدّتـه ... وللحـوادث ما يبقـى وما يدع

كـدودة القـزّ مـا تبنيـه يهلكها ... وغيرهـا بالـذي تبنيـه ينتفـع

[لزوم الاستعداد ليوم المعاد]

يا نفس:

إنّ أمامك طريقاً ذا مسافةٍ بعيدةٍ ومشقّةٍ شديدةٍ، وإنّه لا غنى لك عن حسن الارتياد وقدر بلاغك من الزاد، فلا تحملي على ظهرك ما يعجزك حمله، فيكون وبالاً عليك نقله. وإن وجدت من أهل الفاقة من يحمل لك زادك فيوافيك به غداً يوم معادك، فاكثري من تزويده وحمّليه؛ فلعلّك تطلبيه فلا تجديه[1].

يا نفس:

الخير باقٍ، والاحسان واقٍ، والمرء لما قدّم لاقٍ[2]. ومن الفساد إضاعة الزاد ومفسدة المعاد. وإنّما لك من دنياك ما أصلحت به مثواك، وإذا جزعت على ما تفلتّ من يديك، فاجزعي على كلّ ما لم يصل إليك، ولا تكوني كدودة القزّ تهلك في حبسها؛ لبنائها من جهلها على نفسها[3].

شعر:

ألـم تـر أنّ المـرء طـول حياتـه ... معنّـىً بأمـر لا يـزال يعالجـه

كـدود القـزّ ينسـج دائمـاً ... ويهلك غمّاً وسـط ما هو ناسـجه

يا نفس:

كما ينظر المريض إلى لذيذ الطعام فلا يلتذّ من شدّة الأسقام، كذلك صاحب الدنيا لا يجد لذّة العبادة وحلاوتها، مع ما يجد من محبّة الدنيا وغضارتها.

---

١. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة، الكتاب ٣١، في وصيّته لابنه الحسن عليه السلام، فراجع واغتنم.

٢. تلميح إلى الآية: ١٨ من سورة الحشر والآية: ٤٠ من سورة النبأ والآية: ٥ من سورة الانفطار.

٣. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الحديث ٢٧٠٧، وما ورد في وصيّته لابنه الحسن عليه السلام في نهج البلاغة، الكتاب ٣١.

واعلمي: أنّ الدابة إذا لم تركب وتمتهن، نفرت واستصعبت، كذلك القلوب إذا لم ترتق بذكر الموت قست واستغلظت، وأنّ الرقّ إذا لم ينخرق يوشك أن يكون وعاء للعسل، كذلك القلوب إذا لم تخرقها الشهوات يوشك أن تكون أوعيةً للحكمة وصالح العمل[١].

[آثار التسبيح ووصف الجنان]

يا نفس:

في الحديث: «من قال: سبحان الله، غرس الله له بها في الجنّة عشر شجراتٍ»[٢]. فيها ما شاء من أنواع الفواكه والطيّبات، وهي ذوات أفنان[٣]، تحمل من سائر الألوان، فيرى ثمرها إن أراد رطباً، وإذا قضى منه أرباً تحوّل عنباً، فإذا قضى منه أملاً انقلب عسلاً وتيجاناً وحللاً. وكذلك تتقلّب لوزاً وبطّيخاً وموزاً ورمّاناً وجوزاً وزيتوناً وتيناً، أو لحماً سميناً، وحوراً عيناً. وإنّها تأتي إلى باغيها، وتذلّل قطوفها لجانيها، من غير تكلّف الاختراف أو تجشّم الاقتطاف. فلو تخرج شجرةٌ من تلك إلى الدنيا للابتياع، فما ظنّك بما كان تبذل الملوك في قيمتها لجلالة الانتفاع، خصوصاً إذا وصفت مع ذلك بأنّها لا تحتاج إلى سقيٍ وصرامٍ، ولا في ثمرها جرامٌ[٤]، ولا لعمرها انصرامٌ، أو أنّها تبقى عشرة آلاف عامٍ[٥].

يا نفس:

قد ورد في الوحي القديم عن الربّ العظيم: «أعددت لعبادي ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت»[٦]. هذا مع أنّ عيان الآخرة أعظم من سماعها، بخلاف الدنيا؛ لخساسة

---

١. إشارة إلى ما أورده ابن فهد الحلّي في عدّة الداعي: ١٠٦ ـ ١٠٧ عن عيسى بن مريم (على نبيّنا وآله وعليه الصلاة والسلام) مع أدنى تفاوتٍ، فلاحظ.

٢. أنظر الأمالي للصدوق: ٦٠٧، المجلس ٨٨، الحديث ١٦ عن رسول الله ﷺ، ورواه في البحار والوسائل وعدّة الداعي وثواب الأعمال، إلاّ أنّ فيها: «غرس الله له بها شجرةً في الجنّة» فراجع.

٣. إشارة إلى الآية: ٤٨ من سورة الرحمن، والمراد: ذواتا أنواع من الثمار أو ذواتا أغصانٍ ليّنةٍ أشجارهما.

٤. الجرام: النوى.

٥. لعلّه تلميحٌ إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في صفة الجنّة، حسبما أورده الشريف الرضيّ في نهج البلاغة، ذيل الخطبة ١٦٥.

٦. أنظر عدّة الداعي: ١٠، القسم ٦، ورواه عنه في البحار ٨: ١٩١، وتتمّة الخبر هكذا: «ولاخطر بقلب بشرٍ».

متاعها، وما أيّام دنياك التي تشتري بها هذا النعيم المقيم والفضل العظيم إلاّ ساعةً، فاجعليها طاعةً[١]. والماضي من دنياك لا تجدين للذّته تنعيماً، ولا لبؤسه تأليماً، والمستقبل قد لا تدركيه. وإنّما أنت بالوقت الذي أنت فيه، ثمّ إن لم تبيعي هذا الوقت القصير بنعيم الآخرة، بعتها بثمنٍ بخسٍ وصفقةٍ خاسرةٍ[٢].

شعر:

الدهر ساومني عمري فقلت له ... ما بعتُ عمري بالدنيا وما فيها

ثمّ اشتراها بتدريجٍ بلا ثمنٍ ... تبّت يدا صفقةٍ قد خاب شاريها

[الحذر عن التورّط في الشبهات]

يا نفس:

لا تقولي: أنا أتنعّم في الدنيا بما أباحه الله من المستلذّات و﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ﴾[٣]؛ فإنّ هذا القول تمويهٌ وزورٌ وحمقٌ وغرورٌ؛ لأنّ المتوغّل في فضول الدنيا لا ينفكّ عن تورّط الشبهات، والحرص الموقع في مهاوي الآفات. وإن سلم من الحرص ـ وأنّى له ـ لم يسلم من القساوة والملالة؛ فخائض الماء يجد البلل لا محالة[٤].

[فضل الفقراء على الأغنياء]

يا نفس:

في الحديث: «إنّ المؤمن إذا كان فقيراً عفيفاً، [يتقلّب في رياض الجنّة قبل الغني

---

١. إشارة إلى ما أورده ابن أبي جمهور في عوالي اللآلي ١: ٢٨٥، الفصل ١٠، الحديث ١٣١ مرفوعاً عن رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: «الدنيا ساعةٌ، فاجعلها طاعةً».

٢. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الحديث ٢٦٦٠.

٣. سورة الأعراف، الآية: ٣٢.

٤. لعلّه تلميحٌ إلى ما أورده الميرزا النوري في مستدرك الوسائل ١٣: ٤٧، الحديث ١٤٧٠١ عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، وما أورده أيضاً في الحديث ١٤٦١٨ عن مولانا الكاظم عليه السلام، فراجع.

بأربعين»[١]، وفي الحديث: «إن أهل النار يدعون مالكاً أربعين خريفاً»[٢]، أي: أربعين سنةً. ومثل ذلك كسفينتين مرّتا على عشّارٍ: إحداهما خاليةٌ والأُخرى ذات أوقارٍ، فيقول للخالية: سيّروها، وللموقرة: احسبوها لتعشروها.

يا نفس:

وكيف يرغب العاقل عن حبّ المسكنة والمساكين، وهو يرى الأولياء والنبيّين على بغض الدنيا قد انعكفوا، وبوظيفة القيام بخدمة الله تكلّفوا؟! فلو كان في الدنيا خيرٌ لم تفت هؤلاء الأكياس الذين هم حجج الله على الناس. وأيّ خيرٍ في الملك والمال وصاحبهما: إمّا قائمٌ بحقوقهما فذاك مسلوب اللذّة والقرار، وإمّا مضيّعٌ لما وجب عليه فيهما فمصيره إلى النار[٣]؟!

[التحضيض على التوكّل]

يا نفس:

الاعتماد على الله منوطٌ بالنجاح ومقودٌ بأزمّة الفلاح، والتعلّق بغيره مقرونٌ بالخذلان وموجبٌ للحرمان، وإنّ الله أقسم بعزّته وجلاله وعظمته وكماله أن يقطع أمل كلّ آملٍ أمّل سواه بالأياس، وأن يكسوه ثوب المذلّة في الناس، ويأمر السماوات والأرضين أن

---

١. لم نعثر على الخبر المذكور في المجامع الحديثيّة، ولعلّ المصنّف نقله بمضمونه لا بلفظه. نعم، أورد المرحوم المجلسي في البحار ٦٩: ٤٨، الباب ٩٤، الحديث ٥٨ عن رسول الله ﷺ قال ـ في جواب ما كان يشغل بال الفقراء إذا قالوا: إنّ الأغنياء ذهبوا بالجنّة: يحجّون ويعتمرون ويتصدّقون، ولا نقدر عليه ـ: «إنّ من صبر واحتسب منكم تكن له ثلاث خصال ليس للأغنياء: ... وثانيها: يدخل الفقراء الجنّة قبل الأغنياء بخمس مائة عام...».

٢. لم نعثر على الخبر المذكور من طرقنا. نعم، أورده في البحار ٨: ٢٨٢، الباب ٢٤، ذيل الحديث ٤ عن النهاية في غريب الحديث لابن الأثير. أمّا من طرق العامّة فرواه غير واحد في كتب الحديث والتفسير واللغة، نحو ما أورده في المستدرك على الصحيحين ٢: ٣٩٥ عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: «إنّ أهل النار يدعون مالكاً، فلا يجيبهم أربعين يوماً ...». وأورده أيضاً في مجمع الزوائد ١٠: ٣٩٦، والقرطبي في تفسيره ١٢: ١٥٣، وابن الأثير في نهايته ٢: ٢٥ (خرف)، ونحوه غيرها.

٣. لعلّه تلميحٌ إلى بعض ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الفصل الرابع: في المال وذمّه وشرّه.

تقفل دونه أبوابها، وأن تقطع عنه أسبابها[١]. ومن توكّل على الله ذلّت له الصعاب، وتسهّلت عليه الأسباب[٢]. فثقي بالله ربّك، وتوكّلي على الله؛ فهو حسبك[٣]، واطلبي رفده[٤]﴿أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾[٥]. واعلمي: أنّ الذي للتوكّل تاركٌ مكذّبٌ بهذه الآية وهو هالكٌ.

[لزوم اتّقاء جمود العين]

يا نفس:

في الحديث: أنّ جمود العين من قساوة القلب[٦]، وهو يؤذن بالبعد عن الربّ، وأنّه ما

---

١. إشارة إلى ما أورده الكليني في الكافي ٢: ٦٦، باب التفويض إلى الله والتوكّل عليه، الحديث ٧ عن مولانا الصادق عليه السلام من أنّه قرأ في بعض الكتب: «أنّ الله تبارك و تعالى يقول: وَعِزَّتِي وَجَلالِي وَمَجْدِي وَارْتِفَاعِي عَلَى عَرْشِي، لأَقْطَعَنَّ أَمَلَ كُلِّ مُؤَمِّلٍ مِنَ النَّاسِ] غَيْرِي بِالْيَأْسِ، وَلأَكْسُوَنَّهُ ثَوْبَ الْمَذَلَّةِ عِنْدَ النَّاسِ، وَلأُنَحِّيَنَّهُ مِنْ قُرْبِي، وَلأُبَعِّدَنَّهُ مِنْ فَضْلِي، أَيُؤَمِّلُ غَيْرِي فِي الشَّدَائِدِ، وَالشَّدَائِدُ بِيَدِي، وَيَرْجُو غَيْرِي وَيَقْرَعُ بِالْفِكْرِ بَابَ غَيْرِي، وَبِيَدِي مَفَاتِيحُ الأَبْوَابِ، وَهِيَ مُغْلَقَةٌ، وَبَابِي مَفْتُوحٌ لِمَنْ دَعَانِي؟! فَمَنْ ذَا الَّذِي أَمَّلَنِي لِنَوَائِبِهِ فَقَطَعْتُهُ دُونَهَا؟! وَمَنْ ذَا الَّذِي رَجَانِي لِعَظِيمَةٍ فَقَطَعْتُ رَجَاءَهُ مِنِّي؟! جَعَلْتُ آمَالَ عِبَادِي عِنْدِي مَحْفُوظَةً، فَلَمْ يَرْضَوْا بِحِفْظِي، وَمَلأْتُ سَمَاوَاتِي مِمَّنْ لا يَمَلُّ مِنْ تَسْبِيحِي، وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ لا يُغْلِقُوا الأَبْوَابَ بَيْنِي وَبَيْنَ عِبَادِي، فَلَمْ يَثِقُوا بِقَوْلِي. أَلَمْ يَعْلَمْ مَنْ طَرَقَتْهُ نَائِبَةٌ مِنْ نَوَائِبِي أَنَّهُ لا يَمْلِكُ كَشْفَهَا أَحَدٌ غَيْرِي إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِي، فَمَا لِي أَرَاهُ لاهِياً عَنِّي؟! أَعْطَيْتُهُ بِجُودِي مَا لَمْ يَسْأَلْنِي، ثُمَّ انْتَزَعْتُهُ عَنْهُ، فَلَمْ يَسْأَلْنِي رَدَّهُ، وَسَأَلَ غَيْرِي! أَفَيَرَانِي أَبْدَأُ بِالْعَطَاءِ قَبْلَ الْمَسْأَلَةِ ثُمَّ أُسْأَلُ فَلا أُجِيبُ سَائِلِي؟! أَبَخِيلٌ أَنَا فَيُبَخِّلُنِي عَبْدِي؟! أَوَ لَيْسَ الْجُودُ وَالْكَرَمُ لِي؟ أَوَ لَيْسَ الْعَفْوُ والرَّحْمَةُ بِيَدِي؟ أَوَ لَيْسَ أَنَا مَحَلَّ الآمَالِ، فَمَنْ يَقْطَعُهَا دُونِي؟ أَفَلا يَخْشَى الْمُؤَمِّلُونَ أَنْ يُؤَمِّلُوا غَيْرِي؟ فَلَوْ أَنَّ أَهْلَ سَمَاوَاتِي وأَهْلَ أَرْضِي أَمَّلُوا جَمِيعاً ثُمَّ أَعْطَيْتُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مِثْلَ مَا أَمَّلَ الْجَمِيعُ، مَا انْتَقَصَ مِنْ مُلْكِي مِثْلَ عُضْوِ ذَرَّةٍ. وَكَيْفَ يَنْقُصُ مُلْكٌ أَنَا قَيِّمُهُ؟! فَيَا بُؤْساً لِلْقَانِطِينَ مِنْ رَحْمَتِي، وَيَا بُؤْساً لِمَنْ عَصَانِي وَلَمْ يُرَاقِبْنِي!».

٢. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الحديث ٣٨٨٨.

٣. إشارة إلى قوله تعالى:﴿وَمن يتّق الله يجعلْ له مُخرجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً﴾ سورة الطلاق، الآية: ٣.

٤. أي: عطائه وعونه.

٥. سورة الزمر، الآية: ٣٦.

٦. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من علامات الشقاء: جمود العين، وقسوة القلب، وشدّة الحرص في طلب الرزق، والإصرار على الذنب» حسبما رواه في الخصال: ٢٤٣، باب الأربعة، الحديث ٩٦.

من شيءٍ إلاّ وله وزنٌ أو كيلٌ إلاّ الدموع من خشية الله في جوف الليل؛ فإنّ القطرة القليلة المقدار تطفئ بحاراً من النار[١]، وإنّ القطرة كمثل رأس الذباب كجبل أُحد يوم الحساب من الأجر والثواب[٢]، والبكاء من خشية الله ينير القلب، ويعصم عن معاودة الذنب[٣].

[وصف جهنّم ومواقفها]

يا نفس:

فعليك بإرسال الدموع السجام[٤] عند تذكارك الذنوب العظام، والفضائح في يوم القيام، وإشفاق الخلائق من الملك العلاّم، وقد خرست الألسن والشقاشق[٥]، وكانت الجوارح هي الشاهد والناطق، يوم تكشف فيه العورات، ويؤمن فيه النظر والالتفات. وكيف للمرء بالنظر إلى من يليه و ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾[٦].

يا نفس:

فمنهم المسحوب على وجهه والمقرون مع شكله وشبهه، ومنهم الجاثي على ركبتيه والمعلّق بشفتيه، ومنهم كالذرّ فيوطأ بالأقدام، ومنهم من يصلب على شفير جهنّم عشرة آلاف عامٍ، أو صلباً ليس لمدّته انصرامٌ[٧]، ومنهم من يطوّق بشجاع في جيده[٨] ينهشه في

---

١. إشارة إلى ما ورد عن مولانا الصادق عليه السلام قال: «ما من شيءٍ إلاّ وله كيلٌ أو وزنٌ إلاّ الدموع؛ فإنّ القطرة تُطفئ بحاراً من نار، فإذا اغرورقت العين بماءها لم يرهق وجهاً قترٌ ولا ذلّةٌ، فإذا فاضت حرّمه الله على النار. ولو أنّ باكياً بكى في أمّة لرُحموا» حسبما رواه في الكافي ٢: ٤٨١، باب البكاء، الحديث ١.

٢. إشارة إلى ما ورد عن مولانا الصادق عليه السلام من قوله لأبي بصير: «إن خفت أمراً يكون أو حاجةً تريدها فابدأ بالله، فمجّده وأثنِ عليه كما هو أهله، وصلِ على النبيّ صلى الله عليه وآله، وتباك ولو مثل رأس الذباب ...» حسبما رواه في البحار ٩٠: ٣٣٤، الباب ١٩، الحديث ٢٥، وإلى ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «مَنْ ذَرَفَتْ عَيْنَاهُ مِنْ خَشْيَةِ الله، كَانَ لَهُ بِكُلِ قَطْرَةٍ مِنْ دُمُوعِه مِثْلُ جَبَلِ أُحُدٍ يَكُونُ فِي مِيزَانِه مِنَ الأَجْرِ، وَكَانَ لَهُ بِكُلِّ قَطْرَةٍ عَيْنٌ فِي الْجَنَّةِ عَلَى حَافَتَيْهَا مِنَ الْمَدَائِنِ وَالْقُصُورِ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ» فراجع الباب المتقدّم.

٣. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الحديث ٣٧٣٠.

٤. أسجمت السماء: صبّت، وانسجم الماء إذا انصبّ، والسجم: الدمع.

٥. الشِقشِقة: لهاة البعير، وقيل هو شيء كالرئة يخرجها البعير من فيه إذا هاج.

٦. سورة عبس، الآية: ٣٧.

٧. انصرام أي: انقطاع.

٨. الشجاع: الحيّة، والجيد: العنق.

وجهه ووريده، ومنهم من تطؤه ذوات الأخفاف بأخفافها وذوات الأظلاف بأظلافها، ومنهم المقرون مع الشياطين والمسجون في سجّين، ومنهم من القردة والخنازير في صورتهم، ومنهم كالجيف فيتقذّرهم أهل الموقف؛ لشدّة نتنهم، ومنهم من يسيل من أفواههم وفروجهم القيح والصديد[١]، ومنهم من له ﴿ ثِيَابٌ مِن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ* يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ * وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾[٢]. فأحقّ الناس بالتغبيط الطائع الرشيد، وأحقّ الناس بالعذاب البسيط العاصي العتيد. وقلت شعراً:

شعر:

أحقّ الناس أن يصلى بنارٍ	فتى ذو مالٍ أذهبه الغناء
تجمّع من نهاوش ثمّ يلقي	نهابر إنّ ذاك هو الشقاء
فويلٌ ثمّ ويلٌ ثمّ ويلٌ	له في الحشر إذ عظم البلاء

[تحذير النفس بآيات القرآن]

يا نفس:

احذري: ﴿يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً﴾[٣]، ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاء مَوْراً * وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْراً﴾[٤]، ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً﴾[٥]، ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْراً مَّحْجُوراً﴾[٦].

يا نفس:

احذري: ﴿يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباً * السَّمَاء مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً﴾[٧]،

---

١. إشارة إلى ما ورد في القرآن الكريم، الآية: ٦٨ من سورة مريم، والآية: ٧ من سورة المطفّفين، والآية: ١٦ من سورة إبراهيم.

٢. سورة الحجّ، الآيات: ١٩ ـ ٢١.

٣. سورة الإنسان، الآية: ١٠.

٤. سورة الطور، الآيتان: ٩ ـ ١٠.

٥. سورة الحديد، الآية: ١٣.

٦. سورة الفرقان، الآية: ٢٢.

٧. سورة المزّمّل، الآيتان: ١٧ ـ ١٨.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيباً مَّهِيلاً﴾[١]، ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُوْلَـئِكَ يَقْرَؤُونَ كِتَابَهُمْ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾[٢]، ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاء بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلائِكَةُ تَنزِيلاً﴾[٣]، ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً﴾[٤]، ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولا﴾[٥].

يا نفس:

احذري: ﴿يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾[٦]، ﴿يَوْمُ الْفَصْلِ﴾[٧]، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾[٨]، ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ﴾[٩]، ﴿يَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ﴾[١٠]، ﴿يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خِلاَلٌ﴾[١١]، ﴿يَوْمَ الآزِفَةِ﴾[١٢]، ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ * قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾[١٣].

يا نفس:

احذري: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاء اللهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾[١٤]، ﴿يَوْمُ لا يَنطِقُونَ *

---

١. سورة المزّمّل، الآية:١٤.
٢. سورة الإسراء، الآية: ٧١.
٣. سورة الفرقان، الآية: ٢٥.
٤. سورة الفرقان، الآية: ٢٧.
٥. سورة الأحزاب، الآية: ٦٦.
٦. سورة البقرة، الآية: ٤٨.
٧. سورة الصافّات، الآية: ٢١، وسورة الدخان، الآية: ٤٠، وسورة المرسلات، الآية: ٣٨، وسورة النبأ، الآية: ١٧.
٨ سورة المرسلات، الآية: ١٤.
٩. سورة الأنعام، الآية: ١٥٨.
١٠. سورة الكهف، الآية: ٤٧.
١١. سورة إبراهيم، الآية: ٣١.
١٢. سورة غافر، الآية: ١٨.
١٣. سورة النازعات، الآيات: ٦ ـ ٨.
١٤. سورة فصّلت، الآية: ١٩.

وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾[١]، ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ﴾[٢]، ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾[٣]، ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعّاً * هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾[٤]، ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعاً كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ * خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾[٥]، ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾[٦].

يا نفس:

احذري: ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾[٧]، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾[٨]، ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٩]، ﴿يَوْمَ التَّنَادِ * يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾[١٠]، ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾[١١]، ﴿يَوْمَ الْجَمْعِ لا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾[١٢]، ﴿يَوْمٌ لا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللهِ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾[١٣].

يا نفس:

احذري: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾[١٤]، ﴿يَوْمَ

---

١. سورة المرسلات، الآيتان: ٣٥ ـ ٣٦.
٢. سورة الشعراء، الآية: ٨٨.
٣. سورة الجاثية، الآية: ٢٧.
٤. سورة الطور، الآيتان: ١٣ ـ ١٤.
٥. سورة المعارج، الآيتان: ٤٣ ـ ٤٤.
٦. سورة النحل، الآية: ١١١.
٧. سورة الانفطار، الآية: ١٥.
٨ سورة الانفطار، الآية: ١٧.
٩. سورة المطفّفين، الآية: ٦.
١٠. سورة غافر، الآيتان: ٣٢ ـ ٣٣.
١١. سورة النمل، الآية: ٨٧.
١٢. سورة الشورى، الآية: ٧.
١٣. سورة الشورى، الآية: ٤٧.
١٤. سورة عبس، الآيات: ٣٤ ـ ٣٦.

يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ مَا سَعَى * وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى﴾[١]، ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللهُ وَنَسُوهُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[٢]، ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ﴾[٣].

يا نفس:

احذري: ﴿يَوْمَ التَّلاقِ﴾[٤]، ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾[٥]، ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾[٦]، ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفّاً لا يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرحْمَنُ وَقَالَ صَوَاباً * ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَن شَاء اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآباً﴾[٧]، ﴿يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَاباً﴾[٨].

[وصف النار وظلماتها]

يا نفس:

احذري ناراً شديدٌ كلبها[٩]، عالٍ لجبها[١٠]، ساطع لهبها، متأجّج سعيرها، متغيّظٌ زفيرها[١١]، بعيدٌ خمودها، ذاكٍ[١٢] وقودها، متخوّفٌ وعيدها، قعرها بعيدٌ، وحرّها شديدٌ، وعذابها جديدٌ،

---

١. سورة النازعات، الآيتان: ٣٥ ـ ٣٦.
٢. سورة المجادلة، الآية: ٦.
٣. سورة الحجّ، الآية: ٢.
٤. سورة غافر، الآية: ١٥.
٥. سورة القلم، الآية: ٤٢.
٦. سورة القيامة، الآية: ٣٠.
٧. سورة النبأ، الآيتان: ٣٨ ـ ٣٩.
٨. سورة النبأ، الآية: ٤٠.
٩. المُكالبة: المُشارّة والمخاصمة، يقال: هم يتكالبون على كذا أي: يتواثبون عليه.
١٠. لجبها: صوتها واضطرابها.
١١. التغيّظ: الصوت الذي يهمهم به المغتاظ، والزفير: صوت من الصدر.
١٢. ذاك من الذكاء وهو شدّة وهج النار واشتعالها.

وحليّها أصفاد[١] الحديد، وإذا قيل لها: هل امتلأت؟ وتقول: هل من مزيدٍ[٢].

[التفكّر في طامّة الموت وما بعده]

يا نفس:

أُنظري أوّلاً في ذنوبك الظاهرة قبل حلول الساهرة[٣]، ثمّ اُنظري في الموت وسكرته[٤] والقبر ومسألته، ثمّ اُنظري بعد هذه الثلاث إلى عذاب الأجداث[٥]، ثمّ اُنظري رابعاً في أهوال النداء يوم النشور عند نفخة الصور[٦]، وكيف يساق الخلق من القبور إلى موقف الساهرة حفاةً، وإلى أرض المحشر عراةً[٧]، يسوقهم الله بالنفخة الأُولى وهي الراجفة، ثمّ يتبعها بعد أربعين سنةٍ بالنفخة الثانية وهي الرادفة[٨]!

يا نفس:

ثمّ اُنظري خامساً في جميع الخلائق على صعيدٍ، وأهوال اليوم الشديد، وعدّة تلك الأُمور العظام ـ على ما ورد عن النبيّ صلّى الله عليه وآله ـ خمسون هولاً بخمسين ألف عامٍ[٩]. ثمّ

---

١. أصفاد: أغلال.

٢. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ سورة ق، الآية: ٣٠.

٣. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾ سورة النازعات، الآية: ١٤.

٤. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ سورة ق، الآية: ١٩.

٥. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ سورة يس، الآية: ٥١، وقوله تعالى: ﴿خُشَّعاً أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ سورة القمر، الآية: ٧، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعاً كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ سورة المعارج، الآية: ٤٣.

٦. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ سورة الزمر، الآية: ٦٨، ونحوها.

٧. إشارة إلى ما ورد عن مولانا الباقر عليه السلام قال: «إذا كان يوم القيامة جمع الله الناس في صعيدٍ واحدٍ من الأوّلين والآخرين عراةً حفاةً، فيوقفون على طريق المحشر حتّى يعرقوا عرقاً شديداً، وتشتدّ أنفاسهم، فيمكثون بذلك ما شاء الله ...» حسبما رواه الشيخ في أماليه: ٦٧، المجلس ٣، الحديث ٦، ونحوه غيره.

٨. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْراً * يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ * قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ * أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ * يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ * أَئِذَا كُنَّا عِظَاماً نَّخِرَةً * قَالُوا تِلْكَ إِذاً كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ * فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ * فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾ سورة النازعات، الآيات ٥ ـ ١٤.

٩. لعلّه إشارةٌ إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام من قوله: «إنّ في القيامة لخمسين موقفاً، كلّ موقفٍ ألف سنةٍ ...» حسبما رواه في البحار ٧: ١١١، باب صفة المحشر، الحديث ٤٢.

اُنظري سادساً في المناقشة في الحساب في القليل والكثير، والاستقصاء والمضايقة في النقير والقطمير[١].

يا نفس:

ثمّ اُنظري سابعاً في جهنّم وأهوالها[٢]، وسلاسلها وأغلالها[٣]، وسمومها ونكالها[٤]، وزقّومها ووبالها[٥]، وإلى شررها التي ترمي بها كالجبال[٦]، وإلى عقاربها الفاغرة[٧] أفواهها وهي كالبغال، وإلى حيّاتها الصالفة بأنيابها وهي كالنخل الطوال، وإلى زبانيتها العظام، الذي ما بين منكبي أحدهم مسير عام، كيف وقد زمّت[٨] بسبعين ألف زمام، وردمت[٩] بالغضب والانتقام! معذّبها مقيمٌ، وهيّنها أليمٌ، يأكل بعضها بعضٍ، ويصولُ بعضها على بعضٍ، تذر العظام رميماً، وتسقي أهلها حميماً[١٠]، لا ترحم من استعطفها وتضرّع لديها، ولا يقدر على التخفيف عمّن خشع لها واستسلم إليها.

[زجر النفس عن الكبر]

يا نفس:

إنّ الله يحشر المتكبّرين والمتجبّرين كالذرّ في صورهم وألوانهم، يطؤهم أهل

---

١. النقير: النقرة التي في ظهر النواة، والقطمير: الجلدة الرقيقة على ظهر النواة.

٢. لعلّه إشارةٌ إلى ما ورد في سورة القيامة و سورة المرسلات وسورة الحاقّة وسورة الواقعة و نحوها.

٣. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلاً وَأَغْلَالاً وَسَعِيراً﴾ سورة الإنسان، الآية: ٤.

٤. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَاباً قَرِيباً يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَاباً﴾ سورة النبأ، الآية: ٤٠] وقوله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُ اللهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ [سورة النازعات، الآية: ٢٥].

٥. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ * لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِن زَقُّومٍ * فَمَالِؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ * فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ * فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ * هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [سورة الواقعة، الآيات: ٥١ ـ ٥٦].

٦. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾ سورة المرسلات، الآية: ٣٢.

٧. أي: الفاتحة.

٨ زمّت: شدّت.

٩. ردمت: سدّت.

١٠. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾ سورة الذاريات، الآية: ٤٢ وقوله تعالى: ﴿هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ سورة ص، الآية: ٥٧، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ﴾ سورة يونس، الآية: ٤.

الموقف يوم القيامة لهوانهم[١]. فيا خجل المقصّرين من التوبيخ في محلّ القيامة، ويا حسرة أهل التفريط من زلاّت يوم الطامّة، ويا سوء منقلب الظالمين عند حلول الندامة، ويا حسرة الهالكين إذا عاينوا أهل السلامة، ويا هوان المتكبّرين إذا حرموا من دار الكرامة!

[شهادةِ الجوارح وبروز القبائح]

يا نفس:

يومئذٍ تبرز المخبئات، وتبدو المكتومات، وتظهر الفضائح، وتكثر الجوائح[٢]، وتشهد الجوارح، وتبعثر الضرائحِ، وتعدّد القبائح، وقيّد الجبابرة بخطم الأرغام[٣]، وجثا الظالمون بين يدي حاكم الحكّام، وعرف المجرمون بسيماهم، فأُخذوا بالنواصي والأقدام، وقضي بدار البوار لمن حرم دار السلام[٤].

[وصف الجنان ونعيمها]

يا نفس:

فإذا عرفت في هذا المقام بعض شدائد أهوال يوم القيام، فأُنظري إلى الجنّة: كيف زخرفها الله بالنعيم، وملأها بالإنعام، وشوّق إليها الأتقياء والأخيار من الأنام، وجعلها ثمانية أقسام: جنّة عدن وجنّة نعيم وجنّة الخلد وجنّة المأوى وجنّة الفردوس ودار الجلال ودار الكمال ودار السلام، لبنة من ذهبٍ ولبنة من فضّةٍ، حصاؤها اللؤلؤ والمرجان، وترابها الزعفران، تضع عليها الأقدام[٥].

يا نفس:

---

١. إشارة إلى ما ورد عن مولانا الصادق عليه السلام قال: «إنّ المتكبّرين يُجعلون في صُوَر الذرّ: يتوطّأهُمُ الناسُ حتّى يفرُغ الله من الحساب» حسبما رواه في الكافي ٢: ٣١١، باب الكبر، الحديث ١١.

٢. الجوائح: الشدائد.

٣. الخُطُم جمع خِطام، وهو الحبل الذي يُقاد به البعير، والرغام: الثرى والتراب.

٤. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ سورة الرحمن، الآية: ٤١، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللهِ كُفْراً وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ سورة إبراهيم، الآية: ٢٨.

٥. لعلّه إشارة إلى ما ورد عن بلال في وصف رسول الله صلى الله عليه وآله للجنّة، حسبما رواه في البحار ٨: ١١٦ ـ ١١٧، باب الجنّة ونعيمها، الحديث ١، ونحوه غيره، فراجع الباب المذكور.

وفيها ـ كما ذكر ذو الجلال في سورة القتال[١] ـ: ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾[٢]، مطهّرةٌ من الدنس والآثام، أهلها في أكناف القصور كأمثال البدور، بيض الوجوه، سود العيون، نواعم الأجسام. حسنهم على قدر أعمالهم: فمنهم كالكوكب الدرّيّ الغاير في الأفق، ومنهم كالبدر في ليالي التمام، تشرق وجوههم، وتضيء أعمالهم، ويذهب عنهم الهمّ ويذهب عنهم السقام، في نعيمٍ وسرورٍ وجنّةٍ وحريرٍ وغبطةٍ وحبورٍ ومساكن وقصورٍ وقبابٍ وخيامٍ[٣].

يا نفس:

وعلى كلّ واحدٍ منهم سبعون حلّةٍ من سندسٍ وإستبرقٍ منسجلة[٤] الذيول مطرّزة الأعلام، وكلّما غرّدت فوق الغصون حمامات الأوكار وجرت تحت القصور أمواه الأنهار، هبّت النسيم، نفحت الأشجار، تلألأت الزهور، تفتّحت الأكمام، وكلّما تعبت مصاريع القصور تغنّت الولدان والحور، تراقصت البلابل، وتجاوبت الطيور بأحسن نغام وأمتن نظامٍ. يأكلون ويشربون ويتنعّمون، لا يفنى شرخ شبابهم[٥]، ولا يبلى صافي ثيابهم، ولا يترنّق[٦] صافي شرابهم على طول الدهور وممّر الأيّام[٧].

[تنبيه الغافلين]

يا نفس:

فواعجباً لطالب هذا الخير العميم والرزق الجمّ العظيم والمغفرة والأجر الكريم،

---

١. أي: سورة محمّد ﷺ.

٢. سورة محمّد ﷺ، الآية: ١٥.

٣. إشارة إلى الآية: ٢٣ من سورة الحجّ، والآية: ١٠ من سورة الفرقان، والآية: ٨٩ من سورة الواقعة، والآية: ٧٢ من سورة التوبة ونحوها.

٤. أي: مسترخية.

٥. شرخ شبابهم: أوّله.

٦. أي: لا يكدر.

٧. تلميح إلى ما ورد في سورة الرحمن والواقعة من نعيم الجنّة و ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في وصف الجنّة، حسبما أورده الشريف الرضي في نهج البلاغة، ذيل الخطبة ٨٥، ونحوه غيرها.

كيف يطيب له رقادٌ ويلذّ له منامٌ؟! أو كيف ينام قرير العين مَنْ طالبه لا ينام[١]؟! أو كيف يطمع بالبقاء من ينقص عمره على ممرّ الساعات والأيّام والشهور والأعوام؟ صدق عليه السلام: «الناس نيامٌ»[٢].

شعر:

يا أيّها الرقد كم ذا المنام	علامَ ذا الغفلة جهلا علام
علامَ تفني العمر لا ترعوي	سكرت يا هذا بغير المدام
في طمع الدنيا ولذّاتها	وجمع ما تتركه من حطام
حلّ بك الشيب أما تستحي	ما آن إقلاعك عن ذي المرام
تماري الشبّان في جهلهم	ذو شيبة يفعل فعل الغلام
كأنّ بالصحّة قد حوّلت	وأُلبس المسكين ثوب السقام
فارقت القوّة أركانها	عن كلّ ما يعهد حتّى الطعام
طاف به الأهل ولا حيلة	حتّى سقاه الموت كأس الحمام
فيا هنيئا لامرئٍ قدّمت	يداه خيراً بعده لا يضام
ويا حيا المذنب من زلّةٍ	موبقةٍ ترديه بين الأنام

[لزوم التأهّب قبل حسرة الفوت]

يا نفس:

فدراكِ دراكِ قبل حلول الهلاك، قبل هجوم ما لا يدفع، وذهاب ما لا يرجع، والاعتذار بما لا يسمع، وشخوص الأبصار في المحاجر[٣]، وبلوغ القلوب الحناجر[٤].

---

١. إشارة إلى ما ورد في وصيّة لقمان الحكيم لابنه من قوله:«كيف ينام ابن آدم والموت يطلبه؟! وكيف يغفَلُ عنه؟!» حسبما أورده الشيخ المفيد في الاختصاص: ٣٣٨، فافهم واغتنم.

٢. إليك نصّ الحديث النبويّ: «الناس نيامٌ، فإذا ماتوا انتبهوا» كما أورده ابن أبي جمهور في عوالي اللآلي ٤: ٧٣، في الأحاديث المتعلّقة بالعلم وأهله وحامليه، الحديث ٤٨.

٣. المحاجر جمع محجر، وهو ما دار بالعينِ من جميع الجوانب وبدا من البرقع.

٤. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ سورة غافر، الآية: ١٨.

وانظري إلى منظر تنصدع منه المرائر، وتعلن فيه السرائر، وتكشف فيه الصغائر والكبائر[١]، فلا مشمّر[٢] يومئذٍ إلاّ ظافرٌ، ولا مقصّر إلاّ خاسرٌ.

يا نفس:

ما أقبح التقصير بعد التحذير! وما أحسن التشمير بعد التبذير! وما أعظم المصيبة على من فقد قلباً واعياً! وما أسرع العقوبة على من عدم طرفاً باكياً[٣]!

شعر:

كنت في سفرة الغواية والجهل	دوامـــاً فـحـان منـك قـدوم
بـعـد خـمـس وأربـعـين لـقـد ما	طـلـت لـولا أنّ الـغـريـم كريم
فعسى أن رجعت عن كلّ حوبٍ	يمح بهذا الحديث ذاك القديم

يا نفس:

إنّك عن قريبٍ في البرزخ منبوذةٌ، وبكبائر ذنوبك وصغائرها مأخوذةٌ، فكيف بك إذا بلغ كتابك المسطور الأجل، وحرّر حسابك المحصور وحصل، وقضي قضاؤك المقدور ونزل، وخاب رجاؤك المغرور وبطل[٤]؟

شعر:

فـيـا هـنـيـئـاً لـخـيّـر كـسبت	يــداه خيراً وجـدّ فـي أجـره
وقـــد تـــردّى بـحـكـمـةٍ وتـقـى	سـيّـان فـي عـسره وفـي يسره
ودأبـــه الـصـوم والـصـلاة معاً	في يومه والهجود في سحره
ويـــا تـبـابـاً لـكــادح كـدحـت	يـداه شـرّاً وقـد جـدّ في ضرره
مـشـتـمـل بـالـضـلال كـم بـدع	أبـدع فـي بـدوّه وفـي حضره
مـبـاغـي الـبـغـي يـبـتـغـي أثـراً	وخـــدّه لا يــزال فــي صـغـره

١. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ* فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ * وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ* وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ سورة الطارق، الآيات: ٩ ـ ١٢، وقوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾ سورة الكهف، الآية: ٤٩، ونحوها.

٢. أي: متهيّأ.

٣. لعلّه تلميحٌ إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في المبادرة إلى صالح الأعمال، حسبما أورده في نهج البلاغة، الخطبة ٦٤.

٤. لعلّه تلميحٌ إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في المبادرة إلى صالح الأعمال، حسبما أورده في نهج البلاغة، الخطبة ٦٤.

فذاك قصراه في قيامته بقصره مرتق على سرره
وإنّ هذا بيوم مبعثه مسعّر الجسم ظلّ في سعره

[الاعتبار بأهل الدنيا]

يا نفس:

ألا تنظرين إلى الذين عمّروا الدنيا زماناً، وجعلوها أوطاناً، واتّخذوا منها أموالاً وأعواناً، فأُخرجوا منها وحداناً، وزوّدوا من متاعها أكفاناً، ولم يجدوا من خوفها أماناً!

شعر:

جرت الرياح على محلّ ديارهم فكأنّهم كانوا على ميعاد

أقاموا في بطون الأرض بعد ظهورها، وسكنوا في قبورها بعد قصورها، فهم في مضاجع الهلكات راقدون، وفي بلاقع[١] الفلوات خامدون[٢].

[حال الموتى بعد الدفن]

يا نفس:

فلو كشفت عنهم أغطية الأجداث[٣] بعد يومين أو ثلاث، لرأيت الأحداق[٤] على الخدود سائلةً، والديدان في الأجساد جائلةً، والألوان من ضيق اللحود حائلةً، ينكرها من كان لها عارفاً، وينفر عنها من لم يزل بها آلفاً. قد رقدوا في مقابرهم فيها داخرون، وخمدوا في مصائر يفضي إليها الأوّلون والآخرون! فسمعاً يا بني الأموات لداعي آبائكم سمعاً، وقطعاً لبقاء رجائكم في الدنيا قطعاً، أُسوةً بمَن كان مِن قبلكم مِن القرون مَن هو أشدّ منكم قوّةً وأكثر جمعاً[٥]!

---

١. البلاقع جمع بلقع أي: الأرض القفر التي لا شيء بها.

٢. لعلّه تلميحٌ إلى بعض ما ورد في مناجاة مولانا أمير المؤمنينعليه السلام، حسبما أورده المصنّف في البلد الأمين: ٣١٤، فلاحظ.

٣. الأجداث: القبور.

٤. حدقة العين: سوادها.

٥. لعلّه تلميحٌ إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في كلام له قاله بعد تلاوته قوله تعالى: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ سورة التكاثر، الآيتان: ١ ـ ٢، حسبما أورده في نهج البلاغة، الخطبة ٢٢١، فراجع وتدبّر.

[لزوم اليقظة بعد الغفلة]

يا نفس:

إنّ قوارع الأيّام خاطبةٌ، فهل أُذن لعظاتها واعيةٌ؟ وإنّ فجائع الزبايا صائتةٌ، فهل نفس إلى التنزّه عنها داعيةٌ؟ وإنّ طوامع الآمال كاذبةٌ، فهل قدمٌ إلى التجنّب عنها ساعيةٌ؟ فكيف تغفلين عن الاستقامة ولا بدّ من إدراكك؟! وكيف تغترّين بالسلامة ولا ريب في هلاكك؟! فيا عجباه لمن تخرب الأيّام عمره وهو يعمر داراً! ويا رحمتاه لمن يوقن بحلول الموت به وهو يلذّ قراراً[1]!

شعر:

ومـــا الـــدنـــيـــا بـــبـــاقـــيـــةٍ لـــحـــيٍّ	ولا حـــيّ عـــلـــى الـــدنـــيـــا بـــبـــاق

يا نفس:

استيقظي من غفلتك وانتبهي من رقدتك قبل أن يقال: فلان عليلٌ، ومدنفٌ[2] بخيلٌ، فهل على الدواء من دليلٍ؟ أم هل إلى طبيب من سبيلٍ؟ ثمّ عرق جبينك، وتتابع حنينك، وأطبقت جفونك، وصدقت ظنونك، وتلجلج لسانك، وبكى إخوانك. ثمّ حلّ بك أمر القضاء، ونزعت نفسك من الأعضاء، ثمّ غسّلت وكفّنت، ثمّ بعد ذلك دفنت، وبقيت مرتهنةً بأعمالك، وانصرف ورّاثك إلى مالك، وانصرفت: إمّا إلى رضوان أو إلى مالك[3].

[لزوم الاهتمام بالمحاسبة والرعاية]

يا نفس:

فهلمّي إلى محاسبة نفسك قبل مواثبة رمسك، وتدارك يومك وأمسك قبل شهادة حواسّك وفضّ طرسك[4]، وكوني من الله على وجلٍ، ولا تغترّي بالأمل ونسيان الأجل، وأن تخرجي بغير زادٍ، وتقدمي على غير مهادٍ، فتعظم ندامتك يوم قيامتك، وتكثر

---

١. لعلّه إشارةٌ إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الفصل٦، الموت وحقيقته وذكره وآثاره والتأهّب له، فلاحظ.

٢. المدنف: المثقل في المرض.

٣. إشارة إلى ما ورد عن مولانا زين العابدين عليه السلام في التزهيد في الدنيا والترغيب في أعمال الآخرة، حسبما رواه الشيخ الصدوق في الأمالي: ٥٠٣، المجلس ٧٦، الحديث ١، فراجع.

٤. أي: كسر صحيفتك.

حسرتك يوم كرّتك، وتغصّي في ذلك المقام المهول بريقك، وتصبحي شماتة عدوّك ورحمة صديقك[١].

[ضرورة الاعتبار والاستظهار]

يا نفس:

قد خفقت فوق رأسك أجنحة الموت، ورمقتك عن قريب أعين الفوت، فاهملي عبراتك إذا ذكرت عثراتك، وكيف يفرح بصحبة الدنيا صدرك؟ وكيف يلتئم في غمراتها أمرك، وقد دعاك باقتراب الأجل قبرك؟ فهلاّ تنظرين إلى الذين مضوا نظرةً: أما لك بهم عبرةٌ[٢]؟ كيف أصبح جمعهم بوراً، وأملهم غروراً، وخلّفوا فرادى في أضيق المضاجع، وصرعتهم المنايا في أعجب المصارع[٣]، وذهبت الشهوات، وبقيت التبعات[٤]؟!

---

١. تلميح إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في كتاب له إلى معاوية قال: «فنفسَك نفسَك قبل حلول رمسك؛ فإنّك إلى الله راجعٌ، وإلى حشره مهطعٌ، وسيبهظك كربه، ويحلّ بك غمّه، في يوم لا يُغني النادم ندمُه، ولا يُقبل من المعتذر عذرُه، ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئاً وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [سورة الدخان، الآية: ٤١]» حسبما أورده في البحار ٣٣: ٨٢، الباب ١٦، الحديث ٣٩٨. ولعلّه إشارةٌ أيضاً إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في التحذير من الدنيا من قوله: «احذروا هذه الدنيا الخدّاعة الغدّارة. وَالنَّاسُ لَهَا طَالِبَان: طَالِبٌ ظَفِرَ بِهَا فَاغْتَرَّ فِيهَا وَنَسِيَ التَّزَوُّدَ مِنْهَا لِلظَّعْنِ، فَقَلَّ فِيهَا لَبْثُهُ حَتَّى خَلَتْ مِنْهَا يَدُهُ، وَزَلَّتْ عَنْهَا قَدَمُهُ، وَجَاءَتْهُ أَسَرَّ مَا كَانَ بِهَا مَنِيَّتُهُ، فَعَظُمَتْ نَدَامَتُهُ وَكَثُرَتْ حَسْرَتُهُ وَجَلَّتْ مُصِيبَتُهُ، فَاجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ سَكَرَاتُ الْمَوْتِ، فَغَيْرُ مَوْصُوفٍ مَا نَزَلَ بِهِ. وَآخَرُ اخْتَلَجَ عَنْهَا قَبْلَ أَنْ يَظْفَرَ بِحَاجَتِهِ، فَفَارَقَهَا بِغُرَّتِهِ وَأَسَفِهِ، وَلَمْ يُدْرِكْ مَا طَلَبَ مِنْهَا، وَلَمْ يَظْفَرْ بِمَا رَجَا فِيهَا، فَارْتَحَلا جَمِيعاً مِنَ الدُّنْيَا بِغَيْرِ زَادٍ وَقَدِمَا عَلَى غَيْرِ مِهَادٍ» حسبما رواه في البحار ٧٠: ١٠٨، الباب ١١٢، الحديث ١١٠، نقلاً عن عيون الحكم والمواعظ للواسطي.

٢. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في مناجاته من قوله: «وَلا أَدْرِي إِلَى مَا يَكُونُ مَصِيرِي، وَعَلَى مَا ذَا يَهْجُمُ عِنْدَ الْبَلاغِ مَسِيرِي، وَأَرَى نَفْسِي تُخَاتِلُنِي وَأَيَّامِي تُخَادِعُنِي، وَقَدْ خَفَقَتْ فَوْقَ رَأْسِي أَجْنِحَةُ الْمَوْتِ، ورَمَقَتْنِي مِنْ قَرِيبٍ أَعْيُنُ الْفَوْتِ. فَمَا عُذْرِي وَقَدْ حَشَا مَسَامِعِي رَافِعُ الصَّوْتِ؟» حسبما أورده المصنّف في البلد الأمين: ٣١٨، ونحوه غيره.

٣. إشارة إلى ما ورد عن مولانا الكاظم عليه السلام في الزهد في الدنيا من قوله: «إنه قد كان قبلكم قومٌ: جمعوا كثيراً، وبنوا مشيداً، وأمّلوا بعيداً [أصبح] جمعهم بوراً ومساكنهم قبوراً. يا ابن آدم، إنّك مرتهنٌ بعملك، متعرّضٌ على ربّك، فجد بما في يديك، وطِأ الأرض بما في قدمك؛ فإنّها عن قليل مسكنك، لم تزل في هدم عمرك منذ سقطت على الأرض من بطن أمّك» حسبما رواه الديلمي في إرشاد القلوب ١: ١٨، الباب ٢.

٤. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٣٥١٧، ٣٨٨٧، ٦٠١٤، ٦٩٦٧.

شعر:

تفنى اللذاذة ممّن نال صفوتها   من الحرام ويبقى الإثم والعار
تبقى عواقب سوء في معقّبها   لا خير في لذّةٍ من بعدها النار

يا نفس:

حتّامَ إلى الحياة سكونك، وإلى الدنيا وعمارتها ركونك؟ أما اعتبرت بمن مضى من أسلافك، ومن وارته الأرض من أُلاّفك، ومن فجعت به من إخوانك، ونقل إلى دار البلى من أقربائك[1]؟

شعر:

فهم في بطون الأرض بعد ظهورها   محاسنهم فيها بوال دواثر
خلت دورهم منهم وأقوت عراصهم   وساقتهم نحو المنايا المقادر
وخُلّوا عن الدنيا وما جمعوا لها   وضمّتهم تحت التراب الحفائر
وحلّوا بدارٍ لا تزاور بينهم   وأنّى لسكان القبور التزاور

يا نفس:

فكيف أمنت هذه الحالة، وأنت صائرةٌ إليها لا محالة؟! أم كيف تتهنّئين بحياتك، وهي مطيّتك إلى مماتك؟! أم كيف تسيغي طعامك، وأنت تنظري حمامك؟!

وهل يحرص على الدنيا لبيبٌ، أو يسرّ بلذّتها أريبٌ[2]، وهو على ثقةٍ في فنائها، وغير طامعٍ في بقائها؟! أم كيف تنام عين مَن يخشى البيات[3]، أو تسكن نفس مَن يتوقّع الممات[4]؟!

ومَن يصحب الدنيا يكن مثل مستقٍ   مِنَ الماء مِن بئرٍ عميقٍ بمنخل
فطلّقها يمنُ المفازة دائماً   وتنجو بعون الله من كلّ موجل

---

١. إشارة إلى ما ورد عن مولانا زين العابدين عليه السلام في ندبة النفس برواية الزهري، حسبما أورده الميرزا النوري في مستدركه ١١: ٢٥٤، باب استحباب ذمّ النفس وتأديبها ومَقتها، الحديث ١٢٩١٥ مع أدنى تفاوت.

٢. الأريب: العاقل.

٣. البيات: الأخذ بالمعاصي.

٤. إشارة إلى ما ورد عن مولانا زين العابدين عليه السلام في ندبته برواية الزهري، حسبما رواه المصنّف في البلد الأمين: ٣٢١، فراجع وتبصّر.

يا نفس:

ضعي فخرك، واحططي كبرك، واذكري قبرك، ولا تقولي: غرّتني الدنيا وقد أرتك مضاجع آبائك من الثرى، ومصارع اُمّهاتك من البلى. كم مرّضت بكفّيك، وكم عالجت بيديك، تبتغي لهم الشفاء، وتستوصفي لهم الأطبّاء، مُثّلت لك بهم الدنيا مضجعك، وبمصرعهم مصرعك[١]!

[الاتّعاظ بطامّة القبر]

يا نفس:

إنّ الجنازة عبرةٌ للبصير، وفيها تنبيهٌ وتذكيرٌ، وأهل الغفلة لا تزيدهم مشاهدتها إلاّ قسوةً، ولا توليهم مباشرتها إلاّ صبوةً، ومنهم من يضمر التوبة وترك الحوبة، فيغشى من الجزع عليه، وقد خضبت الدموع خدّيه[٢].

شعر:

عجبت لمن يبكي على فقد غيره ... دموعاً ولا يبكي على فقد نفسه
ولو كان له عقلٌ لبكى على نفسه ... وما فرّط في يومه وأمسه

شعر:

ويبكي على الموتى ويترك نفسه ... ويزعم أن قد قلّ عنهم عزاؤه
فلو كان ذا رأيٍ وعقلٍ وفطنةٍ ... لكان عليه لا عليهم بكاؤه

يا نفس:

ثمّ بعد أن يسيرَ تنسي ذلك الأمر الخطير، فتُحيي شهوات السيّئات، وتميتي قربات

---

١. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام من قوله لرجل سمعه يذمّ الدنيا بلا معرفة: «فيا أيّها الذامّ للدنيا، المغترّ بغرورها، متى استذمّت إليك، أم متى غرّتك؟ أبمضاجع آبائك من البلى، أم بمصارع اُمّهاتك تحت الثرى؟ كم مرّضت بيديك، وعالجت بكفّيك، تلتمس لهم الشفاء، وتستوصف لهم الأطباء، لم تنفعهم بشفاعتك، ولم تسعفهم في طلبتك. مثّلت لك ـ ويحك ـ الدنيا بمصرعهم مصرعك، وبمضجعهم مضجعك، حين لا يغني بكاؤك، ولا ينفعك أحبّاؤك» حسبما رواه الشيخ في أماليه: ٥٩٤، المجلس ٢٦، الحديث ٥، فافهم واغتنم.

٢. إشارة إلى ما ورد عن مولانا زين العابدين عليه السلام في ندبته برواية الزهري، حسبما رواه المصنّف في البلد الأمين: ٣٢٢، فراجع.

الحسنات. ولقد أحسن ورّام[1] (قدس الله سره) في هذه الأبيات:

بيت:

مـذ رأيـنـا الـقـبـور تُـبـنـى فتبنا قـدر مـا غـيّـب الـدفـن وغبنا

كـم دفـنّـا أخـاً عـزيـزاً وابـنـا وشـرجـنـا عـلـيه طـيـناً ولـبـنـا

لـو رجعنـا عـمّـا زُجـرنـا أُجـرنـا وتـركـنـا مـا اغـتـصـبنـا أصبنا

وقـبـيـح عـلـي ذكـر الـغـوانـي بعد ما قد مضى الشباب وشبنا

يا نفس:

من أكثر من ذكر قبره وعمل له، وَجَده روضةً من رياض النعيم، ومن غفل ذلك، وجده حفرةً من حفر الجحيم[2]. وفي الحديث أنّ: «أزهد الناس من لم ينس القبر والبلى، وترك فضل زينة الدنيا، وآثر ما يبقى على ما يفنى، ولم يعد من أيّامه غداً»[3].

يا نفس:

تعجب الأرض لرجلٍ يمهّد مضجعه للمنام، ولا يمهّده بالعمل الصالح لطول يوم القيام[4].

شعر:

ستندم عند المـوت كـلّ نـدامـةٍ إذا ضمّ أعضاك الثرى المتضائق

وصـرت طريحاً فـي ضريحك مفرداً

ويـهـجـرك الـجـار الـقـريـب الملاصق

---

١. هو الشيخ الأمير الزاهد أبو الحسن ورّام بن أبي فراس، فاضلٌ جليل القدر، من أولاد مالك الأشتر، وجدّ السيّد ابن طاووس لأمّه، له كتاب تنبيه الخواطر ونزهة النواظر، المشهور بمجموعة ورّام، جمع فيه الحكم و المواعظ، وتوفّي سنة ٦٠٥ هـ.

٢. إشارة إلى ما نسبه الشيخ ورّام في مجموعته: ٢٨٥ إلى بعضهم.

٣. اُنظر أمالي الشيخ الطوسي: ٥٣١، المجلس ١٩، الحديث ١، في وصيّة رسول الله ﷺ لأبي ذرّ، مع أنّه ورد في ذيله: «وعدّ نفسه في الموتى». ونحوه ما في مكارم الأخلاق: ٤٦٣ ومستدرك الوسائل ١٢: ٤٢، باب استحباب الزهد في الدنيا وحدّه، الحديث ١٣٤٦٤، وبحار الأنوار ٧٤: ٨٢، الباب ٤، الحديث ٣، ونحوه غيرها.

٤. إشارة إلى ما ورد عن رسول الله ﷺ في وصاياه وحكمه من قوله: «واعلموا: أنّ القبر روضةٌ من رياض الجنّة أو حفرةٌ من حفر النيران، فمهّدوه بالعمل الصالح. فمثل أحدكم يعمل الخير كمثل الرجل ينفذ كلامه يمهّد له. قال الله تعالى: ﴿فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ [سورة الروم، الآية: ٤٤]»، حسبما رواه في إرشاد القلوب ١: ٧٥، الباب ١٨، ونحوه غيره، فراجع.

فــذنــبــك إن أبــغــضــتــه فــمــعــانــق
ومـــالـــك إن أحــبــبــتــه فــمــفــارق
وإنّـــــك مـــأخـــوذٌ بــمــا قـــد جــنــيــتــه
وإنّـــــك مــطــلــوبٌ بــمــا أنـــت ســـارق

[نداء القبر]

يا نفس:

ما من أحدٍ من العباد إلاّ ويناديه قبره: أنا بيت الوحدة والانفراد، فإن كنتَ ذا ثوابٍ كنتُ عليك اليوم رحمةً، وإن كنت ذا عقابٍ فأنا عليك اليوم نقمةٌ. أنا الذي من دخلني طائعاً خرج مسروراً، ومن دخلني عاصياً خرج مثبوراً[١]. ثمّ يناديه الموتى من جيرانه: أيّها الوارد علينا بعد موت إخوانه، أما كان لك فينا عبرةٌ؟ أما كان لك في تقدّمنا إيّاك فكرةٌ[٢]؟

[في السعادة والشقاء]

يا نفس:

فالسعيد من اعتبر بأمسه واستظهر[٣] لنفسه، والشقيّ من جمع لغيره وبخل على نفسه بميره[٤][٥].

---

١. مثبوراً أي: ملعوناً هالكاً.

٢. إشارة إلى ما ورد عن رسول الله ﷺ من قوله: «إنّ القبر يقول للميّت إذا وضع فيه: ويحك يا ابن آدم! ما غرّك بي؟ ألم تعلم أنا بيت الوحدة وبيت الدود وبيت الآكلة؟ ما كان غرّك بي إذ كنت فوقي فداداً» ـ والفداد: الذي يقدّم رجلاً ويؤخّر أخرى ـ حسبما رواه قطب الدين الراوندي في الدعوات: ٢٥٨، الحديث ٧٣٤. كما أورد ورّام في مجموعته ١: ٢٨٨ عن رسول الله ﷺ قوله: «يقول القبر للميّت حين يوضع في قبره: ويحك يا ابن آدم! ما غرّك بي؟ ألم تعلم أنّي بيت الفتنة وبيت الظلمة وبيت الوحدة وبيت الدود؟ ما غرّك بي إذ كنت تمرّ بي مراراً؟ فإن كان صالحاً أجاب عنه مجيبٌ للقبر فيقول: أرأيت إن كان ممّن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؟ فيقول القبر: إنّي إذن أتحوّل عليه خضراء، ويعود جسده نوراً، وتصعد روحه إلى الله».

٣. أي: احتاط.

٤. الميرة: الطعام يمتاره الإنسان، أي: يجلبه من بلدٍ إلى بلدٍ.

٥. إشارة إلى ما نسبه ورّام في مجموعته ٢: ٣٢ إلى بعضهم مع أدنى تفاوت، فلاحظ.

شعر:

أيــا جــامـع الــمــال مــن جلّـه ... يـبـيــت ويـصـبـح فــي ظلّـه

سـيـؤخـذ مـنـك غـــدا كـلّـه ... وتـســأل مــن بـعـد عــن كلّه

وارثُك يأكله هنيئاً طيّباً مريئاً، يأكله حلالا، وهو كان عليك وبالاً، خضت في جمعه لجج البحار ومفاوز[1] القفار، ثمّ لم تؤدّي منه الزكاة، ولم تنفقيه في القربات، فكم من باطلٍ جمعتيه، ومن حقٍّ منعتيه! وإنّ من أعظم الحسرات وأكبر البليّات مالٌ لا ينتفع به صاحبه في حياته، وضرّه بعد وفاته. قد جمع فأوعى، وشدّ فأدلى، يرى ثواب ماله في ميزان سواه، ووزره يحمله على قفاه، فيا لها من حسرةٍ لا تقال، ورحمةٍ لا تنال[2]!

شعر:

يــلــجّ ابــن آدم فــي رزقــه ... كـأنّ رحـى الـموت لا تطحنه

فـكـم مــن حـريـصٍ عـلـى مـالـه ... لأعــدائــه عــدّ ولــه يـخـزنـه

فمن يزرع خيراً يحصد السلامة، ومن يزرع شرّاً يحصد الندامة.

شعر:

وإذا افتقرت إلـى الذخائر لم تجد ... ذخــراً يـكـون كـصـالـح الأعـمـال

[في النعيم والجحيم]

يا نفس:

ما شرٌّ بشرٍّ بعده النعيم، وما خيرٌ بخيرٍ بعده الجحيم، فكلّ نعيمٍ دون الجنّة حقيرٌ،

---

١. مفاوز أي: مهالك.

٢. إشارة إلى ما ورد عن الحسن البصري من قوله لرجل عاده في مرضه الذي مات فيه: أيّها الوارث، كل هنيئاً؛ فقد أتاك هذا المال حلالاً، فلا يكن عليك وبالاً. أتاك ممّن كان له جموعاً منوعاً، يركب فيه لجج البحار ومفاوز القفار، من باطلٍ جمعه، ومن حقٍّ منعه، لم ينتفع به في حياته، وضرّه بعد وفاته. جمعه فأوعاه، وشدّه فأوكاه إلى يوم القيامة، يوم ذي حسراتٍ. وإن أعظم الحسرات أن ترى مالك في ميزان غيرك: بخلت بمال أوتيته من رزق الله أن تنفقه في طاعة الله، فخزنته لغيرك، فأنفقه في مرضاة ربّه. يا لها حسرةً لا تقال، ورحمةً لا تنال! إنّا لله وإنّا إليه راجعون. حسبما أورده ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ١٩: ١١، ذيل الحكمة ١٨٨ ـ عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام ـ التي يقول فيها: «يا ابن آدم، ما كسبت من فوق قوتك فأنت فيه خازنٌ لغيرك» صدق ولي الله.

وكلّ بلاءٍ دون النار يسيرٌ[١]. واعلمي: أنّ الغنى قلّة تمنّيك والرضا بما يكفيك[٢]، ومن أطال الأمل أساء العمل[٣]، ومن أكثر الرقاد عدم المراد[٤]، وتخليص النيّة من الفساد أشدّ على العاملين من طول الاجتهاد[٥].

[لزوم الاستظهار]

يا نفس:

ومن العجب أنّك تخافين اللصّ على مالك، فتستظهرين في حفظ ذلك بإغلاق الباب، وإقامة الحجاب، ورفع الحيطان، وترصيص البنيان، ثمّ تنسين الموت الذي يدرك بلا طلبٍ، ويعلق بلا سببٍ، لا يمنعه مانعٌ، ولا يدفعه دافعٌ! فانُظري إلى الموت: هل فاتته نفسٌ في مطمح النسر أو مسبح النون[٦]؟!

[أسرار الكنز ولطائفه]

يا نفس:

اُنظري إلى محاسن ما قيل وذكر في الكنز[٧] المذكور في التنزيل: «عجباً لمن أيقن

---

١. إشارة إلى ما وردعن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام من قوله: «مَا شَرٌّ بِشَرٍّ بَعْدَهُ الْجَنَّةُ، ومَا خَيْرٌ بِخَيْرٍ بَعْدَهُ النَّارُ، وَكُلُّ نَعِيمٍ دُونَ الْجَنَّةِ مَحْقُورٌ، وَكُلُّ بَلاءٍ دُونَ النَّارِ عَافِيَة» حسبما أورده في الكافي ٨: ٢٤، في خطبة الوسيلة.

٢. إشارة إلى ما ورد عن مولانا الهادي عليه السلام، حسبما أورده بلفظه في البحار ٧٥: ٣٦٨، الباب ٢٨، الحديث ٣.

٣. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة، الحكمة ٢٦.

٤. إشارة إلى ما نسبه ورّام في مجموعته ٢: ٣٣ إلى بعضهم.

٥. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الحديثان ١٦١٦، ١٦١٨.

٦. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، باب ذكر الموت وآثاره والتأهّب له، فراجع.

٧. إشارة إلى ما ورد عن مولانا الصادق عليه السلام عن أبيه عن جدّه عن أبيه عن مولانا أمير المؤمنين عليهم السلام قال: «قلت: يا رسول الله، أخبرني عن قول الله عز وجلّ: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا﴾ [سورة الكهف، الآية: ٨٢] ما ذلك الكنز الذي أقام الخضر الجدار عليه؟ فقال: «يا علي، علمٌ مدفونٌ في لوحٍ من ذهبٍ مكتوبٌ عليه: بسم الله الرحمن الرحيم الله الذي لا إله إلاّ أنا الواحد القهّار لا شريك لي، محمّدٌ رسول الله عبدي أختم به رسلي. عجباً لمن أيقن بالنار ثمّ هو يضحك! عجباً لمن أيقن بالموت ثمّ هو يفرح! وعجباً لمن رأى الدنيا وتقلّبها بأهلها ثمّ هو يطمئنّ إليها! وعجباً لمن أيقن بالقدر ثمّ هو يأسف؟ وعجباً لمن أيقن بالحساب غداً ثمّ هو لا يعمل!» حسبما أورده في الأشعثيّات ٢٣٧ ـ ٢٣٨.

بالقبر كيف يحزن أو يغضب؟! وعجباً لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل أو يلعب؟! وعجباً لمن أيقن بالموت كيف يفرح؟! وعجباً لمن أيقن بالرزق كيف يترح[١]؟! وعجباً لمن رأى الدنيا وتقلّبها كيف يطمئنّ إليها ويصحبها؟!».

شعر:

إذا المرء كانت له فكرةٌ	ففي كلّ شيءٍ له عبرة

والتفكّر في خلق الله وأمره عبادةٌ جليلةٌ؛ ففي الحديث: «فكر ساعةٍ خيرٌ من قيام ليلةٍ»[٢]. فمن لم يكن كلامه ذكراً فهو لغوٌ، ومن لم يكن نظره اعتباراً فهو لهوٌ، ومن لم يكن سكوته فكراً فهو سهوٌ[٣]. فتفكّري قبل أن تعزمي، وتدبّري قبل أن تهجمي، وشاوري قبل أن تقدمي[٤].

شعر:

دافع الأيام بالـ	فكرة في يوم الممات
وارض من عيشك بالـ	كسرة والماء الفرات
فهي تكفيك وتغني	عن جميع الشهوات

[الحثّ على طلاق الدنيا]

يا نفس:

إقبال الدنيا كإلمامة[٥] ضيفٍ، أو سحابة صيفٍ، أو زيارة طيفٍ.

---

١. أي: كيف يحزن؟!

٢. لم نعثر على الخبر المذكور بلفظه في المصادر المتوفّرة، وإن نسبه ورّام في مجموعته ١: ٢٥٠ إلى بعضهم. نعم، ورد في غير واحدٍ من كتب الحديث عن رسول الله ﷺ أنّه قال «فكر ساعةٍ خيرٌ من عبادة سنة» حسبما رواه في المستدرك ٢: ١٠٥، الباب ١٧، الحديث ١٥٥١، والبحار ٦: ١٣٣، الباب ٤، الحديث ٣٢، ونحوه غيرهما. كما أورد الآمدي في الغرر، الحديث ٥٤٩ عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قال: «فكر ساعةٍ قصيرةٍ خيرٌ من عبادةٍ طويلة».

٣. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام من قوله: «جُمِعَ الْخَيْرُ كُلُّهُ فِي ثَلاثِ خِصَالٍ: النَّظَرِ وَالسُّكُوتِ وَالْكَلامِ. فَكُلُّ نَظَرٍ لَيْسَ فِيهِ اعْتِبَارٌ فَهُوَ سَهْوٌ، وَكُلُّ كَلامٍ لَيْسَ فِيهِ ذِكْرٌ فَهُوَ لَغْوٌ، وَكُلُّ سُكُوتٍ لَيْسَ فِيهِ فِكْرَةٌ فَهُوَ غَفْلَةٌ. فَطُوبَى لِمَنْ كَانَ نَظَرُهُ عَبَراً وَصَمْتُهُ تَفَكُّراً وَكَلامُهُ ذِكْراً، وَبَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ، وَأَمِنَ النَّاسُ شَرَّهُ» حسبما رواه في الوسائل ١٢: ١٩٧، الباب ١٢٠، الحديث ١٦٠٧٥، ونحوه غيره.

٤. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قال: «تفكّر قبل أن تعزم، وشاور قبل أن تقدم، وتدبّر قبل أن تهجم» حسبما رواه في الغرر، الحديث ٥٤٦.

٥. أي: نزول.

شعر:

ومن يصحب الدنيا يكن مثل قابض
على الماء خانته فروج الأصابع

وفي الخبر: «أنّ عيسى عليه السلام أتته الدنيا في صورة عجوزٍ هتماء[١]، وتبرّجت وتجلّت، وبأحسن الحلّي تحلّت، فقال لها: كيف أزواجك إذا فارقوك: أماتوا عنك أم طلّقوك؟ فقالت: بل قتلتهم بمضرّتي، وأدخلتهم في غرّتي. فقال: تبّاً لأزواجك الباقين: كيف لا يعتبرون بأزواجك الماضين[٢]».

شعر:

إنّما الدنيا فناءٌ	ليس للدنيا ثبوت
إنّما الدنيا كبيتٍ	نسجته العنكبوت
إنّما يكفيك منها	أيّها العاقل قوت
ولعمري عن قريبٍ	كلّ من فيها يموت

يا نفس:

أراك تفرحين كلّ يوم بزيادة مالك، ولا تحزنين لنقصان عمرك وصالح أعمالك، وما ينفع مالٌ يزيد وعمرٌ ينقص، وإثمٌ يدوم ونعيمٌ يخلص[٣].

شعر:

حياتك أنفاسٌ تعدّ فكلّما
مضى نفسٌ منها انقضت به جزء

وما أقبح بك يأتيك اليسير من الدنيا فتفرحين، ويفوتك الكثير من دينك فلا تحزنين!

شعر:

أترضى بأن تفنى الحياة وتنقضي
ودينك منقوصٌ ومالك وافر

---

١. أي: منكسرة الثنايا.

٢. راجع بحار الأنوار ١٤: ٣٢٨، الباب ٢١، الحديث ٥٥ مع تفاوت في اللفظ، ونحوه غيره.

٣. إشارة إلى ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قوله: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ، تُؤْتَى كُلَّ يَوْمٍ برزْقِكَ وَأَنْتَ تَحْزَنُ، وَيَنْقُصُ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ عُمُرِكَ وَأَنْتَ تَفْرَحُ! أَنْتَ فِيمَا يَكْفِيكَ، وَتَطْلُبُ مَا يُطْغِيكَ، لا بِقَلِيلٍ تَقْنَعُ، وَلا مِنْ كَثِيرٍ تَشْبَعُ» حسبما رواه في البحار ٧٤: ١٨٢، الباب ٧، الحديث ١٠، ونحوه غيره.

[الاستعداد للرحيل]

يا نفس:

في الحديث المشهور والخبر المأثور:«إنّ العبد إذا بلغ أربعين من مدّة عمره من السنين، ناداه منادٍ من عند الجليل: قد دنا الرحيل، فأعد الزاد ليوم المعاد»[١] ويؤمر حافظاه بالتحقيق عليه والإحصاء والمناقشة والاستقصاء.

وفي حديثٍ آخر: «إنّ لله ملكاً ينادي كلّ ليلةٍ: يا أبناء الستّين، عدّوا أنفسكم في الموتى ولو بعد حينٍ»[٢]. وقد حكم سيّد البرايا: أنّ ما بين الخمسين إلى الستّين مبدأ اعتراك المنايا[٣].

شعر:

ما عذر من جرّ عارياً رسنه ... ما عذره بعد أربعين سنه

أكلّ ما طالت الحياة به ... أطال عن أخذ حذره وسنه

فعلامَ يا نفس الإهمال عن صالح الأعمال، وقد لهزك القتير[٤] ووافاك النذير؟!

شعر:

وما أقبح التفريط في زمن الصبا ... فكيف به والشيب للرأس شامل

يا نفس:

ومن العجب أنّك تبذلي الهدايا الجزيلة والتحف النبيلة من الملابس والمطاعم ممّا تستحسنه الأكابر والأعاظم من: برد يمني، أو ديباجٍ رومي، أو خزٍّ سوسي، أو حريرٍ صيني، أو جوخ نبطي، أو صوفٍ قبرصي، أو بساطٍ أرمني، أو سكرٍ أهوازي، أو عسلٍ أصفهاني، أو شهدٍ كسرواني، أو مسكٍ تبني، أو عنبٍ شجري، أو عودٍ صندلي؛ لتبتغي

---

١. أورده الديلمي في إرشاد القلوب ١: ١٨٥، الباب ٥١ عن مولانا الباقر عليه السلام مع أدنى تفاوتٍ، ورواه عنه في المستدرك ٢: ١٥٦، الباب ٩٦، الحديث ١٣٧٦٧، ونحوه غيره.

٢. أورده مرفوعاً في إرشاد القلوب ١: ٤١، الباب ٨ مع أدنى تفاوتٍ، ورواه عنه في المستدرك ١٢: ١٥٦، الباب ١٥٦، الحديث ١٣٧٦٦، ونحوه غيره.

٣. إشارة إلى ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «مصارعهم من الخمسين إلى الستّين» في جواب من سأله من أصحابه قائلاً: يا رسول الله، ما أعمار أمّتك؟ حسبما أورده ورّام في مجموعته ١: ٣٥، باب السفر والسير والفراق.

٤. لهزكِ القتير أي: فجأكِ المشيب.

بذلك جزاه وزيادة الأُبهية[١] والجاه، وليس فعلك ذلك لله، ثمّ قد تذهب هديّتك عليك مجّانا[٢]، ولا ترين من المهديّ إليه إحساناً! وأنت مع ذلك لا تهدين إلى المسكين والفقير، ولا تجبرين قلب الحزين الكسير، ولا تلفين إلى اللطيف الخبير، بل لو دعاك الفقير إلى مائدته لأبيت، ولو دعاك الغنيّ لبّيت، وقد يحسن لك هديّتك في إحسانه أكثر، ومنّته عليك عند الناس أكبر. هذا مع خلوّك من الثواب الجزيل والأجر النبيل، وكونه سبحانه يحاسبك على هديّتك على القليل والكثير، ويناقشك على الفتيل[٣] والنقير[٤]، وتحملين وزر هديّتك على قفاك؛ لأنّك لم تجعليه لله الذي خلقك فسوّاك[٥]. فبالله ألا ما اشتريت نفسك من العذاب المهين بالإحسان إلى الفقير والمسكين[٦]. واذكري ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ مَا سَعَى * وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى * فَأَمَّا مَن طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾[٧]. وبالله ألا ما تتنزّهي عن الوقوف في خدمة الأغنياء ومعاشرة أهل السمعة والرياء؛ فإنّ في فعل ذلك ذهاب ثلثي دينك[٨]، وضعف قوّة يقينك؛ وذلك لمدحك إيّاهم باللسان،

---

١. أي: العظمة والكبرياء.

٢. أي: بلا بدل.

٣. الفتيل: القشر الذي يكون في بطن النواة.

٤. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام حينما شيّع جنازةً، فوضعت في لحدها، وعجّ أهلها بالبكاء، فقال: «فَاتَّعِظُوا عِبَادَ الله بِالْعِبَرِ، وَاعْتَبِرُوا بالآيَاتِ وَالأَثَرِ، وَازْدَجِرُوا بِالنُّذُرِ، وَانْتَفِعُوا بِالْمَوَاعِظِ، فَكَانَ قَدْ عَلِقَتْكُمْ مَخَالِبُ الْمَنِيَّةِ، وَأَحَاطَتْ بِكُمُ الْبَلِيَّةُ، وَضَمَّكُمْ بَيْتُ التُّرَابِ، وَدَهمَتْكُمْ مُفْظِعَاتُ الأُمُورِ بِنَفْخَةِ الصُّورِ وَبَعْثَرَةِ الْقُبُورِ وَسِيَاقَةِ الْمَحْشَرِ وَمَوْقِفِ الْحِسَابِ فِي الْمَنْشَرِ، وَبَرَزَ الْخَلائِقُ حُفَاةً عُرَاةً، وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سائِقٌ وَشَهِيدٌ، وَنُوقِشَ النَّاسُ عَلَى الْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ وَالْفَتِيلِ وَالنَّقِيرِ» حسبما أوره في البحار ٧٥: ٦٦، الباب ١٦، الحديث ٢.

٥. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ سورة الانفطار، الآية: ٧.

٦. لعلّه تلميحٌ إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الحديث ٧٨٠٧ من قوله: «عليكم بالإحسان إلى العباد والعدل في البلاد تأمنوا عند قيام الأشهاد».

٧. سورة النازعات، الآيات: ٣٥ ـ ٤١.

٨. إشارة إلى ما ورد في وصيّة رسول الله صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام من قوله: «من أتى غنيّاً فتضعضع له، ذهب ثلثا دينه» حسبما أورده في البحار ٧٤: ٦٥، الباب ٣، الحديث ٤. وفي موضع آخر قال العلاّمة المجلسي رحمه الله قالوا: ومعنى هذا أنّ المرء إنسانٌ بجسده وقلبه ولسانه، والتواضع يحتاج إلى استعمال الجسد واللسان، فإن أضاف إلى ذلك القلب ذهب جميع دينه.

وخدمتك إيّاهم بالدركان[١]. ولو اعتقدت فيهم بالجنان لذهب منك كلّ الإيمان، كما ذكره سيّد ولد عدنان، عليه وآله الصلاة والسلام ما كرّ الجديدان[٢].

[لزوم الصبر]

يا نفس:

إذا سرّك أن تذوقي حلاوة عبادة الحميد المجيد، فاجعلي بينك وبين شهوات الدنيا حائطاً من حديدٍ. واعلمي: أنّ الصبر على طاعته أهون من الصبر على عذابه الشديد[٣]، فالمداوي جرحه يصبر على الدواء؛ مخافة من طول الداء. فاصبري على عملٍ لا غنا لك عن ثوابه، وعن عملٍ لا صبر لك على عقابه[٤].

[أهل الدنيا وأولياء الآخرة]

يا نفس:

لو علمت قدر بأس الله وعذابه ونكاله وعقابه، ما رقي لك دمعٌ[٥]، ولا عمر لك ريعٌ. واعلمي: أنّ أعقل الناس محسنٌ وهو يعدّ نفسه من الخائفين، وأجهلهم مسيءٌ وهو يعدّها من الآمنين[٦]. وإيّاك أن تكون الدنيا همّك[٧]، فيكثر في الآخرة غمّك، وليكن

---

١. أي: بالاتّباع واللحوق.

٢. أي: ما اختلف الليل والنهار.

٣. إشارة إلى ما ورد عن مولانا الصادق عليه السلام في مصباح الشريعة: ١٣٥ قال: «قال النبيّ صلى الله عليه وآله: ... والصبر على طاعة الله أهون من الصبر على عذابه» وما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قال:«إنّا وجدنا الصبر على طاعة الله أيسر من الصبر على عذابه» حسبما أورده الديلمي في إرشاده ١: ١٢٦، الباب ٣٨، ورواه عنه مستدرك الوسائل ١١: ٢٦١، الباب ١٩، الحديث ١٢٩٣٨.

٤. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الحديث ٦٣٠٧ قال: «اصبر على عملٍ لابدّ له من ثوابه، وعن عملٍ لا صبر لك على عقابه».

٥. لعلّه إشارةٌ إلى ما نسب إلى ابن عبّاس من قوله: إنّ أهل النفاق ليبكون في النار مدّة عمر الدنيا، ولا يرقأهم دمعٌ، حسبما أورده في البحار ٨: ٢٤٤، الباب ٢٤. ورقأ الدمع إذا انقطع وجفّ.

٦. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الحديث ١٧١ إذ يقول: «أعقل الناس محسنٌ خائفٌ، وأجهلهم مسيءٌ آمنٌ».

٧. إشارة إلى ما ورد في وصيّة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام من قوله: «ولا تكن الدنيا أكبر همّك» حسبما أورده المفيد في أماليه: ٢٢٠، المجلس ٢٦، الحديث ١، وكذا الشيخ في أماليه: ٧، المجلس ١، الحديث ٨ ونحوه غيره.

تأسّفك على ليلٍ نمته، ويومٍ أفطرته، وآنٍ غفلت عن ذكر الله تعالى فيه وسوّفته[١].

شعر:

المـرء مرتـهـنٌ بـسوف وليتني وهلاكه في الليت والتسويف

يا نفس:

علامَ وسّعت قصرك، وضيّقت قبرك، فرفعت الطين، ووضعت الدين[٢].

شعر:

أمّـا بـيوتُك فـي الـدنـيا فـواسعةٌ فليت قبرك بعد الموت يتّسع

واعلمي: أنّ الدنيا والآخرة ضرّتان، وهما ككفّتي الميزان، فإن رجّحت إحداهما خفّت الأخرى، فأنظري الأولى بك والأحرى[٣].

يا نفس:

ليس الخائف الذي يبكي ويمسح عينيه، إنّما الخائف الذي يترك ما يخاف أن يعذّب عليه[٤]. واعلمي: أنّ الدنيا دار ممرٍّ، لا دار مقرٍّ.

شعر:

أحـــلام يـــومٍ أو كـــظـــلٍّ زائـــلٍ إنّ اللبيب بمثلها لا يُخدع

والناس فيها رجلان: رجلٌ باع نفسه فأوبقها، ورجلٌ ابتاع نفسه فأعتقها[٥].

---

١. لعلّه إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الحديث ٢٥٩٢ إذ يقول: «اجعل همّك لآخرتك وحزنك على نفسك؛ فكم من حزينٍ وفد به حزنه على سرور الأبد، وكم من مهموم أدرك أمله».

٢. لعلّه إشارة إلى ما ورد عن الحسن البصريّ في مقالته لعمر بن هبيرة عندما وليّ العراق من قبل هشام بن عبد الملك وسأله النصيحة، فقال له: فاتّق الله واحذره؛ فإنّه يوشك أن ينزل إليك ملك من السماء، فينزلك من علوّ سريرك، ويجرّك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك، ثمّ لا يوسّعه عليك إلاّ عملك إن كان حسناً، ولا يوحشك إلاّ هو إن كان قبيحاً. كذا أورده الديلمي في إرشاد القلوب ١: ٦٨، الباب ١٦.

٣. إشارة إلى ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «الدنيا والآخرة ضرّتان: بقدر ما تقترب من إحداهما تبعد عن الأخرى» حسبما أورده في عوالي اللآلي ١: ٢٧٧، الفصل ١٠، الحديث ١٠٦، وإلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الحديث ٢٤٧٦ من قوله: «إن الدنيا والآخرة عدوّان متفاوتان وسبيلان مختلفان: فمن أحبّ الدنيا وتولاّها أبغض الآخرة وعاداها، وهما بمنزلة المشرق والمغرب وماش بينهما، فكلّما قرب من واحدٍ بعد من الآخر، وهما بعدُ ضرّتان».

٤. إشارة إلى ما نسبه ورّام في مجموعته ١: ٨٧ إلى بعضهم.

٥. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قال: «الدُّنْيَا دَارُ مَمَرّ، لا دَارُ مَقَرّ، وَالنَّاسُ فِيهَا رَجُلان: رَجُلٌ بَاعَ فِيهَا نَفْسَهُ فَأَوْبَقَهَا، وَرَجُلٌ ابْتَاعَ نَفْسَهُ فَأَعْتَقَهَا» حسبما أورده الشريف الرّضيّ في نهج البلاغة، الحكمة ١٣٣، ونحوه غيره.

يا نفس:

في الحديث:«من استوى يوماه فهو مغبونٌ، ومن كان غده شرّاً من يومه فهو ملعونٌ»[١]، و «من أحبّ المكارم اجتنب المحارم»[٢]، و «من غمس يده في المكاره سيق إلى النار وهو كارٌه»[٣]، و «الجنّة مضمونةٌ لمن أمسك ما بين فكّيه، وأطلق ما بين كفّيه»[٤].

يا نفس:

لو نظر إليك وجوه أهل الأرض ذات الطول والعرض، لأبيت إلاّ أن يروك على ما تحبّين، ولا يروك على ما تكرهين، فكيف بربّ العالمين، فلا تغرّنّك دنيا كالحيّة: ليّنٌ مسّها، شديدٌ نهشها، يحذرها العاقل، ويهوي إليها الجاهل[٥].

شعر:

إذا امتحن الدنيا لبيبٌ تكشّفت — له عن عـدوّ في ثياب صديق

يا نفس:

هولٌ لا تدرين متى يغشاك، لم لا تستعدّين له قبل أن يفجأك[٦]؟!

شعر:

ومـا الـموت إلاّ سـارقٌ دقّ شخصه

يصول بـلا كـفٍّ ويسعى بـلا رِجـل

---

١. إشارة إلى ما ورد عن مولانا الصادق عليه السلام أنّه قال: «من استوى يوماه فهو مغبونٌ، ومن كان آخر يوميه شرّهما فهو ملعونٌ، ومن لم يعرف الزيادة في نفسه كان إلى النقصان أقرب، ومن كان إلى النقصان أقرب فالموت خيرٌ له من الحياة» كما رواه الصدوق في أماليه: ٦٦٨، المجلس ٩٥، الحديث ٤، ونحوه غيره.

٢. اُنظر الإرشاد للشيخ المفيد ١: ٢٩٩، فصل: من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في الحكمة والموعظة.

٣. لم نعثر على الخبر المذكور في المصادر المتوفّرة لدينا. نعم، ورد عن مولانا الباقر عليه السلام أنّه قال: «الْجَنَّةُ مَحْفُوفَةٌ بِالْمَكارِهِ وَالصَّبْرِ، فَمَنْ صَبَرَ عَلَى الْمَكارِهِ فِي الدُّنْيا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَجَهَنَّمُ مَحْفُوفَةٌ بِاللَّذّاتِ وَالشَّهَوَاتِ» حسبما رواه الكليني في الكافي ٢: ٨٩ باب الصبر، الحديث ٧، ونحوه غيره.

٤. لا أثر للخبر المذكور في المجامع الحديثيّة وغيرها. نعم، ورد بلفظٍ قريب منه في المضمون عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:«طوبى لمن عمل بعلمه، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله» حسبما أورده الشيخ في أماليه: ٥٣٧، المجلس ١٩، الحديث ١، ونحوه غيره.

٥. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الحديث ٢١٨٢ إذ يقول: «مثل الدنيا كمثل الحيّة ليّنٌ مسّها، والسمّ القاتل في جوفها، يهوي إليها الغرّ الجاهل، ويحذرها اللبيب العاقل».

٦. إشارة إلى ما ورد عن مولانا الصادق عليه السلام قال:«قال عيسى عليه السلام : هولٌ لا يُدرى متى يغشاك، ما يمنعك أن تستعدّ له قبل أن يفجأك؟» حسبما رواه عنه غير واحد من أصحاب الحديث، فراجع.

واعلمي: أنّ غاية كلّ متحرّكٍ سكونٌ، ونهاية كلّ متكوّنٍ تكون، وإذا الدهر أعار، فاحسبيه قد أغار.

شعر:

إذا حـيـوانٌ كـان طعـمـة ضـدّه	توقّاه كالفأر الـذي يتقي الهرّا
ولا شـكّ أنّ الـمـرء طعمةُ دهـره	فما باله يا ويحه يأمن الدهرا

[طلاق الدنيا مهر الآخرة]

يا نفس:

من شارك السلطان في عزّ الدنيا شاركه في ذلّ الآخرة[١]، وطلاق الدنيا مهر الآخرة[٢]، والزاهد في الدنيا كلّما ازدادت له تحلّياً ازداد عنها تولّياً[٣]. واعلمي: أنّك لن تكسبي في الدنيا شيئاً فوق معيشتك إلاّ كنت فيه خازنةً لورثتك، يكثر به في الدنيا نصيبك ويقلّ ثوابك، ويحظى به وارثك ويطول حسابك[٤]. فخذي من ممرّك لمقرّك، ولا تهتكي أستارك عند من لا تخفى عليه أسرارك[٥].

[في ما أوحاه الله إلى الدنيا]

يا نفس:

أوحى الله إلى الدنيا: «من خدمك فاستخدميه، ومن خدمني فاخدميه»[٦]. واعلمي:

---

١. إشارة إلى ما نسبه ورّام في مجموعته ٢: ٣٣ إلى بعضهم.

٢. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الحديث ٢٦٦٩ إذ يقول: «طلاقُ الدنيا مهرُ الجنّة».

٣. إشارة إلى ما ورد بلفظه عن أمير المؤمنين عليه السلام في الإرشاد ١: ٢٩٨، فصل: من كلامه في الحكمة والموعظة، ونحوه غيره.

٤. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام ــ مع أدنى تفاوتٍ ــ في الإرشاد ١: ٢٣٤، فصل: من كلامه في التزهيد في الدنيا، ورواه عنه غير واحدٍ، فراجع.

٥. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام ــ مع أدنى تفاوتٍ ــ في نهج البلاغة، الخطبة ٢٠٣، من كلام له في التزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة.

٦. إشارة إلى ما ورد عن مولانا الصادق عليه السلام قال: «إنّ الله عزّ وجلّ يطّلع على الدنيا في كلّ يوم مرّةً أو مرّتين فيقول: يا دنيا، أنت دنيّةٌ، فتكدّري على عبدي المؤمن، ولا تحلّي له فيفتتن. من خدمك فاستخدميه، ومن خدمني فاخدميه» حسبما أورده ورّام في مجموعته ٢: ٢٠٠.

أنّه ليس لك من مالك إلاّ ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدّقت فأبقيت[١]. ولا جرم أنّ المال يفنى، والبدن يبلى، والأعمال تحصى، والذنوب لا تنسى[٢].

شعر:

ومن ينفق الساعات في جمع ماله
مخافة فقرٍ فالذي فعلَ الفقرُ

[ذخيرة التقوى]

يا نفس:

اتّخذي تقوى الله صناعةً تأتك الأرباح من غير بضاعةٍ[٣]؛ فإنّ التقوى حرزٌ من المهلكات واقٍ، وكنزٌ من المحيا والممات باقٍ[٤]. من اتّخذها صاحباً كانت له في ظلم القيامة نوراً، ومن نبذها جانباً ركب من الندامة مركباً عثوراً[٥].

شعر:

تزوّد من التقوى فإنّك راحلٌ   وبادر فإنّ الموت لا شكّ نازل
وإن امرأ قد عاش خمسين حجّةٍ   ولم يتزوّد للمعاد فجاهل

---

١. إشارة إلى ما ورد بلفظه عن رسول الله ﷺ، حسبما أورده ابن أبي الحديد في شرحه على نهج البلاغة ١٦: ١١٦، ذيل الكتاب ٣١، أقوال حكيمة في وصف الدنيا وفناء الخلق، ورواه غير واحد من أصحاب الحديث، فلاحظ.

٢. إشارة إلى ما ورد عن مولانا الصادق عليه السلام من قوله: «يَا عَمَّارُ، إنَّ الْمَالَ يَفْنَى، وَالْبَدَنَ يَبْلَى، وَالْعَمَلَ يَبْقَى، وَالدَّيَّانُ حَيٌّ لا يَمُوتُ. يَا عَمَّارُ، إنَّهُ مَا قَدَّمْتَ فَلَنْ يَسْبِقَكَ، وَمَا أَخَّرْتَ فَلَنْ يَلْحَقَكَ» حسبما رواه الكافي ٤: ٢٧، باب فضل المعروف، الحديث ٧، ونحوه غيره.

٣. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الحديث ٣٤٤٣ إذ يقول: «من اتخذ طاعة الله بضاعةً صناعةً] أتته الأرباح من غير تجارة».

٤. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قال: «أُوصيكم بتقوى الله؛ فإنّ التقوى أفضل كنز، وأحرز حرزٍ، وأعزّ عزٍ، فيها نجاة كلّ هاربٍ، ودرك كلّ طالبٍ، وظفر كلّ غالبٍ» حسبما أورده الشيخ في أماليه: ٦٨٤، المجلس ٣٨، الحديث ٩، ونحوه غيره.

٥. لعلّه تلميحٌ إلى الآية: ٢٨ من سورة الحديد، وإلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، القسم ٣، الباب ٢، الفصل ٥: في التقوى والورع وآثارهما.

[لزوم الاتّعاظ والحذر]

يا نفس:

كفى بجهنّم عذاباً، وبالموت نائباً واغتراباً[1].

وكــلّ ذي غـيـبـةٍ يـؤوب وغـائـب الـمـوت لا يـؤوب

واحذري مصارع الجهّال، واجتراح معصيةٍ لا تقال، وأقيمي الصلاة وآتي الزكاة تأمني من العذاب الشديد[2]؛ فإنّ لله سطواتٍ ونقماتٍ[3]، وما هي من الظالمين ببعيدٍ[4].

شعر:

الـخـيـر يـبـقـى وإن طـال الـزمـان بـه

والـشـرّ أخـيـب مـا أوعـيـت مـن زاد

[ضرورة الرياضة والمجاهدة]

يا نفس:

وطّني نفسك على ألم العبادة؛ ليصير ذلك خلقاً لك وعادةً[5]؛ فإنّ المقامر يلتذّ بالقمار وإن سلبه جميع ماله، وكذلك اللاعب بالحمام وإن طال وقوفه وتعبه في إرساله. فإذا كانت النفس بالعادة تستلذّ بالقبائح وتميل بالألف إلى غير الصالح، فكيف لا تستلذّ بالحقّ لو ردّت مدّة إليه وأُلزمت المواظبة عليه؟!

يا نفس:

فالأخلاق السعيدة والأفعال الحميدة تُكتسب بالعادة والرياضة والإفادة[6]. ومثاله:

---

١. لعلّه إشارةٌ إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الحديث ٣٣٣٤ من قوله: «كفى بجهنّم نكالاً» وما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قوله: «كفى بالدهر واعظاً، وكفى بالموت مفرّقاً» حسبما رواه في البحار ٧١: ١٥٣، الباب ٩، الحديث ١٥، وقوله: «كَفَى بِالْمَوْتِ وَاعِظاً، وَكَفَى بِالتُّقَى غِنًى، وَكَفَى بِالْعِبَادَةِ شغلاً، وَكَفَى بِالْقِيَامَةِ مَوْئِلاً وَبِاللهِ مُجَازِياً» كما في البحار ٧٤: ١٣٩، الباب ٧، الحديث ١، ونحوه غيرها.

٢. لعلّه إشارةٌ إلى الآية: ١١٠ من سورة البقرة والآية: ٥٦ من سورة النور والآية: ٢٠ من سورة المزّمّل.

٣. لعلّه تلميحٌ إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الحديث ٣٧٣٥.

٤. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ * مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ سورة هود، الآيتان: ٨٢ ـ ٨٣.

٥. لعلّه تلميحٌ إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الحديث ٥٣٥٢.

٦. لعلّه تلميحٌ إلى ما نُسب إلى مولانا الإمام الصادق عليه السلام في مصباح الشريعة، الباب ٨٠.

أنّه من أراد أن يصير في النسخ حاذقاً وفي الكتابة فائقاً، فلا طريق له إلاّ أن يتعاطى بجارحة اليد هذه الخصلة الجميلة، ويواظب عليها مدّةً طويلةً، فإذا طال عليه النسخ وضعاً صدر منه حسن الخطّ طبعاً.

يا نفس:

وكذلك من أراد أن يكون فقيهاً وكره أن يكون سفيهاً، فلا طريق إلاّ بتعاطي أفعال الفقهاء وتكرار أقوال العلماء[1]. وكذلك من أراد أن يصير عفيفاً حليماً ومتواضعاً كريماً، لزمه أن يدأب نفسه في التخلّق بآدابهم والتعلّق بأسبابهم.

[ضرورة الوقوف على عيوب النفس]

يا نفس:

إذا أردت أن تقفين على عيوب نفسك[2]، فخذيها من ألسنة أعدائك لا من ألسنة أحبّائك وأوليائك، ولو سمعت صفتك عن غيرك لمقتّيه، إذا كنت لا تدرين مَن الموصوف وبغضتيه. ولعلّ انتفاع الانسان بعدوٍّ يذكر معائبه أكثر من انتفاعه بصديقٍ يشهر مناقبه[3]. فعن علي عليه السلام: «جهل المرء بعيوبه من أكبر ذنوبه»[4]. فمن داهنك يا نفس في عيبك، عابك في غيبك[5].

يا نفس:

إنّ محبّتك لنفسك ونسيانك لرمسك قد أصمّك وأعماك، وأضلّك وأرداك؛ لأنّ الإنسان إذا أحبّ الشيء أغمض عن مواضع عيوبه كأنّه لا ينظرها، وأعرض عن المقابح من ذنوبه كأنّه لا يسمعها، فصار من هذا الوجه كالأعمى لتغاضيه، والأصمّ لتغابيه[6].

---

١. لعلّه تلميحٌ إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الحديث ٩٦.

٢. لعلّه تلميحٌ إلى ما ورد عن مولانا الإمام زين العابدين عليه السلام قال: «كفى بالمرء عيباً أن ينظر في عيوب غيره ويعمى عن عيوب نفسه، أو يؤذي جليسه بما لا يعنيه، أو ينهى الناس عمّا لا يستطيع تركه» حسبما رواه في إرشاد القلوب ١: ١٨٣، الباب ٥١.

٣. لعلّه تلميحٌ إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الحديثان ٩٤٦٧ و ١٠٠٨٦.

٤. اُنظر الإرشاد للشيخ المفيد ١: ٢٩٩، فصل: من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في الحكمة والمواعظة، ورواه عنه غير واحد، فراجع.

٥. إشارة إلى ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الحديث ٩٥٧٤.

٦. إشارة إلى ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قول: «حبُّك للشيء يُعمي ويُصمُّ» حسبما رواه في الفقيه ٤: ٣٨٠، باب النوادر، الحديث ٥٨١٤، ونحوه في العوالي ١: ١٢٤، ٥٧.

شعر:

فعين الرضا عن كلّ عيبٍ كليلةٌ
كما أنّ عين السخط تبدي المساوِيا

[أنحاء جهاد النفس]

يا نفس:

جاهدي نفسك على أربعة أقسام: قلّة القوت من الطعام، والغمض من المنام، وترك إكثار الكلام، واحتمال الأذى من الأنام؛ فإنّه يتولّد من قلّة الطعام موت الشهوات، ومن قلّة المنام صفو الإرادات، ومن قلّة الكلام السلامة من الآفات، ومن احتمال الأذى البلوغ إلى الغايات[١].

[ذمّ الدنيا والزهد عنها]

يا نفس:

الدنيا يجمع لها من لا عقل له، وعليها يعادي من لا علم له، وعليها يحسد من لا فقه له، ولها يسعى من لا يقين له[٢].

شعر:

نرقّع دنيانا بتمزيق ديننا	فلا ديننا يبقى ولا ما نرقّع
فطوبى لعبدٍ آثر الله ربّه	وجاد بدنياه لما يتوقّع

يا نفس:

دعي المساخرة والمشاجرة، وصومي عن الدنيا تفطري بالآخرة[٣]؛ فإنّ رأس مال

---

١. إشارة إلى ما نسبه ورّام في مجموعته ١: ٩٧ إلى الحسن البصري.

٢. إشارة إلى ما ورد عن رسول الله ﷺ من قوله: «الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا عقل له، ويطلب شهواتها من لا فهم له، وعليها يعادي من لا علم له، وعليها يحسد من لا فقه له، ولها يسعى من لا يقين له» حسبما أورده ورّام في مجموعته ١: ٧٠، باب العتاب، ورواه عنه في البحار ٧٠: ١٢٣، الحديث ١١٢، ونحوه غيره.

٣. إشارة إلى ما نسبه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ١٩: ٢٨٩ إلى بعض الحكماء إذ يقول: صم عن الدنيا، وافطر على الآخرة.

الدنيا الهوى، وربحها لظى، تقرّب المنيّة، وتبعّد الأُمنيّة[١].

شعر:

ومن يحمد الدنيا لعيشٍ يسرّه
فسوف لعمري عن قليلٍ يلومها
إذا أدبرت كانت على المرء حسرةً
وإن أقبلت كانت كبيراً همومها

يا نفس:

لو أنّ الدنيا من ذهبٍ يفنى والآخرة من خزفٍ يبقى، لكان ينبغي لك أن تختاري ما يبقى على ما يفنى، فكيف وقد اخترت خزفاً يفنى على ذهبٍ يبقى[٢]؟!

شعر:

هب الدنيا تساق إليك عفواً — أليس مصير ذاك إلى انتقال
وما دنياك إلاّ مثل فيءٍ — أظلّك ثمّ آذن بالزوال

يا نفس:

الدنيا دار خرابٍ، وأخرب منها قلب من يشيّدها ويخطبها، والجنّة دار عمرانٍ، وأعمر منها قلب من يريدها ويطلبها، فبيعي دنياك بآخرتك تربحيهما، ولا تبيعي آخرتك بدنياك تخسريهما[٣].

شعر:

يا خاطب الدنيا إلى نفسها — تنحّ عن خطبتها تسلم
إنّ التي تخطب غدّارةً — قريبة العرس من المأتم

يا نفس:

إذا سألتِ الله الدنيا فإنّما تسأليه طول الوقوف يوم الحشر الموصوف[٤]، هذا

---

١. إشارة إلى ما نسبه ورّام في مجموعته ١: ١٣٥ إلى بعض الحكماء.

٢. إشارة إلى ما نسبه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ١٩: ٢٩٠ إلى الفضيل بن عيّاض.

٣. إشارة إلى ما نسبه ابن أبي الحديد ١٩: ٢٩٢ إلى بعض الحكماء.

٤. إشارة إلى ما نسبه ابن أبي الحديد ١٩: ٣٢٦ إلى بعض العارفين.

سوى ما يقاسيه أصحاب الأموال في الدنيا من الخوف والحزن وتجشّم المصاعب في الحفظ والخزن. ودرياق الدنيا ما قصد به المراضي والمثوبات، وما صرف إلى الجيران والقرابات، وما اُعطي في الزكوات والصدقات، وما عدا ذلك سمومٌ وآفاتٌ[١].

شعر:

يـا أهـل لـذّات دنـيـا لا بـقـاء لها　　　إنّ اغـتـراراً بـظـلٍّ زائـلٍ حمق

[لزوم الرضا و القناعة]

يا نفس:

لا تفرحي بما أتاك، ولا تأسي على ما فاتك من دنياك[٢]؛ ففرحك إنّما هو بموجودٍ لا يتركه في يدك الموت، وأسفك إنّما هو على مفقودٍ لا يردّه عليك الفوت. وإذا قد علمت: أنّ رزقك لا يأكله غيرك، فلم به تهتمّين؟! وأنّ عملك لا يعمله غيرك، فلم بغيره تشتغلين؟! وأنّ الموت يأتيك على بغتةٍ، فلم لا إلى الطاعة تبادرين؟! وأنّك بعين الله على كلّ حال، فعلامَ منه لا تستحين[٣]؟! وإيّاك أن يراك الله حيث زجرك، أو يفقدك حيث أمرك[٤].

يا نفس:

إن لم تقنعي بالقليل وطلبت المال الجزيل، ساهمت النصارى واليهود الأرجاس،

---

١. لعلّه تلميحٌ إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في ذمّ الدنيا، حسبما رواه في البحار ٧٠: ١٠٨-١١٧، الباب ١٢٢، الحديث ١١٠، نقلاً عن عيون الحكم والمواعظ، فراجع.

٢. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ سورة الحديد، الآيتان: ٢٢ - ٢٣.

٣. إشارة إلى ما ورد عن مولانا الصادق عليه السلام في جواب من سأل: على أيّ شيء بنيتَ عملك؟ فقال: «عَلَى أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ: عَلِمْتُ أَنَّ رِزْقِي لا يَأْكُلُهُ غَيْرِي فَوَثِقْتُ به، وعَلِمْتُ أَنَّ عَلَيَّ أُمُوراً لا يَقُومُ بِأَدَائِهَا غَيْرِي فَاشْتَغَلْتُ بِهَا، وعَلِمْتُ أَنَّ الْمَوْتَ يَأْخُذُنِي بَغْتَةً فَاسْتَعْدَدْتُ لَهُ، وعَلِمْتُ أَنَّ اللهَ مُطَّلِعٌ عَلَيَّ فَاسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ» حسبما أورده الميرزا النوري في مستدركه ١٢: ١٧٢، الباب ١٠١، الحديث ١٣٨٠٦، نقلاً عن لبّ اللباب للقطب الراوندي.

٤. إشارة إلى ما ورد عن مولانا الصادق عليه السلام في جواب من سأل: يا بن رسول الله، فيمَ المُروّة؟ فقال: «ألاّ يراك الله حيث نهاك، ولا يفقدك حيث أمرك» حسبما رواه في البحار ٧٥ : ٣٤٨ ، الباب ٢٦، ذيل الحديث ٥، ونحوه غيره.

ومن لا دين له ولا عقل من الناس. وإن قنعت بالحقير ورضيت باليسير، ساهمت الأولياء في رتبتهم، والأنبياء في منزلتهم[١].

يا نفس:

إن كان لا يغنيك ما يكفيك، فكلّ ما في الأرض ما يغنيك[٢]، وأقلّ ما في الخطر في جمع المال يوم المقام أن يدخل الفقراء الجنّة قبل الأغنياء بخمس مائة عامٍ[٣].

شعر:

سرّ من عاش ماله فإذا حاسبه الله سرّه الأعدام

[الحذر عن الجهل و الجهالة]

يا نفس:

إذا أُثني عليك بالصلاح والورع وعدم الرياء والطمع ـ وأنت تعلمين خبث سريرتك وعظم جريرتك ـ كان ذلك من غاية جهالتك ونهاية سفاهتك، وكنت كمن يهزأ بإنسان ويقول له: يا فلان، ما أكثر العطر الذي في أحشائك وما أطيب الروائح الأرجة التي تفوح من أمعائك ـ وذلك إذا قضى من الغائط حاجته ومن البول أُمنيّته، وهو يعلم ما اشتمل عليه قلبه من الشرّ والفتنة واحتوت عليه أمعاؤه من الأقذار والنتنة[٤] ـ!

شعر:

إن كان لا يغنيك ما يكفيك فكلّ ما في الأرض ما يغنيك

---

١. يمكن الرجوع إلى الغرر والدرر، القسم ٥، الباب ٤، الفصل ٣: في القناعة وآثارها، لمزيد من الاطّلاع والفائدة.

٢. إشارة إلى ما ورد عن مولانا الصادق عليه السلام في جواب من سأله أن يعلّمه شيئاً ينتفع به فقال: «إِنْ كَانَ مَا يَكْفِيكَ يُغْنِيكَ فَأَدْنَى مَا فِيهَا يُغْنِيكَ، وَإِنْ كَانَ مَا يَكْفِيكَ لا يُغْنِيكَ فَكُلُّ مَا فِيهَا لا يُغْنِيكَ» حسبما رواه في الكافي ٢: ١٣٩، باب القناعة، الحديث ١٠، ونحوه غيره.

٣. إشارة إلى ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قوله: «يدخل الفقراء الجنّة قبل الأغنياء بخمس مائة عامٍ» حسبما أورده تاج الدين الشعيري في جامع الأخبار، الفصل ٦٧.

٤. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الحديثان ١٠٧٣٩ و ١٠٧٤١، وما في شرح نهج البلاغة ٢٠: ٢٦٨، الحكمة ١١١، و ٢٠: ٢٧٤، الحكمة ١٦٧، فلاحظ.

[آفات العجب و ذمّه]

يا نفس:

إيّاك والعُجب ـ وهو استعظام العمل الصالح والنظر إلى استكثاره، والابتهاج به والميل إلى استكباره ـ فهو يوقع في مهاوي الهلكات[١]، ناقلٌ للعمل الصالح من كفّة الحسنات إلى كفّة السيّئات[٢]، ومن رفيع الدرجات إلى أسفل الدركات. فكم من عبادةٍ أفسدها العجب، وإذا أفسدها العجب لم يقبلها الربّ[٣]. فعن علي عليه السلام: «سيّئةٌ تسوء عاملها خيرٌ من حسنةٍ تعجب فاعلها»[٤]. وفي الحديث: «ثلاثٌ مهلكاتٌ: شحٌّ مطاعٌ، وهوىً متّبعٌ، وإعجاب المرء بعملٍ صالحٍ صنع»[٥].

يا نفس:

وكيف تعجبين بقيام بعض ليلةٍ، ولا تنظرين إلى نعم الله الجزيلة وأياديه الجميلة؟! لو قست أكثر عملك على التقدير بأقلّ نعمةٍ من نعم اللطيف الخبير، لم تجديه وافياً باليسير، ولا ناهضاً بعشر العشير. ألا تنظرين إلى صاحب العبادة الطويلة، كيف باعها بشربةٍ وبولةٍ[٦]!

---

١. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الحديث ٧٠٧٦ إذ يقول: «العُجب هلاكٌ».

٢. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الحديث ٧١٠٢ من قوله: «العُجب بالحسنة يحبطها».

٣. إشارة إلى ما ورد عن مولانا الكاظم عليه السلام في جواب من سأله عن العجب الذي يُفسد العمل فقال: «الْعُجْبُ دَرَجَاتٌ: مِنْهَا أَنْ يُزَيَّنَ لِلْعَبْدِ سُوءُ عَمَلِه فَيَرَاهُ حَسَناً، فَيُعْجِبَهُ وَيَحْسَبَ أَنَّهُ يُحْسِنُ صُنْعاً. وَمِنْهَا أَنْ يُؤْمِنَ الْعَبْدُ بِرَبِّهِ، فَيَمُنَّ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وللهِ عَلَيْهِ فِيهِ الْمَنُّ» حسبما رواه في الكافي ٢: ٣١٣، باب العجب، الحديث ٣، ونحوه غيره.

٤. لعلّ المصنّف نقل الخبر المأثور عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام بمضمونه لا بلفظه؛ إذ لم نعثر عليه في كتب الحديث وغيرها. نعم، أورد غير واحدٍ قوله عليه السلام: «سيّئةٌ تسوءك خيرٌ عند الله من حسنةٍ تعجبك». راجع نهج البلاغة، الحكمة ٤٦، الغرر والدرر، الحديث ٧٠٨١، وغيرهما.

٥. أنظر وسائل الشيعة ١: ١٠٢، باب تحريم الإعجاب بالنفس وبالعمل والإدلال به، الحديث ٢٤٥، ونحوه غيره، إلاّ أنّ فيها: «وإعجاب المرء بنفسه».

٦. لعلّ من المناسب هنا الرجوع إلى ما ورد في دعاء مولانا الإمام زين العابدين عليه السلام في الاعتراف بالتقصير عن تأدية الشكر.

يا نفس:

وأنت ترين الأجير يعمل طول النهار بدرهمين، والحارس يسهر جملة الليل بدانقين، وإذا صرفت الفعل إلى الملك العلاّم وصمت يوماً من الأيّام أو تهجّدت ليلةً في جنح الظلام، لأعدّ لك ما لا تحصره الأقلام ولا تبلغه خطرات الأنام[1]. بل لو سجدت لله سجدةً حتّى يغشاك فيها النعاس، باهى الله بك الملائكة[2]، فأين القياس؟ فهلاّ تنظرين إلى يومك الذي قيمته درهمان مع احتمال التعب العظيم، كيف صار له هذه القيمة بالنسبة إلى طاعة الربّ الكريم؟! وكم زمان السجدة مع ما حصل فيها من الغفلة والرقدة، لكن لمّا نسبت السجدة إلى الملك الجبّار، بلغت قيمتها من النفاسة والجلالة هذا المقدار.

يا نفس:

فحقيقٌ عليك أن تقصري من أملك، وترين حقارة عملك. ففي الحديث: « من مقت نفسه وألزمها الندامة، آمنة الله تعالى من فزع يوم القيامة»[3]. وروي أنّه:«أنْ يبيت أحدكم نادماً على ذنوبه وأفعاله خيرٌ له من أن يصبح مبتهجاً بصالح أعماله»[4] و «نائمٌ مقرٌّ بذنبه خيرٌ من مصلٍّ مدلٍّ على ربّه»[5].

---

١. إشارة إلى ما ورد عن رسول الله ﷺ في فضل صلاة الليل من قوله: «فَمَنْ رُزِقَ صَلاةَ اللَّيْلِ مِنْ عَبْدٍ أَوْ أَمَةٍ قَامَ للهِ مُخْلصاً فَتَوَضَّأَ وُضُوءاً سَابغاً وَصَلَّى للهِ عَزَّ وَجَلَّ بنيَّةٍ صَادقَةٍ وَقَلْبٍ سَلِيمٍ وَبَدَنٍ خَاشِعٍ وَعَيْنٍ دَامعَةٍ، جَعَلَ اللهُ تَعَالَى خَلْفَهُ تِسْعَةَ صُفُوفٍ مِنَ الْمَلائكَة، فِي كُلِّ صَفٍّ مَا لا يُحْصي عَدَدَهُمْ إلاّ اللهُ، أَحَدُ طَرَفَيْ كُلِّ صَفٍّ بِالْمَشْرِقِ وَالآخَرُ بِالْمَغْرِبِ. قَالَ: فَإِذَا فَرَغَ كَتَبَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ بِعَدَدِهِمْ دَرَجَاتٍ» حسبما رواه الصدوق في أماليه: ٦٨، المجلس ١٦، الحديث ٢، ونحوه غيره.

٢. لعلّه إشارةٌ إلى ما ورد عن رسول الله ﷺ في لزوم المواظبة على صلاة الليل قال: «إذَا قَامَ الْعَبْدُ مِنْ لَذيذِ مَضْجَعه وَالنُّعَاسُ فِي عَيْنَيْه لِيُرْضِيَ رَبَّهُ بصَلاة لَيْله، بَاهَى اللهُ به الْمَلائكَةَ وَقَالَ: أَمَا تَرَوْنَ عَبْدِي هَذَا: قَدْ قَامَ مِنْ لَذيذ مَضْجَعِه لِصَلاةٍ لَمْ أَفْرِضْهَا عَلَيْه؟ اشْهَدُوا أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ» حسبما رواه الديلمي في إرشاد القلوب ١: ٩١، الباب٢٢: في فضل صلاة الليل، ونحوه غيره.

٣. اُنظر الخصال: ١٥، الحديث ٥٤، ثواب الأعمال: ١٨١، روضة الواعظين ٢: ٤١٩، عدّة الداعي: ٢٤١، وغيرها، إلاّ أنّه لم يرد فيها قوله: «وألزمها الندامة».

٤. أورده ابن فهد الحلّي في عدّة الداعي: ١٠٩ مع أدنى تفاوت.

٥. لم نعثر على الخبر المذكور في المصادر المتوفرة. نعم، ورد في غير واحدٍ من كتب الحديث عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «ضاحكٌ معترفٌ بذنبه خيرٌ من باكٍ مدلٍّ على ربّه» كما أورده في الإرشاد ١: ٣٠٤، من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في وصف الإنسان، ونحوه غيره، فراجع.

يا نفس:

فعليك بتحصين عملك من العجب والرياء والغيبة والكبرياء ؛ فالعجب هلاكٌ[١]، والرياء إشراكٌ[٢]، والغيبة قوت كلاب الجحيم[٣]، والكبر مصيدة إبليس الرجيم[٤]. والعَجَب ممّن يدخله العُجب والكبر والتبختر والفخر، وأوّله نطفةٌ، وآخره جيفةٌ[٥]!

شعر:

مــا بــال مــن أوّلــه نـطـفـةٌ وجـيـفـةٌ آخـره يـفـخـر

وفي الحديث: «من رفع نفسه قال ملكاه: اللّهمّ ضعه، ومن وضعها قالا: اللّهمّ ارفعه»[٦].

[الحضّ على الذكر والشكر]

يا نفس:

وعليك بالذكر والحمد والشكر؛ فإنّه يرفع البلاء الحاصل، ويدفع السوء النازل. وفي الحديث: «ما اجتمع قومٌ في مجلسٍ لم يذكروا الله فيه إلاّ كان عليهم حسرةً وندامةً ووبالاً يوم القيامة»[٧] وأنّه «من شغله ذكر الله عن مسألته، أعطاه الله أفضل ما يعطي السائلين من اُمنيّته»[٨] وأنّه في كلّ حاله لا تصيبه منيّات السوء ولا تناله[٩]، وأنّه ينير البصائر،

---

١. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الحديث ٧٠٧٦، ونحوه غيره.

٢. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الحديث ٧١٦٩.

٣. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الحديث ٤٤٢٤.

٤. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الحديث ٧١١٩.

٥. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الحديثان ٧٠٨٧ و ٧١٨٤.

٦. إليك نصّ الحديث النبوي ــ حسبما نقله ورّام في مجموعته ١: ٢٠٠ والمجلسي في بحاره ٧٠: ٢٢٥ ــ: «مَا مِنْ أَحَدٍ إلاّ وَلَهُ مَلَكَانِ وَعَلَيْهِ حَكَمَةٌ يُمْسِكَانِهِ بِهَا: فَإِنْ هُوَ رَفَعَ نَفْسَهُ جَبَذَاهَا ثُمَّ قَالا: اللهُمَّ ضَعْهُ، فَإِنْ وَضَعَ نَفْسَهُ قَالا: اللهُمَّ ارْفَعْهُ» فلاحظ وتدبّر.

٧. إليك متن الخبر المرويّ عن مولانا الصادق عليه السلام ــ حسبما نقله ابن فهد الحلّي في عدّة الداعي: ٢٥٦ ــ: «ما اجتمع قومٌ في مجلسٍ لم يذكروا الله ولم يذكرونا إلاّ كان ذلك المجلس حسرةً عليهم يوم القيامة». وقال مولانا الباقر عليه السلام: «إنّ ذكرنا من ذكر الله، وذكر عدوّنا من ذكر الشيطان» فراجع المصدر المتقدّم.

٨ حسبما أورده الديلمي في إرشاد القلوب ١: ١٥٠، الباب ٤٧ مع أدنى تفاوتٍ، كما نقله ابن فهد الحلّي في عدّة الداعي: ٢٤٨ مع اختلاف في اللفظ، فلاحظ.

٩. لعلّه إشارةٌ إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٣٦١٤، ٣٦١٨، ٣٦١٩، ٣٦٢٠.

ويؤنس الضمائر[١]، وأنّه شيمة كلّ مؤمنٍ[٢]، [و لذّة كلّ موقنٍ[٣]، وأنّه دعامة الإيمان، وعصمة من الشيطان[٤].

[لزوم الاستغفار والحذر]

يا نفس:

وعليك بالاستغفار ـ خصوصا في الأسحار[٥] ـ فقد روي أنّه: «من أكثر الاستغفار رفعت صحيفته وهي تتلألأ بالأنوار»[٦] و «جعل الله له من كلّ همٍّ فرجاً، ومن كلّ ضيقٍ مخرجاً»[٧]. فعوّدي نفسك الاستهتار[٨] في الذكر والاستغفار، تمحى عنك الحوبة، وتعظم لك المثوبة[٩]. فمن تعطّر بأرياح استغفاره لم ينفضح من نتنه إصراره على أوزاره، ومن قبّل فم الشهوات عضّته أسنان الندامة، ومن تلفّع بأردية التقوى اعتنقته أكناف السلامة. فانتهبي زمانك قبل الزمن، ولا تغترّي بالدنيا ؛ فإنّها خضراء الدمن[١٠]، واقعدي مقعد صدقٍ[١١]، وانُظري عند مَنْ. إنّ الدنيا تعطي تفاريق وتسترجع جملاً، وترضي أفاويق وتعظم عجلاً[١٢].

---

١. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الحديث ٣٦٤٠.
٢. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الحديث ٣٦١٧.
٣. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الحديث ٣٦٥٣.
٤. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الحديث ٣٦٢٠.
٥. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾ سورة آل عمران، الآية: ١٧.
٦. حسبما أورده الكليني في الكافي ٢: ٥٠٤، باب الاستغفار، الحديث ٢ مع أدنى تفاوتٍ، ونحوه غيره.
٧. إليك متن الحديث ـ حسبما أورده الحرّ العاملي في الوسائل ٧: ١٧٧، الباب ٢٣، الحديث ٩٠٥١ ـ: «مَنْ أَكْثَرَ مِنَ الاسْتِغْفَارِ، جَعَلَ اللهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجاً وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجاً، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِب» ونحوه غيره.
٨. الاستهتار: الولوع بالشيء والإفراط فيه.
٩. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الحديث ٣٦٢٤.
١٠. المراد: الدنيا التي ظاهرها حسنٌ ومنبتها عفنٌ، وفيه تلميحٌ إلى الحديث النبويّ المشهور.
١١. لعلّه إشارةٌ إلى قوله تعالى: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ سورة القمر، الآية: ٥٥.
١٢. لعلّه تلميحٌ إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الحديث ٢٣٥٣.

شعر:

خطبتَ يا خاطب الدنيا مشمّرةً في ذبح أولادها الغيد الغرانيق
كم من ذبيحٍ لها من تحت ليلتها زُفّت إليه بمعزاف وتصفيق

يا نفس:

[أترين] من استؤجر على إصلاح آنيةٍ من الدرّ وشرط له على ذلك شيئاً من الأجر، وكان الشارط إذا وعد وفى، وإذا توعّد عفى، فجاء الأجير إلى الآنية وكسرها بعهده، وأفسد مصالحها بجهده، ثمّ جلس على الباب ينتظر الأجر والثواب؛ بزعم أنّ المستأجر كريمٌ وهّابٌ، أفتراه العقلاء في انتظاره متمنّياً مغروراً أم راجياً مأجوراً؟ هيهات إنّه ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾[١]. وما أجهل من يتوقّع المغفرة مع الإصرار، وما أسفه من يتمنّى العفو مع ملازمة الأوزار[٢]!

[لزوم اجتناب الغيبة]

يا نفس:

لا تكوني كالذي يسبّح الله ويهلّله مائة مرةٍ في أوّل تذكاره، ثمّ يغتاب المسلمين ويمزّق أعراضهم بسائر نهاره، فهو أبداً يتأمّل في فضائل تسبيحاته وتهليلاته[٣]، ولا

---

١. سورة النجم، الآيتان: ٣٩ ـ ٤٠.

٢. لعلّه إشارةٌ إلى ما ورد عن رسول الله ﷺ في لزوم اجتناب المحقّرات من الذنوب من قوله: «لا تُحَقِّرُوا شَيْئاً مِنَ الشَّرِ وإنْ صَغُرَ فِي أَعْيُنِكُمْ، ولا تَسْتَكثِرُوا شَيْئاً مِنَ الْخَيْرِ وإنْ كَبُرَ فِي أَعْيُنِكُمْ؛ فَإِنَّهُ لا كَبِيرَةَ مَعَ الاسْتِغْفَارِ، وَلا صَغِيرَةَ مَعَ الإِصْرَارِ» حسبما رواه الصدوق في الفقيه ٤: ١٧، الحديث ٤٩٦٨، وإلى ما ورد عنه ﷺ أيضاً قال: «الاستغفار مع الإصرار ذنوبٌ مجدّدةٌ» كما أورده في البحار ٧٥: ٦٣، الباب ١٦، الحديث ١٥٠، وإلى ما ورد في مناجاته ﷺ قائلاً: «اللهُمَّ إنَّ اسْتِغْفَاري إِيَّاكَ مَعَ الإِصْرَارِ عَلَى الذَّنْبِ لُؤمٌ، وَتَرْكِي لِلاسْتِغْفَارِ مَعَ سَعَة رَحْمَتِكَ عَجْزٌ. إِلَهِي كَمْ تَتَحَبَّبُ إِلَيَّ بِالنِّعَمِ وَأَنْتَ عَنِّي غَنِيٌّ، وَأَتَبَغَّضُ إِلَيْكَ بِالْمَعَاصِي وَأَنَا إِلَيْكَ مُحْتَاجٌ! فَيَا مَنْ إِذَا وَعَدَ وَفَى وإِذَا تَوَاعَدَ عَفَا، صَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِه، وَافْعَلْ بِي أَوْلَى الأَمْرَيْنِ بِكَ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» حسبما نقله في البحار ٩١: ١٣٢، الباب ٣٢: أدعية المناجاة.

٣. ورد في فضل التسبيح والتهليل عن مولانا الصادق عليه السلام أنّه قال: «مَنْ كَبَّرَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ مائَةَ مَرَّةٍ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ عِتْقِ مائَةِ رَقَبَةٍ، وَمَنْ سَبَّحَ اللهَ مائَةَ مَرَّةٍ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ سِيَاقِ مائَةِ بَدَنَةٍ، وَمَنْ حَمِدَ اللهَ مائَةَ مَرَّةٍ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ حُمْلانِ مائَةِ فَرَسٍ فِي سَبِيلِ اللهِ بِسُرُجِهَا وَلُجُمِهَا وَرُكُبِهَا، وَمَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ مائَةَ مَرَّةٍ كَانَ أَفْضَلَ النَّاسِ عَمَلاً ذَلِكَ الْيَوْمَ إِلاَّ مَنْ زَادَ» كما رواه الكليني في الكافي ٢: ٥٠٥، باب التسبيح والتهليل والتكبير، الحديث ١، ونحو غيره.

يلتفت إلى ما ورد من عقوبة نميماته وغيباته[١]! ولعمري لو كان الكرام الكاتبون يطلبون منه أجر التسبيح وما يكتبونه من هذيانه القبيح، لزاد أجر هذيانه على ثوابه، ونقصت مدّة حسناته عن مدّة عقابه.

شعر:

متى يبلغ البنيان يوماً تمامه إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

يا نفس:

وأيّ عاقلٍ يبدّل البرّ بالجفاء، أو يستكفّ النار بالحلفاء[٢ و ٣].

شعر:

واللوزة المرّة إن تبصر يفسُد بالطعم بها السكر

فالغيبة تحرق الحسنات وتبطل الطاعات[٤].

شعر:

احذري الغيبة فهي الفسق لا رخصة فيه

إنّما المغتاب كالآكل من لحم أخيه

وهي تأكل الأجر والثواب، كما تأكل النار يابس الأحطاب[٥]، بل هي أحرق من النار في الحليج[٦]، وأضرّ من الثلج بالمفاليج.

---

١. ورد في ذمّ النميمة عن مولانا الصادق عليه السلام أنّه قال: «قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام شِرَارُكُمُ الْمَشَّاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ، الْمُفَرِّقُونَ بَيْنَ الأَحِبَّةِ، الْمُبْتَغُونَ لِلْبُرَآءِ الْمَعَايِبَ» حسبما رواه في الكافي ٢: ٣٦٩، باب النميمة، والحديث ٣، وفي ذمّ الغيبة عن رسول الله صلى الله عليه وآله مرفوعاً قوله: «الغيبةُ أشدُّ من الزنا» فقيل: يا رسول الله، ولِمَ ذلك؟ قال: «صاحب الزنا يتوب فيتوب الله عليه، وصاحب الغيبة يتوب فلا يتوب الله عليه حتّى يكون صاحبه الذي يحلّه» فراجع الخصال: ٦٢، الحديث ٩٠، ونحوه غيره. ويحسن هنا الرجوع إلى باب الغيبة والنميمة في الغرر والدرر ونحوه.

٢. الحلفاء: نبتٌ حملُ قصب النشّاب، أطرافه محدّدةٌ كأنّها أطراف سعف النخل والخوص.

٣. إشارة إلى ما نسبه ورّام في مجموعته ٢: ٣٠ إلى بعض الحكماء.

٤. لعلّه إشارةٌ إلى ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله في تحريم الغيبة من قوله: «من اغتاب امرأً مسلماً، بطل صومُه ونقض وضوءُه» حسبما أورده في الفقيه ٤: ١٥، الحديث ٤٩٦٨.

٥. إشارة إلى ما نُسب إلى مولانا الإمام الصادق عليه السلام في مصباح الشريعة: ٢٠٤، الباب ١٠٠ من قوله: «والغيبة تأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب. أوحى الله عزّ وجلّ إلى موسى بن عمران عليه السلام: المغتاب هو آخر من يدخل الجنّة إن تاب، وإن لم يتب فهو أوّل من يدخل النار».

٦. الحليج: القطن المندوف.

[لزوم اقتران العلم بالعمل]

يا نفس:

الطاعة مع عدم الإيمان لا ترفع، والعلم بغير العمل لا ينفع[١]. ومثاله: مريضٌ عظم داؤه وعزّ شفاؤه، فأعلمه طبيبٌ حاذقٌ بدواءٍ موافقٍ، وفصّل له أخلاطه ومقاديره وأشراطه، فكتبه المريض بنسخةٍ مليحةٍ، وقرأه قراءةً صحيحةً، غير أنّه مال إلى إهماله، ولم يشتغل بشربه واستعماله، أفترين] علمه به من غير عملٍ يداويه، ومن شدّة مرضه يشفيه؟ هيهات لو كتب منه ألف نسخةٍ في ألف قرطاسٍ وعلّمه كافّة الناس، لم يشف من مرضه ولم ينل شيئاً من غرضه، دون أن يشتري الدواء ويقدّم الاحتماء، ثمّ يشربه في وقته وأوانه، بعد خلط أخلاطه وصحة أوزانه.

يا نفس:

وهكذا الفقيه الذي أحكم علم الطاعات ولم يعملها، وأتقن معرفة الأخلاق المحمودة وأهملها. قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾[٢] ولم يقل: قد أفلح من يعلم كيفيّة تزكيتها ومعناها، فعلمٌ بلا عملٍ كحملٍ على جملٍ. فكوني يا نفس عاملةً، ولا تكوني حاملةً، ولا تكوني كمن ينقل الوسوق[٣] من السوق، ويحمل الشهد ولا يذوق، وعلمٌ بلا عملٍ كشجرٍ بلا ثمرٍ[٤] وقوسٍ بلا وترٍ[٥].

شعر:

ترجو النجاة ولا تسلك مسالكها ... إنّ السفينة لا تجري على اليبس

يا نفس:

العلم في صدور الكسالى كشموعٍ تلمع من بين يدي الضرير المحجوب، أو كعروسٍ

---

١. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، باب ملاك العلم العمل به، فراجع واغتنم.
٢. سورة الشمس، الآية: ٩.
٣. الوسوق: الحِمل.
٤. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الحديث ٢٨١٨.
٥. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الحديث ٢٨١٩.

تُزفّ إلى الخصيّ المجبوب. فمن الغبن يا نفس أن تري المياه جاريةً ثمّ [تموتين] صاديةً[١].

شعر:

كالعيرِ في البيداء تشتكي الظمأ ... والماء فوق ظهورها محمول

ومن الخسران يا نفس جزّارٌ يأكل الميت، ومكّي لا يزور البيت.

يا نفس:

إنّ تأخير العمل عن العلم حبس الماء عن النبت، والترخّص في العمل حيلة أصحاب السبت، فلا تكوني كالجمل الطليح يتجشّم لغيره أسفاراً، أو كمثل الحمار يحمل أسفاراً[٢]. وفي الحديث: «أعظم الناس عذاباً يوم القيامة ظالمٌ لم يقلع عن ظلمه، وعالمٌ لم ينتفع بشيءٍ من علمه»[٣] و«العلم يهتف بالعمل، فإن أجابه وإلاّ ارتحل»[٤].

واعلمي: أنّ العلم والعبادة لأجلهما خُلقت الأرضون والسماوات[٥]، وأُرسلت الرسل بالبيّنات، فالعلم بمنزلة الشجرة، والعبادة بمنزلة الثمرة، فلو لم تكن لهذه الشجرة ثمرةٌ في الوجود، لم تصلح إلاّ للوقود. و] للكفعمي مؤلّف الكتاب عفا الله تعالى عنه:

شعر:

إذا المرء مع إيمانه ليس عاملاً ... بشيءٍ من الخيرات تلفاه خائنا

وذلك مثل السفن في البحر تلقها ... جوار وفي غير البحار سواكنا

---

١. أي: عطشانة.

٢. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ سورة الجمعة، الآية: ٥.

٣. لاَ أثر للخبر المذكور في المصادر المتوفّرة لدينا. نعم، ورد عن مولانا الصادق عليه السلام أنّه قال: «إنّ من أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة من وصف عدلاً وعمل بغيره» حسبما رواه في الكافي ٢: ٣٠٠، باب من وصف عدلاً وعمل بغيره، الحديث ٢، ونحوه غيره. كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «أشدّ الناس عذاباً عالمٌ لم ينتفع من علمه شيءٍ» وقال: «أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة عالمٌ لم ينفعه علمه» حسبما أوردهما في البحار ٢: ٢٧ ـ ٣٨، الباب ٩، الحديثان ٥٣ و ٦٤.

٤. إليك نصّ تمام الخبر عن مولانا الصادق عليه السلام: «الْعِلْمُ مَقْرُونٌ إِلَى الْعَمَلِ: فَمَنْ عَلِمَ عَمِلَ، وَمَنْ عَمِلَ عَلِمَ. وَالْعِلْمُ يَهْتِفُ بِالْعَمَلِ: فَإِنْ أَجَابَهُ، وَإِلاَّ ارْتَحَلَ عَنْهُ» حسبما رواه الكليني في الكافي ١: ٤٤، باب استعمال العلم، الحديث ٢، ونحوه غيره.

٥. لعلّه إشارةٌ إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

[العلم بالله وبأمره]

يا نفس:

ليس الفقيه من استفاد وأفاد، بل الفقيه من أصلح المعاد، ولا العالم من أفتى ودرّس، بل العالم من تستّر بالورع وتترّس، ولا المجتهد من بنى أساس الملّة على قياس العلّة، بل المجتهد من شغله الحقّ عن المنع والتسليم[1]، واكتفى بعلم الخضر عن علم الكليم[2]، وارعوى بمسؤولات الحشر عن المقولات العشر[3]. فلا تحسبي المتشبّه بالفقيه فقيهاً؛ فليس ذو الوجهين عند الله وجيهاً[4].

يا نفس:

مثل العالم بالله وأسمائه وصفاته وآلائه ـ وهو يقصّر في طاعته ويضجع، ويهمل أوامره ويضيّع ـ كمثل من أراد خدمة رئيسٍ أو ملكٍ نفيسٍ، فعرف الملك وأخلاقه وطبعه وأعرافه، فقصد خدمة جنابه والتعلّق بأسبابه، إلاّ أنّه مُلابسٌ لجميع ما يبغضه ويشناه، وعاطلٌ من جميع ما يحبّه ويهواه! أما كان كلّ عاقلٍ يحكم بجهالته وعظم سفاهته؟ ولا يُتصوّر أن يعرف الأسد عاقلٌ ويعرف أوصافه إلاّ وهو يتّقيه ويخافه. فعنه عليه السلام: «من ازداد علماً ولم يزدد هدىً، لم يزدد من الله إلاّ بعداً»[5].

---

١. لعلّه تلميحٌ إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في جوامع كلمه من قوله: «أَلا أُخْبِرُكُمْ بِالْفَقِيهِ حَقّ الْفَقِيهِ : مَنْ لَمْ يُقَنِّط النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ الله، وَلَمْ يُؤْمِنْهُمْ مِنْ عَذَابِ الله، وَلَمْ يُرَخِّصْ لَهُمْ فِي مَعَاصِي الله، وَلَمْ يَتْرُكِ الْقُرْآنَ رَغْبَةً عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ. أَلا لا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لَيْسَ فِيهِ تَفَهُّمٌ. أَلا لا خَيْرَ فِي قِرَاءَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَدَبُّرٌ. أَلا لا خَيْرَ فِي عِبَادَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَفَكُّرٌ. وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَىٰ: أَلا لا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لَيْسَ فِيهِ تَفَهُّمٌ. أَلا لا خَيْرَ فِي قِرَاءَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَدَبُّرٌ. أَلا لا خَيْرَ فِي عِبَادَةٍ لا فِقْهَ فِيهَا. أَلا لا خَيْرَ فِي نُسُكٍ لا وَرَعَ فِيهِ» حسبما أورده في الكافي ١: ٣٦، باب صفة العلماء، الحديث ٢، وإلى ما ورد عن مولانا الباقر عليه السلام قال: «إِنَّ الْفَقِيهَ حَقَّ الْفَقِيهِ الزَّاهِدُ فِي الدُّنْيَا الرَّاغِبُ فِي الْآخِرَةِ الْمُتَمَسِّكُ بِسُنَّةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله» كما في الكافي ١: ٧٠، باب الأخذ بالسنّة وشواهد الكتاب، الحديث ٨

٢. قيل: كان علم الخضر عليه السلام عِلم معرفة بواطنِ أُوحيت إليه، وكان علم موسى عليه السلام علم الأحكام بظاهر أقوال الناس وأفعالهم.

٣. المقولات العشر: الجوهر والكمّ والكيف والإضافة والمتى والأين والوضع والجدة وأن يفعل وأن ينفعل.

٤. لعلّه تلميحٌ إلى ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قوله: «إنّ شرّ الناس عند الله يوم القيامة ذو الوجهين» حسبما أورده الحرّ العاملي في الوسائل ١٢: ١٥٩، الباب ١٤٣، الحديث ١٦٢٤٦.

٥. اُنظر عدّة الداعي: ٧٤، القسم ٦، ورواه عنه في البحار ٢: ٣٧، الباب ٩، الحديث ٥٠، ونحوه ما ورد في مجموعة ورّام ١: ٢٢٠، ومنية المريد: ١٥٢.

[الحذر من الهوى]

يا نفس:

كيف تحبّي لقاء الله وأنت تعصينه[١]، فلو عصيت آدميّاً ما اشتهيت أن تلقينه.

شعر:

تعصـي الإلـه وأنـت تظهـر حبّـه هـذا محـالٌ فـي القيـاس بديـع
لـو كان حبّـك صادقـاً لأطعتـه إنّ المحـبّ لمـن يحـبّ مطيـع

فإيّاك وملازمة هوى الشيطان[٢]، ومجانبة رضى الرحمن؛ فإنّه يصرع الرجال، ويقطع الآجال[٣]، ويزيل النعم، ويطيل الندم.

[لزوم الحياء و الاحتياط]

يا نفس:

كلّ إثم اقترفتيه في سرّ أو علانيةٍ فهو عليك مرقومٌ، وكلّ شيءٍ يشغلك عن مراضي ربّكَ فهو عليك مشؤومٌ. فعنه ﷺ: «إنّ العبد إذا خلا فاستحيا من الله أن يعصيه ورضي باليسير ممّا قسّم له فيه، رزقه الله في الآخرة حسن المآب، وأنبت له جناحين يطير بهما إلى الجنّة بغير حسابٍ»[٤].

[آفات اللسان و فضيلة الصمت]

يا نفس:

إنّ الله خلق الآفة وجعل النطق مثارها، وقدّر السلامة وجعل الصمت مدارها، فالصمت يلزمك السلامة ويؤمنك الندامة، واللسان قليل الخير وغير مأمون الغير،

---

١. لعلّه تلميحٌ إلى ما ورد عن مولانا الصادق عليه السلام في لزوم اجتناب المعاصي من قوله: «ما أحبّ الله مَن عصاه» حسبما رواه في الوسائل ١٥: ٣٠٨، الباب ٣٠٨، الباب ٤١، الحديث ٢٠٥٩٦، وقريب منه ما عن مولانا الباقر عليه السلام قال: «ما عرف الله من عصاه» كما في تحف العقول: ٢٩٤.

٢. لعلّه إشارةٌ إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الحديث ٧٠٥٢.

٣. لعلّه إشارةٌ إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الحديث ٧٩٣٧.

٤. لم نعثر على الخبر المذكور بلفظه في المصادر المتوفّرة لدينا. نعم، يحسن هنا الرجوع إلى أبواب الحياء والخوف والرضا والقناعة من الغرر والدرر والوسائل والبحار وغيرها لمزيد الفائدة.

والصمت سلّم الخلاص[١]، والنطق يحبس الهَزار[٢] في الأقفاص، واللفظ شين[٣] المحافل، والجرس آفة القوافل. خير القوس المكتوم، وخير الشراب المختوم، رنين القسيّ يطرد الظبا، ووسواس الحليّ يوقظ الرقبا، وفرسان الكلام يوم القيامة مشاةٌ، والمتجمّلون بزخارف العبارات عراةٌ.

يا نفس:

فما اللسان إلاّ سبعٌ صوّالٌ فقيّديه، أو صارمٌ مسلولٌ فاغمديه، وسيأتي يومٌ يندم فيه الفصيح، والطير الذي يصيح، ولو كان سحبان[٤] عاقلا لتمنّى أن يكون باقلاً[٥]. وأجبن الفرسان من حارب باللسان، وأحمس الكماة من استعان على قرنه بالصمات. ولو صمت الكليم لعلم العجائب[٦]، ولو سكت يوسف لعصم من النوائب[٧]. وحصائد

١. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٤٢٥٦، ٤٢٦٦، ٤٢٥٤، ٤٢٥٢، ٤٢٥٠، ٤٢٤٥ ونحوها.

٢. الهزار: العندليب.

٣. الشين: خلاف الزين.

٤. هو سحبان بن زفر بن أياس الوائلي من باهلة، خطيب وفصيح يضرب به المثل في البيان، اشتهر في الجاهليّة وعاش زمناً في الاسلام، وكان إذا خطب يسيل عرقاً ولا يعيد كلمةً، ولا يتوقّف ولا يقعد حتّى يفرغ. راجع الأعلام للزركلي ٣: ٧٩.

٥. هو باقل الأيادي، جاهلي يضرب بعيّه المثل، قيل: اشترى ظبياً بأحد عشر درهماً فمرّ بقوم فسألوه بكم اشتريته؟ فمدّ لسانه ومدّ يديه، يريد أحد عشر، فشرد الظبي وكان تحت إبطه، والمثل ـ أعيًى من باقل ـ مشهورٌ.أُنظر الأعلام للزركلي ٢: ٤٢، والمنجد في الأعلام: ١١٣.

٦. إشارة إلى ما في قصة موسى و الخضر عليهما السلام من أسرار ولطائف، وما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قوله: «رحم الله أخي موسى عليه السلام: ... لو لبث مع صاحبه لأبصر أعجب العجائب» وقوله: «وددنا أن موسى عليه السلام كان صبر حتّى يقصّ علينا من خبرهما» حسبما أورده في تفسير بيان السعادة ٢: ٤٧٥، تفسير سورة الكهف.

٧. تلميح إلى مقالة يوسف عليه السلام: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ سورة يوسف، الآية: ٤٢، وما ترتّب عليها من البلاء، كما يستفاد من ظاهر الرواية عن مولانا الصادق عليه السلام قال: «لمّا أمر الملك بحبس يوسف ... ثمّ قال للذي ظنّ أنّه ناج منهما: اذكرني عند ربّك... فأوحى الله إلى يوسف في ساعته تلك: يا يوسف، من أراك الرؤيا التي رأيتها؟ فقال: أنت يا ربيّ. قال: فمن حبّبك إلى أبيك؟ قال: أنت يا ربّي. قال: فمن وجّه السيّارة إليك؟ قال: أنت يا ربّي. قال: فمن علّمك الدعاء الذي دعوت به حتّى جعل لك من الجبّ فرجاً؟ قال: أنت يا ربّي. قال: فمن جعل لك من كيد المرأة مخرجاً؟ قال: أنت يا ربّي. قال: فمن أنطق لسان الصبي بعذرك؟ قال: أنت يا ←

الألسنة قد تزرع العداوة، وطيّارات الكلم قد تطيّر العلاوة، فخدش اللسان ثلمةٌ لا تنسدّ، والكلام كالنبل إذا طار لا يرتدّ[١].

شعر:

رأيــــت الـلـســـان عـلــى أهـلـه إذا ساسه الجهل ليثاً مغيرا

[التحضيض على العزلة والتفرّد]

يا نفس:

وعليك بالعزلة[٢] والانفراد[٣] في طاعة المهيمن الجواد؛ فإنّ العزلة توفّر الغرض وتستر الفاقة وترفع عنك ما ليس لك به طاقةٌ[٤]، والتخلّي للعبادة دليلٌ على الفضل،

← ربّي. قال:فكيف استغثت بغيري، ولم تستغث بي وتسألني أن أُخرجك من السجن، واستغثت وأمّلت عبداً من عبادي ليذكرك إلى مخلوق من خلقي في قبضتي، ولم تفزع إليّ؟ إلبث في السجن بذنبك بضع سنين؛ بإرسالك عبداً إلى عبدٍ» حسبما أورده الحويزي في تفسير نور الثقلين ٢: ٤٢٦، تفسير سورة يوسف، ونحوه غيره.

١. لعلّه تلميحٌ إلى ما ورد عن رسول الله ﷺ في فضل الصمت والسكوت من قوله: «وما يكبّ الناس على مناخرهم في النار إلاّ حصائد ألسنتهم. ومن أراد السلامة في الدنيا والآخرة، قيّد لسانه بلجام الشرع، فلا يطلقه إلاّ فيما ينفعه في الدنيا والآخرة» حسبما أورده الديلمي في إرشاد القلوب ١: ١٠٣، الباب ٢٧، وما ورد في وصيّته لأبي ذر إذ يقول: «يا أبا ذرّ، إن الله (عزّ وجلّ) عند لسان كلّ قائلٍ، فليتّق الله امرؤٌ، وليعلم ما يقول. يا أبا ذرّ، اترك فضول الكلام، وحسبك من الكلام ما تبلغ به حاجتك. يا أبا ذرّ، كفى بالمرء كذباً أن يحدّث بكلّ ما سمعه. يا أبا ذرّ، ما من شيءٍ أحقّ بطول السجن من اللسان ... يا أبا ذرّ، وهل يكبّ الناس على مناخرهم في النار إلاّ حصائد ألسنتهم؟! إنّك لا تزال سالماً ما سكتّ، فإذا تكلّمت كتب لك أو عليك. يا أبا ذرّ، إنّ الرجل يتكلّم بالكلمة من رضوان الله (جلّ ثناؤه) فيكتب له بها رضوانه إلى يوم القيامة، وإنّ الرجل ليتكلّم بالكلمة في المجلس ليضحكهم بها فيهوي في جهنّم ما بين السماء والأرض. يا أبا ذرّ، ويلٌ للذي يحدّث فيكذب ليضحك القوم، ويلٌ له، ويلٌ له، ويلٌ له. يا أبا ذرّ، من صمت نجا، فعليك بالصدق، ولا تخرجنّ من فيك كذبة أبداً» كما رواه الشيخ في أماليه: ٥٣٥، المجلس ١٩، الحديث ١، ونحوه غيرهما.

٢. إشارة إلى ما ورد عن رسول الله ﷺ قال: «عليكم بالعزلة؛ فإنّها عبادة» حسبما أورده ورّام في مجموعته ٢: ٢٣٥.

٣. لعلّه إشارةٌ إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الحديثان ٧٣٥٢ و ٧٣٦٣، فراجع.

٤. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الحكم المنسوبة إليه في شرح نهج البلاغة ٢٠: ٢٩١، الحكمة ٣٣٤ حيث قال: «العزلة توفّر العرض، وتستر الفاقة، وترفع ثقل المكافأة».

والصبر على الوحدة علامة قوّة العقل[١].

شعر:

في عزلة المرء عن كلّ الورى نِعمٌ
أقلّها أنّه خالٍ من الكلف
يرضى القناعة مسروراً بوحدته
إذا تنازع أقوامٌ على الجيف

يا نفس:

لازمي الوحدة؛ فإنّها أسلم جانباً[٢]، ونادمي الكتب؛ فإنّها أكرم صاحباً[٣].

شعر:

فطوبى لمستجلس بيته — قنوع له بلغةٌ كافية
نداماه دون الورى كتبه — لا إثمٌ فيها ولا لاغية
فمن شرّه الناس في راحةٍ — ومن شرّهم نفسه ناجية

يا نفس:

متى فتّشت أحوال العالم وجدت الصالح منها ذا لونين، فإن ذقتيه وجدتيه ذا طعمين، فإن قلّبتيه وجدتيه ذا وجهين، فإذا استنطقتيه وجدتيه ذا لسانين، فإن كشفتيه وجدتيه ذا طبعين، وتجدين الأنام كالأنعام: قلوبهم لاهيةٌ، ومجالستهم لاغيةٌ، والفاحشة فيهم فاشيةٌ، فتنحّي عنهم ناحيةً [تجدين] الأمن والعافية[٤].

شعر:

إن أردتي سلامةً وفلاحاً — الزمي الصمت ثمّ كوني وحيدة
إنّما الإثم في مخالطة الخلق — فدعيها لكي تصيري سعيدة
كلّ نفسٍ تعاشر الناس تلفى — عند أهل التحقيق غير رشيدة
وانبذي جيفةً عليها كلابٌ — ترقنها وكوني بعيدة

---

١. إشارة إلى ما ورد عن مولانا الكاظم عليه السلام من قوله: «يا هشام، الصبر على الوحدة علامة قوّة العقل» حسبما أورده الكليني في الكافي ١: ١٧، كتاب العقل والجهل، الحديث ١٢، ونحوه غيره.

٢. لعلّه إشارةٌ إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الحديث ٧٣٦٠.

٣. لعلّه إشارةٌ إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الحديث ٢٩٤.

٤. إشارة إلى ما نسبه ورّام في مجموعته ٢: ٢٣٥ إلى بعض الحكماء.

وعن علي عليه السلام: «تبذّل ولا تشتهر، ووار شخصك ولا تذكّر، واسكت تسلم، وتعلّم واعمل تغنم»[١].

شعر:

كـن وحـيـداً فـكـلّ أهـلٍ ومـالٍ — تـعـبٌ لـلـنـفـوس والأجـسـام

إنّـمـا الله وحـده فـتـشـبّـه — بـصـفـات الـمـهـيـمـن الـعـلاّم

[لزوم الزهد عن الدنيا وأهلها]

يا نفس:

الموت يطلبك وأنت للدنيا تأملين، والله يمقتك وأنت ملء فيك تضحكين[٢]! أفبالصحّة تغترّين، أم بطول العافية تفرحين، أم من الموت تأمنين[٣]؟! فكأنّي بك وقد أمرّ منك ما كان حلواً، وكدر منك ما كان صفواً[٤].

---

١. اُنظر مستدرك الوسائل ١١: ٣٨٨، الباب ٥١، الحديث ١٣٣٤٥، ونحوه غيره. وإليك متن الخبر بلفظه عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام يخاطب فيه كميل بن زياد قال: «تَبَذَّلْ ولا تَشْهَرْ، وَوَار شَخْصَكَ وَلا تَذَكَّرْ، وَتَعَلَّمْ وَ اعْلَمْ، وَاسْكُتْ تَسْلَمْ، تَسُرُّ الأبرارَ وَتَغيظُ الْفُجّارَ، ولا عَلَيْكَ إذَا عَلِمْتَ مَعَالِمَ دِينِكَ أَنْ لا تَعْرِفَ النَّاسَ ولا يَعْرِفُوكَ».

٢. لعلّه إشارةٌ إلى ما ورد عن مولانا الحسن المجتبى عليه السلام قال: «استعدّ لسفرك، وحصّل زادك قبل حلول أجلك، واعلم أنّه تطلب الدنيا والموت يطلبك، ولا كمل يومك الذي له باب علي لومك الذي أنت فيه. واعلم أنّك لا تكسب من المال شيئاً فوق قوتك إلاّ كنت فيه خازناً لغيرك. واعلم أنّ في حلالها حساباً وحرامها عقاباً، وفي الشبهات عتابٌ. فأنزل الدنيا بمنزلة الميتة: خذ منها ما يكفيك: فإن كان ذلك حلالاً كنت قد زهدت فيها، وإن كان حراماً لم تكن قد أخذت من الميتة، وإن كان العتاب فإنّ العقاب يسيرٌ. واعمل لدنياك كأنّك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنّك تموت غداً. وإذا أردت عزّاً بلا عشيرةٍ وهيبةً بلا سلطانٍ، فاخرج من ذلّ معصية الله إلى عزّ طاعة الله عزّ وجلّ» حسبما أورده الخزّاز القميّ في كفاية الأثر: ٢٢٧، فافهم واغتنم.

٣. إشارة إلى ما نسبه ورّام في مجموعته ١: ٢٧٣ إلى بعض الحكماء.

٤. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة صلاة العيدين من قوله: «أُوصيكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ، وَكَثْرَةِ ذِكْرِ الْمَوْتِ، وَالزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا الَّتِي لَمْ يَتَمَتَّعْ بِهَا مَنْ كَانَ فِيهَا قَبْلَكُمْ، وَلَنْ تَبْقَى لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِكُمْ، وَسَبِيلُكُمْ فِيهَا سَبِيلُ الْمَاضِينَ. أَلا تَرَوْنَ أَنَّهَا قَدْ تَصَرَّمَتْ، وَآذَنَتْ بِانْقِضَاءٍ، وَتَنَكَّرَ مَعْرُوفُهَا، وَأَدْبَرَتْ حَذَّاءَ؟! فَهِيَ تُخْبِرُ بِالْفَنَاءِ، وَسَاكِنُهَا يُحْدَى بِالْمَوْتِ، فَقَدْ أَمَرَّ مِنْهَا مَا كَانَ حُلْواً، وَكَدِرَ مِنْهَا مَا كَانَ صَفْواً، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إلا سَمَلَةٌ كَسَمَلَةِ الإِدَاوَةِ وَجُرْعَةٌ كَجُرْعَةِ الإِنَاءِ يَتَمَزَّزُهَا الصَّدْيَانُ لَمْ تَنْفَعْ غُلَّتَهُ. فَأَزْمِعُوا عِبَادَ اللهِ بِالرَّحِيلِ مِنْ هَذِهِ الدَّارِ الْمَقْدُورِ عَلَى أَهْلِهَا الزَّوَالُ، الْمَمْنُوعِ أَهْلُهَا مِنَ الْحَيَاةِ، الْمُذَلَّلَةِ أَنْفُسُهُمْ بِالْمَوْتِ» حسبما رواه في الفقيه ١: ٥١٨، باب صلاة العيدين، الحديث ١٤٨٤، فراجع وتدبّر.

شعر:

وسالمتك الليالي فاغتررت بها　　　وعند صفو الليالي يحدث الكدر

فعلامَ لنفسك فتنت، وتربّصت وارتبت، حتّى جاء يوم النشور، وغرّك بالله الغرور[١]؟!

يا نفس:

كم من عامرٍ مونقٍ يخرب، وكم من سالمٍ صحيحٍ يعطب، فبادري بفعل الجميل قبل أنٍ يُنادي بالرحيل[٢]! واعلمي: أنّه من كان مطيّته الليل والنهار فإنّه يسار به وإن كان مقيما قاطنا، ويقطع المسافة وإن كان واقفاً ساكناً[٣].

شعر:

إنّ الليالي للأنام مناهل　　　تُطوى وتُنشر دونها الأعمار

أفبعد المشيب تُخدعين بالزبيب، وقد علمت: أنّ الموت قريبٌ، وللنقص في كلّ يوم منك نصيبٌ[٤]؟!

يا نفس:

لو رأيت قرب ما بقي من أجلك لزهدت في طول أملك، ولرغبت في الزيادة من صالح عملك، ولقصّرت من حرصك وحيلك. وإنّما يلقاك غداً ندمك، لو زلّت بك قدمك، وأسلمك أهلك وحشمك، وفارقك الولد القريب، ورفضك الوالد والنسيب، فلا أنت إلى دنياك عائدةٌ، ولا في حسناتك زائدةٌ، فاعملي ليوم القيامة قبل الحسرة والندامة[٥].

---

١. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللهِ وَغَرَّكُم بِاللهِ الْغَرُورُ﴾ سورة الحديد، الآية: ١٤.

٢. إشارة إلى ما نسبه ورّام في مجموعته ١: ٢٧٥ إلى بعض الحكماء.

٣. إشارة إلى ما ورد في وصيّة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام قال: «اعْلَمْ يَا بُنَيَّ: أَنَّ مَنْ كَانَتْ مَطِيَّتُهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، فَإِنَّهُ يُسَارُ بِهِ وَإِنْ كَانَ وَاقِفاً، وَيَقْطَعُ الْمَسَافَةَ وَإِنْ كَانَ مُقِيماً وَادِعاً» حسبما أورده الشريف الرضي في نهج البلاغة، الكتاب ٣١، ونحوه غيره.

٤. إشارة إلى ما نسبه ورّام في مجموعته ١: ٢٧٣ إلى بعض الحكماء.

٥. ذكر ورّام بن أبي فراس في مجموعته ١: ٢٧٤ أنّ سليمان بن عبد الملك كان بالمسجد الحرام إذا أُتي بحجرٍ منقورٍ، فطلب من يقرأه، فأُتي بوهب بن منبّه فقرأه، فإذا فيه: ابن آدم، إنّك لو رأيت قرب ما بقي من أجلك لزهدت في طول أملك، إلى آخر ما ذُكر في المتن، فلاحظ.

[التحذير من الاغترار والغفلة]

يا نفس:

ألا تستحين من التوبيخ والتعنيف على طول التسويف[١]، والذي يدعوك إلى التسويف اليوم هو معك غداً، وإنّما تزدادين بطول المدّة ردى، وكلّما فعلت حوبةً وعدت نفسك التوبة وتقولين: إن شبت تبت، أو عمّرت أنبت. ويُرى جهلك أنّ الانسان يستبعد الموت مع الشبّان، وهذا جهلٌ منك أيّها النفس القرونة[٢]، والأمر بالعكس يا مسكينة؛ لأنّ الموت في الشباب أكثر، وفي الشيوخ أنزر.

يا نفس:

ومثاله: لو عددت مشايخ بلدتك وشيب قريتك، لكانوا أقلّ من عشرة رجال، وتجدين الشبّان والأطفال أكثر منهم على كلّ حالٍ، فإلى أن يموت شيخٌ يموت ألفٌ من الأطفال والشبّان والغلمان والصبيان. على أنّ الموت ليس له وقتٌ مخصوصٌ، ولا عليه آنٌ منصوصٌ: بعيدٌ أو قريبٌ، في شبابٍ أو شيبٍ، في شتاءٍ أو صيفٍ، أو ربيعٍ أو خريفٍ. فإذن جهلك بموتك وحبّ الدنيا دعياك إلى طول الأمل واتّباع الهوى[٣].

[أحوال أهل الدنيا وبيان حقيقتها]

يا نفس:

مثل أهل الدنيا واشتغالهم بأشغالها ونسيانهم للآخرة وإهمالها كمثل قوم ركبوا السفينة في البحر للتجارة، فعدلوا إلى جزيرة لأجل الطهارة، والملاّح يناديهم: إيّاكم وطول المكث ودوام اللبث، فمن اشتغل منكم بغير الوضوء والصلاة فاتته سفينة النجاة، فالعقلاء منهم لم

---

١. لعلّه تلميحٌ إلى ما ورد عن مولانا الصادق عليه السلام في الحثّ على التوبة من قوله: «تأخير التوبة اغترارٌ، وطول التسويف حيرةٌ، والاعتلال على الله هلكةٌ، والإصرار على الذنب أمنٌ لمكر الله ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ سورة الأعراف، الآية: ٩٩» حسبما أورده المفيد في الإرشاد ٢: ٢٠٥، ونحوه غيره.

٢. القَرون والقَرونة والقرين والقرينة: النفسُ، يقال: أسمحت قَرونه وقرينه أي: ذلّت نفسه.

٣. لعلّه إشارةٌ إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قال: «إِنَّمَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ اثْنَتَيْنِ: اتِّبَاعَ الْهَوَى وَطُولَ الأَمَلِ: أَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَإِنَّهُ يَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ، وَأَمَّا طُولُ الأَمَلِ فَيُنْسِي الآخِرَةَ» حسبما رواه في الكافي ٢: ٣٣٥، باب اتّباع الهوى، الحديث ٢١، ونحوه غيره.

يمكثوا، وشرعوا في الوضوء والصلاة ولم يلبثوا، فوجدوا الأمن والعافية، وأماكن السفينة خاليةً، فجلسوا في أطهر الأماكن وأوفقها، وأطيب المواضع وأرفقها.

يا نفس:

ومنهم من وقف ينظر إلى شجرة تلك الجزيرة وأثمارها، ويستمع إلى طيب ترنّم أطيارها[١]، فغفلوا لذلك غفلةً قليلةً أعقبتهم حسرةً طويلةً، فلمّا عادوا إلى المركب لم يجدوا مفرجاً، بل مكاناً حرجاً، فقعدوا في أضيق المواطن وأظلمها، وأحرج الأماكن وأشأمها.

يا نفس:

ومنهم من لم يقتنع بالنزهة والتفرّج وأطال مدّة المكث والتبرّج، واشتغلوا بجمع ما في الجزيرة من اللآلئ الثمينة، ولم يلتفتوا إلى مناداة الملاّح في السفينة، فتحيّروا إذ ذهبت السفينة في الرجوع، وغار من الجزيرة الينبوع، ثمّ جدّت من شروشها، وخرّت على عروشها. فمنهم من هوى فيها صريعاً أو مات بها جوعاً، ومنهم من أهلكته السباع وأكلته الضباع. فالقوم المتقدّمون هم المؤمنون، والقوم المتوسّطون هم الذين للطاعة والمعصية يخلطون، والقوم المتأخّرون هم المجرمون.

يا نفس:

ومثل أهل الدنيا كضيفٍ دعي إلى دارٍ فيها فائدةٌ، وطعامٍ تأنّق فيه على مائدةٍ، وعادة المضيف أن يزيّن للأضياف داره، ويدعو إليها زوّاره، ويضع بين أيديهم طبقاً من الذهب مملوءاً من الرطب، ومجمرةً[٢] من فضّةٍ فيها من العود والبخور ما يتطيّب به أُولئك الحضور.

يا نفس:

فالعاقل [ترينه] قد تطيّب وانطلق، ولم يطمع في تناول المجمرة والطبق، والجاهل لعظم الجهالة يتوهّم أنّ المجمرة والطبق قدّ وُهبا له، فأخذ عند خروجه الطبق والمجمرة، فأُخذا منه قهراً، فما أخسره! فضاق صدره وأتعب قلبه، وطلب الإقالة إذ أظهر ذنبه،

---

١. أي: أصوات طيورها وحسنها.

٢. المجمرة: التي يُوضع فيها الجمر.

وجلّله عار ذلك وغشّاه، ودرّعه وردّاه[١]. فالدنيا كمثل دار الضيافة: يتزوّد منها من يريد قطع المسافة، ولا يطمع فيما في الدار من المتاع؛ لما وصفناه من عاقبة الارتجاع.

يا نفس:

مثلُ من ترك الدنيا وطلّقها وأبغضها وفارقها كمثل قوم نبا بهم منزلٌ جديبٌ[٢]، فأمّوا بمنزلٍ خصيب[٣]، فاحتملوا وعثاء[٤] الطريق وفراق الصّديق، ليأتوا سعة دارهم ومنزل قرارهم، فليس يجدون لشيءٍ من ذلك ألماً، ولا يرون النفقة فيه مغرماً، ولا شيء أحبّ إليهم ممّا قرّبهم إلى منزلهم، وأدناهم إلى محلّهم[٥].

يا نفس:

ومثل من اغترّ بها وحواها وصحبها كمثل قوم كانوا بمنزلٍ خصيبٍ، فنبا بهم منزلٌ جديبٌ، فلا شيء أكره إليهم ولا أفظع لديهم ـ إلى ما كانوا فيه ـ إلى ما يهجمون عليه ويصيرون إليه[٦].

يا نفس:

لو أُعطيت في دنياك ديناراً في سهر ليلةٍ، لملت إلى ذلك ميلةً وأيّة ميلةٍ، خصوصاً

---

١. لعلّه تلميحٌ إلى ما ورد عن ابن عبّاس من قوله: إن الله جعل الدنيا ثلاثة أجزاء: جزءٍ للمؤمن وجزءٍ للمنافق وجزءٍ للكافر: فالمؤمن يتزوّد، والمنافق يتزيّن، والكافر يتمتّع. اُنظر مجموعة ورّام ١: ١٣٧، باب ذمّ الدنيا.

٢. أي: انقاد بهم منزل جديب ذو قحط، فلم يوافقهم ولم يجدوا به قراراً.

٣. الخصب نقيض الجدب، وهو كثرة العشب ورفاغة العيش.

٤. أي: شدّة ومشقّة.

٥. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في وصيّته لابنه الحسن عليه السلام إذ يقول: «يَا بُنَيَّ، إنِّي قَدْ أَنْبَأْتُكَ عَنِ الدُّنْيَا وَحَالِهَا وَزَوَالِهَا وَانْتِقَالِهَا، وَأَنْبَأْتُكَ عَنِ الآخِرَةِ وَمَا أُعِدَّ لأَهْلِهَا فِيهَا، وَضَرَبْتُ لَكَ فِيهِمَا الأَمْثَالَ؛ لِتَعْتَبِرَ بِهَا، وَتَحْذُوَ عَلَيْهَا. إنَّمَا مَثَلُ مَنْ خَبَرَ الدُّنْيَا كَمَثَلِ قَوْمٍ سَفْرٍ نَبَا بِهِمْ مَنْزِلٌ جَدِيبٌ، فَأَمُّوا مَنْزِلاً خَصِيباً وَجَنَاباً مَرِيعاً، فَاحْتَمَلُوا وَعْثَاءَ الطَّرِيقِ وَفِرَاقَ الصَّدِيقِ وَخُشُونَةَ السَّفَرِ وَجُشُوبَةَ المَطْعَمِ؛ لِيَأْتُوا سَعَةَ دَارِهِمْ وَمَنْزِلَ قَرَارِهِمْ، فَلَيْسَ يَجِدُونَ لِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ أَلَماً، وَلا يَرَوْنَ نَفَقَةً فِيهِ مَغْرَماً، وَلا شَيْءَ أَحَبُّ إلَيْهِمْ مِمَّا قَرَّبَهُمْ مِنْ مَنْزِلِهِمْ وَأَدْنَاهُمْ مِنْ مَحَلَّتِهِمْ» حسبما أورده الشريف الرضي في نهج البلاغة، الكتاب ٣١، ونحوه غيره.

٦. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في وصيّته لابنه الحسن عليه السلام إذ يقول: «وَمَثَلُ مَنِ اغْتَرَّ بِهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ كَانُوا بِمَنْزِلٍ خَصِيبٍ، فَنَبَا بِهِمْ إلَى مَنْزِلٍ جَدِيبٍ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إلَيْهِمْ وَلا أَفْظَعَ عِنْدَهُمْ مِنْ مُفَارَقَةِ مَا كَانُوا فِيهِ إلَى مَا يَهْجُمُونَ عَلَيْهِ وَيَصِيرُونَ إلَيْهِ» حسبما أورده الشريف الرضي في نهج البلاغة، الكتاب ٣١، ونحوه غيره.

إذا كان في مزاحٍ ولغوٍ وسماعٍ ولهوٍ! ولو أُعطيت على سهرها لأداء نفلٍ أو فرضٍ قصراً من الذهب يوم النشور والعرض، لكنت عن ذلك نائمةً، وله غير رائمة[1]! فيا عجباه منك إذ تبتغي قصراً من قصّارٍ بدينارٍ، وتستبدلي الجنّة بالنار!

يا نفس:

ولو قيل لك: خذي هذا الدينار على عدم إفطار هذا النهار، لجعلت الصوم أمراً واجباً وفرضاً لازماً! ولو قيل لك: يفتح لك بصومه أبواب الجنان وتغلق عنك أبواب النيران[2]، لكنت في ذلك غير راغبةٍ، وله غير طالبةٍ! فيا عجباه منك إذ تبيعي غرفات الجنان الباقية بشيءٍ يسيرٍ من الذهبات الفانية!

[وجه كراهة الموت وضرورة الاستعداد له]

يا نفس:

إنّما كرهت الموت لأنّك عمّرت دنياك، وأخربت أخراك، فأنت لا تريدين إلى الخراب الرحلة، وتكرهين من العمران النقلة[3]. إن قلتِ: كيف ترى حالي عند الله ومَالي؟ قلتُ: اعرضي نفسك على القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ *وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾[4]: فإن كنت من الأبرار فالجنّة مأواك، وإن كنت من

---

١. أي: طالبة.

٢. لعلّه إشارةٌ إلى ما ورد عن رسول الله ﷺ لمّا حضر شهر رمضان قال:«أيّها الناس، إنّ هذا الشهر قد حضركم، وهو سيّد الشهور، فيه ليلةٌ خيرٌ من ألف شهر، تغلق فيه أبواب النيران، وتفتح فيه أبواب الجنان» حسبما رواه الصدوق في أماليه: ٥٨ المجلس١٤، الحديث ٢ ونحوه غيره.

٣. إشارة إلى ما ورد عن مولانا الصادق عليه السلام أنّه قال: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى أَبِي ذَرّ فَقَالَ: يَا أَبَا ذَرّ، مَا لَنَا نَكْرَهُ الْمَوْتَ؟ فَقَالَ: لأَنَّكُمْ عَمَرْتُمُ الدُّنْيَا، وَأَخْرَبْتُمُ الآخِرَةَ، فَتَكْرَهُونَ أَنْ تُنْقَلُوا مِنْ عُمْرَانٍ إِلَى خَرَابٍ. فَقَالَ لَهُ: فَكَيْفَ تَرَى قُدُومَنَا عَلَى اللهِ؟ فَقَالَ: أَمَّا الْمُحْسِنُ مِنْكُمْ فَكَالْغَائِبِ يَقْدَمُ عَلَى أَهْلِهِ، وَأَمَّا الْمُسِيءُ مِنْكُمْ فَكَالآبِقِ يُرَدُّ عَلَى مَولاهُ. قَالَ: فَكَيْفَ تَرَى حَالَنَا عِنْدَ اللهِ؟ قَالَ: اعْرِضُوا أَعْمَالَكُمْ عَلَى الْكِتَابِ: إِنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ *وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [سورة الانفطار، الآيتان: ١٣ ـ ١٤]. قَالَ: فَقَالَ الرَّجُلُ: فَأَيْنَ رَحْمَةُ اللهِ؟ قَالَ: رَحْمَةُ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ» حسبما أورده الكليني في الكافي ٢: ٤٥٨، باب محاسبة العمل، الحديث ٢٠، ونحوه غيره.

٤. سورة الانفطار، الآيتان: ١٣ ـ ١٤.

الفجّار فالنار مثواك. فإن قلتِ: أين حجّي وزكاتي وصومي وصلاتي؟ قلتُ: اعرضيه على الكتاب المبين في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[١]: فإن كنت من المتّقين صلحت أحوالك وتقبّلت أعمالك، وإن كنت من العاصين اقمطرّ نكالك[٢] وعظم وبالك. فإن قلتِ: فأين شفاعة الرسول يوم العرض المهول؟ قلتُ: اعرضيه على الكتاب المكنون في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾[٣]: فإن كنت لله طائعةً ومن خشيته فازعةً، شفع فيك أهل الشفاعة، وإن كنت مزجاة البضاعة في الطاعة، فأنت من أهل الإضاعة. فإن قلتِ: فأين رحمة الله الواسعة ومننه المتتابعة؟ قلتُ: اعرضيه على الكتاب المبين في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[٤]: إن كنت من المحسنين رحمت، وإن كنت من المسيئين نقمت.

يا نفس:

لست مستعدّةً للموت إذ أتاك، ولا أنت مجمعةٌ عن التحوّل عن هواك. أترين بعد الموت داراً لك فيها كرّةٌ؟ وهل تأمنين الموت أن يأتيك على غرّة[٥]؟ واعلمي: أنّ يومك هذا يومٌ موجودٌ، وهو ماضٍ ولا يعود[٦]، والله تعالى سائلك عنه فيما أفنيته: فهل شكرت الله فيه أو حمدته، أو قضيت حاجة مؤمن فيه ؟ وهل بظهر الغيب في أهله وولده حفظته، أو نفّست عنه كربة وأعنته[٧]؟

---

١. سورة المائدة، الآية: ٢٧.

٢. أي: انتشر واشتدّ عقوبتك.

٣. سورة الأنبياء، الآية: ٢٨.

٤. سورة الأعراف، الآية: ٥٦.

٥. إشارة إلى ما نسبه ورّام في مجموعته ٢: ٢٢٣ إلى بعض الحكماء. ثمّ إنّ كرّة بمعنى: رجعة، وغرّة بمعنى: غفلة.

٦. لعلّه إشارةٌ إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الحديث ٣٠٥٩، فراجع.

٧. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في جواب من سأل: «يا أمير المؤمنين، وكيف يحاسب الرجلُ نفسه؟ قال:إذَا أَصْبَحَ ثُمَّ أَمْسَى رَجَعَ إِلَى نَفْسِهِ وقَالَ: يَا نَفْسُ، إِنَّ هَذَا يَوْمٌ مَضَى عَلَيْكِ لا يَعُودُ إِلَيْكِ أَبَداً، وَاللهِ سَائِلُكِ عَنْهُ فِيمَا أَفْنَيْتِهِ، فَمَا الَّذِي عَمِلْتِ فِيهِ: أَذَكَرْتِ اللهَ أَمْ حَمِدْتِيهِ؟ أَقَضَيْتِ حَقَّ أَخٍ مُؤْمِنٍ؟ أَنَفَّسْتِ عَنْهُ كُرْبَتَهُ؟ أَحَفِظْتِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ فِي أَهْلِهِ وَوُلْدِهِ؟ أَحَفِظْتِيهِ بَعْدَ الْمَوْتِ فِي مُخَلَّفِيهِ؟ أَكَفَفْتِ عَنْ غِيبَةِ أَخٍ مُؤْمِنٍ بِفَضْلِ جَاهِكِ؟ أَأَعَنْتِ مُسْلِماً؟ مَا الَّذِي صَنَعْتِ فِيهِ؟» حسبما أورده في البحار ٦٧: ٦٩، الباب ٤٥، الحديث ١٦، نقلاً عن التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام، ونحوه غيره.

[بيان ساعات العاقل]

يا نفس:

إنّ في صحف إبراهيم عليه وعلى نبيّنا أفضل الصلاة والسلام أنّ: «للعاقل أربع ساعاتٍ: فساعةً يخلو فيها للطاعات، وساعةً للفكر في المصنوعات، وساعةً يحاسب فيها نفسه على الزلاّت، وساعةً يقضي فيها وطره فيما يحلّ من اللذّات»[١]. فطوبى لمن صلحت سريرته، وحسنت علانيته، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من مقاله[٢].

[لزوم اليقظة والانتباه]

يا نفس:

في الحديث: «خصلتان تدخلان النعيم وتقيان الجحيم، وهما احتمال ما يكره إذا أحبّه الله، وترك ما يحب إذا أبغضه الله»[٣]. واعلمي: أنّ أكثر يوم القيامة حسرةً من قتل فائدة خيره، ورأى حسناته في ميزان غيره، أدخل الله هذا بماله الجحيم، وأدخل الله وارثه بماله النعيم[٤].

---

١. إليك نصّ الحديث الوارد عن رسول الله ﷺ: «وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن يكون له أربع ساعاتٍ: ساعةٍ يناجي فيها ربّه، وساعةٍ يفكّر في صنع الله تعالى، وساعةٍ يحاسب في نفسه فيما قدّم وأخّر، وساعةٍ يخلو فيها لحاجته من الحلال في المطعم والمشرب» حسبما أورده في إرشاد القلوب ١: ١٣٩، الباب ٤٤، ونحوه غيره. وأمّا ما هو مرقومٌ في حكمة آل داود ـ كما لعلّ نظر المصنّف إليه ـ فهو قوله عليه السلام:«على العاقل أن لا يغفل عن أربع ساعاتٍ: فساعةً فيها يناجي ربّه، وساعةً فيها يحاسب نفسه، وساعةً يفضي إلى إخوانه الذين يصدقونه عن عيوب نفسه، وساعةً يخلّي بين نفسه وبين لذّتها فيما يحلّ ويجمل؛ فإنّ هذه الساعة عونٌ لتلك الساعات» كما ذكره ورّام في مجموعته ٢: ٢٣، فلاحظ.

٢. إشارة إلى ما ورد عن رسول الله ﷺ في الإنصاف و العدل من قوله: «طُوبَى لِمَنْ طَابَ خُلُقُهُ، وَطَهُرَتْ سَجِيَّتُهُ، وَصَلَحَتْ سَرِيرَتُهُ، وَحَسُنَتْ عَلانِيَتُهُ، وَأَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ، وَأَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ قَوْلِهِ، وَأَنْصَفَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ» حسبما رواه في الكافي ٢: ١٤٤، باب الإنصاف والعدل، الحديث ١، ونحوه غيره.

٣. لم نعثر على الخبر المذكور بلفظه في المجامع الحديثيّة وغيرها. نعم، ورد عن مولانا الصادق عليه السلام أنّه قال لسفيان الثوري: «يا سفيان، خصلتان من لزمهما دخل الجنة». قال: وما هما يا ابن رسول الله؟ قال: «احتمال ما يكره إذا أحبّه الله، وترك ما يحبّ إذا أبغضه الله. فاعمل بها وأنا شريكك» حسبما نقله ورّام في مجموعته ٢: ١٠٩ والكراجكي في معدن الجواهر: ٢٧.

٤. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في جواب من سأل: «من أعظمُ الناسِ حسرةً؟ قال: من رأى ماله في ميزان غيره، وأدخله الله به النار، وأدخل وارثه به الجنّة» حسبما أورده في البحار ٧٠: ١٤٢، ←

يا نفس:

لا تعمرين الدنيا ؛ فلا بدّ من فراق حملها[١]، وصانعي وجهاً واحداً يكفيك الوجوه كلّها[٢]. واعلمي: الويل كلّ الويل لمن باع نعيماً دائم البقاء بكسرةٍ تفنى وخرقةٍ تبلى[٣].

شعر:

كفى حزناً إلاّ حياة لذيذة ... ولا عمل يرضى به الله صالح

[الحضّ على الإخلاص والصلاح]

يا نفس:

في الحديث: «إنّ الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»[٤]. فاتّقي في الخلوات المآثم؛ فإنّ الشاهد هو الحاكم[٥]. واعلمي: أنّ في طلب الدنيا ذلّ النفوس، وفي طلب الآخرة عزّ النفوس، فيا عجباه لمن يختار المذلّة في طلب ما يفنى، ويترك العزّ في طلب ما يبقى[٦]!

شعر:

.... فمرتجعٌ بموتٍ أو زوال

← الباب ١٢٣، الحديث ٢١، نقلاً عن التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام. وقريبٌ منه ما رواه المفيد في مجالسه: ٢٠٥، المجلس ٢٣، الحديث ٣٥ عن أحدهما عليهما السلام في معنى قوله عزّ وجلّ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُواْ مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾[سورة البقرة، الآية: ١٦٧] قال: «الرجل يكسب مالاً، فيحرم أن يعمل فيه خيراً فيموت، فيرثه غيره، فيعمل فيه عملاً صالحاً، فيرى الرجل ما كسب حسناتٍ في ميزان غيره».

١. لعلّه تلميحٌ إلى بعض ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة، الخطبة ٢٢١، فراجع وتبصّر.

٢. قال أويس القرني: ما سمعت كلمةً كانت للحكماء أنفع لي من قولهم: صانع وجهاً واحداً يكفك الوجوه كلّها. كذا أورده ورّام في مجموعته ٢: ١١٣، فلاحظ.

٣. إشارة إلى ما ورد بلفظه عن رسول الله صلى الله عليه وآله مرفوعاً، حسبما نقله ورّام في مجموعته ٢: ١١٨.

٤. أُنظر أمالي الشيخ الطوسي: ٥٣٥، المجلس ١٩، الحديث ١، جامع الأخبار: ١٠٠، الفصل ٥٦، ومستدرك الوسائل ١١: ٢٦٤، الباب ٢٠، الحديث ١٢٩٥١، وغيرها.

٥. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة، الحكمة ٣٢٤ من قوله: «اتّقوا معاصي الله في الخلوات؛ فإنّ الشاهد هو الحاكم» ونحوه غيره.

٦. إشارة إلى ما نسبه ورّام في مجموعته ٢: ١٢٦ إلى بعض الحكماء.

[ملاك الضرّ والنفع]

يا نفس:

ما يضرّك ـ إذا رزقت خير الآخرة ـ ما فاتك من الدنيا وأصابك من شدائدها، وما ينفعك ـ إذا حرمت خير الآخرة ـ ما أصابك من الدنيا وفوائدها[1] ؟

شعر:

ما عذر من يعمر أوطانه	وجسمه مستهدمٌ يخرب
يبكي على الذاهب من ماله	وإنّما يبقى الذي يذهب

[لزوم اتّقاء المعاصي والشهوات]

يا نفس:

لا تنظري إلى صغير الخطيئة، ولكن اُنظري إلى مَن عصيت[2]، ولا ترثي لمن ظلمت، ولكن ارثي لسوء ما جنيت. واعلمي: أنّ ما قلّ وكفى خيرٌ ممّا كثر وألهى[3]، وأنّ صاحب الدينارين أطول حساباً من صاحب الدرهمين[4]، وأنّ النوم على المزابل وأكل خبز الشعير في طلب الجنّة ولذّاتها يسيرٌ[5].

شعر:

خبزُ شعيرٍ وماء بئرٍ	وثوب قطنٍ مع السلامة
أفضل من نعمةٍ جزيلةٍ	تكون عقباها الندامة

---

١. إشارة إلى ما نسبه ورّام في مجموعته ٢: ٢١٨ إلى بعض الحكماء.

٢. إشارة إلى ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله في وصيّته لأبي ذرّ قال: «يا أبا ذر، لا تنظر إلى صغر الخطيئة، ولكن اُنظر إلى مَن عصيت» حسبما رواه الشيخ في أماليه: ٥٢٧، المجلس ١٩، الحديث ١، ونحوه غيره.

٣. إشارة إلى ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله بلفظه، حسبما رواه الصدوق في الفقيه ٤: ٣٧٦، الحديث ٥٧٦٤، ونحوه غيره.

٤. إشارة إلى ما نسبه ورّام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من أدنى تفاوت، فراجع مجموعته ٢: ٢٣٠.

٥. إشارة إلى ما ورد عن مولانا الصادق عليه السلام في ذمّ حب الدنيا من قوله: «مَرَّ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عليه السلام عَلَى قَرْيَةٍ قَدْ مَاتَ أَهْلُهَا وَطَيْرُهَا وَدَوَابُّهَا فَقَالَ: أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَمُوتُوا إِلاَّ بِسَخْطَةٍ، وَلَوْ مَاتُوا مُتَفَرِّقِينَ لَتَدَافَنُوا. فَقَالَ الْحَوَارِيُّونَ: يَا رُوحَ اللهِ وَكَلِمَتَهُ، ادْعُ اللهَ أَنْ يُحْيِيَهُمْ لَنَا، فَيُخْبِرُونَا مَا كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ فَنَجْتَنِبَهَا ... فَالْتَفَتَ عِيسَى عليه السلام إِلَى الْحَوَارِيِّينَ فَقَالَ: يَا أَوْلِيَاءَ اللهِ، أَكْلُ الْخُبْزِ الْيَابِسِ بِالْمِلْحِ الْجَرِيشِ وَ النَّوْمُ عَلَى الْمَزَابِلِ خَيْرٌ كَثِيرٌ مَعَ عَافِيَةِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ» حسبما رواه في الكافي ٢: ٣١٨، باب حبّ الدنيا والحرص عليها، الحديث ١١، ونحوه غيره.

[الحثّ على الطاعة والتقوى]

يا نفس:

عجباً لمن عرف الله كيف يقترف السيّئات، ولمن أيقن بالموت كيف تهنؤه اللذّات، ولمن تحقّق البعث والحساب كيف يترك الطاعات[١] ! واعلمي: أنّ تقوى الله زادٌ لا يفنى[٢]، والعمل الصالح كفنٌ لا يبلى[٣]، فإيّاكِ أن يراك الله حيث زجرك، أو يفقدك حيث أمرك[٤].

[آفات الشهوة والبطنة]

يا نفس:

الكيّس العاقل من يهدم دنياه فيبني بها أُخراه، والأحمق الجاهل من يهدم أُخراه فيبني بها دنياه[٥]. واعلمي: أنّك لا تدركين ما تأملين إلاّ بالصبر على ما تكرهين، ولا تبلغين ما تريدين إلاّ بترك ما تشتهين[٦]. وإيّاك والبطنة؛ فإنّها ثقلٌ في الحياة، ونتنٌ في

---

١. إشارة إلى ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله في وصيّته لأبي ذرّ من قوله في جواب سؤاله عمّا اشتملت عليه صحف موسى عليه السلام : «كانت عبراً كلّها وفيها: عجبٌ لمن أيقن بالنار ثمّ ضحك! عجبٌ لمن أيقن بالموت كيف يفرح! عجبٌ لمن أبصر الدنيا وتقلّبها بأهلها حالاً بعد حالٍ ثمّ هو يطمئنّ إليها! عجبٌ لمن أيقن بالحساب ثمّ لم يعمل» حسبما رواه الشيخ في أماليه: ٥٣٩، المجلس ١٩، الحديث ٢، ونحوه غيره.

٢. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٥٩٣٩، ٥٩٤٤، ٥٩٤٥.

٣. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الأحاديث ٢٩٤٧، ٢٨٨٢، ٢٨٨٣، ٢٨٨٨، ٢٨٦٦.

٤. إشارة إلى ما أورده الحرّ العاملي في الوسائل ١٥: ٢٣٩ ، الباب ١٩، الحديث ٢٠٣٨١ قال: «أَتَى رَجُلٌ أَبَا عَبْدِ اللهِ عليه السلام فَقَالَ لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللهِ، أَوْصِنِي. فَقَالَ: لا يَفْقِدُكَ اللهُ حَيْثُ أَمَرَكَ، وَلا يَرَاكَ حَيْثُ نَهَاكَ. قَالَ: زِدْنِي. قَالَ: لا أَجِد» ونحوه غيره.

٥. إشارة إلى ما نسبه ورّام في مجموعته ٢: ٢٩٧ إلى بعض العلماء.

٦. إشارة إلى ما أورده الطبرسي في مشكاة الأنوار: ١٨٢ قال: كتب أبو ذرّ إلى سلمان رحمهما الله: أمّا بعد، فإنّك لن تنال ما تريد إلاّ بترك ما تشتهي، ولن تبلغ ما تأمر إلاّ بالصبر على ما تكره . فليكن قولك ذكراً، ونظرك عبراً، وصمتك تفكّراً. واعلم: أنّ أعجز الناس عجزاً من أتبع نفسه هواها وتمنّى على الله الأماني، وأنّ أكيس الناس كيساً من دان نفسه لله وعمل لما بعد الموت.

الممات[١]، فمن لزمها كثرت أسقامه، وفسدت أحلامه[٢]؛ لأنّه إذا امتلأت المعدة قلّت الإفادة، وقعدت الأعضاء عن العبادة[٣].

والعجب أنّك تعلمين: أنّ البطنة خزانتها الكنيف، وأنّ الصدقة خزانتها اللطيف، وأنّ الصدقة بالدرهم السخيف يُحذي الخطوة بالقصر المنيف، ثمّ تكوني عند الصدقة راقدةً، وفي ثوابها العظيم زاهدةً[٤] !

[آثار صلاة الليل]

يا نفس:

في الحديث: أنّ صلاة الليل من السنّة، ومفتاح الجنّة، بها تقبل الأعمال، وتنمو الأموال، وتكون لمصلّيها مؤنساً في القبر، وسراجاً وظلاًّ فوق رأسه في الموقف، وتاجاً وستراً بينه وبين النار، وحجّةً وجوازاً على الصراط، ومحجّةً ونوراً يسعى أمامه، وثقلاً في

---

١. إشارة إلى ما نسبه ورّام في مجموعته ١: ١٠٢ إلى بعض الحكماء.

٢. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الغرر والدرر، الحديث ٨١٦١

٣. إشارة إلى ما نسبه ورّام في مجموعته ١: ١٠٢ إلى لقمان الحكيم.

٤. لا ينبغي الذهول عمّا ورد في الصدقة من فضلٍ عظيم وثواب جسيم. فمنها: ما رواه ثقة الإسلام الكليني في الكافي ٢: ٤، باب فضل الصدقة، الحديث ٣ عن مولانا الباقر عليه السلام قال: «لأَنْ أَحُجَّ حَجَّةً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ رَقَبَةً وَرَقَبَةً حَتَّى انْتَهَى إِلَى عَشَرَةٍ وَمِثْلَهَا وَمِثْلَهَا حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَبْعِينَ. وَلأَنْ أَعُولَ أَهْلَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أُشْبِعَ جَوْعَتَهُمْ وَأَكْسُوَ عَوْرَتَهُمْ وَأَكُفَّ وُجُوهَهُمْ عَنِ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحُجَّ حَجَّةً وَحَجَّةً وَحَجَّةً حَتَّى انْتَهَى إِلَى عَشْرٍ وَعَشْرٍ وَعَشْرٍ وَمِثْلَهَا وَمِثْلَهَا حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَبْعِينَ». ومنها ما رواه الكليني أيضاً في الباب المتقدّم، الحديث ٥ عن مولانا الصادق عليه السلام قال: «دَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ، وَادْفَعُوا الْبَلاءَ بِالدُّعَاءِ، وَاسْتَنْزِلُوا الرِّزْقَ بِالصَّدَقَةِ؛ فَإِنَّهَا تُفَكُّ مِنْ بَيْنِ لُحِيِّ سَبْعِمائَةِ شَيْطَانٍ. وَلَيْسَ شَيْءٌ أَثْقَلَ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنَ الصَّدَقَةِ عَلَى الْمُؤْمِنِ، وَهِيَ تَقَعُ فِي يَدِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَبْلَ أَنْ تَقَعَ فِي يَدِ الْعَبْدِ». ومنها: ما أورده في الباب المتقدّم أيضاً، الحديث ١١ عن مولانا الصادق عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: تَصَدَّقُوا وَلَوْ بِصَاعٍ مِنْ تَمْرٍ، وَلَوْ بِبَعْضِ صَاعٍ، وَلَوْ بِقَبْضَةٍ، وَلَوْ بِبَعْضِ قَبْضَةٍ، وَلَوْ بِتَمْرَةٍ، وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ. فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ لَيِّنَةٍ؛ فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لاقِ اللهَ فَقَائِلٌ لَهُ: أَلَمْ أَفْعَلْ بِكَ؟ أَلَمْ أَجْعَلْكَ سَمِيعاً بَصِيراً؟ أَلَمْ أَجْعَلْ لَكَ مَالاً وَوَلَداً؟ فَيَقُولُ: بَلَى. فَيَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: فَانْظُرْ مَا قَدَّمْتَ لِنَفْسِكَ. قَالَ: فَيَنْظُرُ قُدَّامَهُ وَخَلْفَهُ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، فَلا يَجِدُ شَيْئاً يَقِي بِهِ وَجْهَهُ مِنَ النَّارِ» فراجع وتفطّن.

ميزانه يوم القيامة. وهي مطردةٌ للأدواء والبليّات، ومرضاةٌ لربّ الأرضين والسماوات[١]. وهي المشار إليها بقوله: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾[٢]. وفي الحديث عن النبيّ المختار: «ركعتان بالليل أفضل من ألف ركعةٍ بالنهار»[٣].

[الحضّ على الدعاء]

يا نفس:

عليكِ بالدعاء؛ فإنّه مفاتيح الرحمة، ومجاديح النعمة[٤]، ومقاليد الفلاح، ومصابيح النجاح. وخير الدعاء ما صدر عن صدرٍ نقيّ، وقلبٍ تقيّ. وفي المناجاة سبب النجاة، وفي الإخلاص يكون الخلاص. وإذا اشتدّ الفزع فإلى الله المفزع[٥].

شعر:

يا من يرى ما في الضمير ويسمع   أنت المعدّ لكلّ ما يتوقّع

---

١. إشارة إلى ما ورد عن مولانا الصادق عليه السلام في غرر أحاديثه إذ يقول: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: صَلاةُ اللَّيْلِ مَرْضَاةُ الرَّبِّ، وَحُبُّ الْمَلائِكَةِ، وَسُنَّةُ الأَنْبِيَاءِ، وَنُورُ الْمَعْرِفَةِ، وَأَصْلُ الإِيمَانِ، وَرَاحَةُ الأَبْدَانِ، وَكَرَاهِيَةُ الشَّيْطَانِ، وَسِلاحٌ عَلَى الأَعْدَاءِ، وَإِجَابَةٌ لِلدُّعَاءِ، وَقَبُولُ الأَعْمَالِ، وَبَرَكَةٌ فِي الرِّزْقِ، وَشَفِيعٌ بَيْنَ صَاحِبِهَا وَبَيْنَ مَلَكِ الْمَوْتِ، وَسِرَاجٌ فِي قَبْرِهِ، وَفِرَاشٌ تَحْتَ جَنْبِهِ، وَجَوَابٌ مَعَ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ، وَمُونِسٌ وَزَائِرٌ فِي قَبْرِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ كَانَتِ الصَّلاةُ ظِلاً فَوْقَهُ، وَتَاجاً عَلَى رَأْسِهِ، وَلِبَاساً عَلَى بَدَنِهِ، وَنُوراً يَسْعَى بَيْنَ يَدَيْهِ، وَسِتْراً بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ، وَحُجَّةً لِلْمُؤْمِنِ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ تَعَالَى، وَثِقْلاً فِي الْمِيزَانِ، وَجَوَازاً عَلَى الصِّرَاطِ، وَمِفْتَاحاً لِلْجَنَّةِ؛ لأَنَّ الصَّلاةَ تَكْبِيرٌ وَتَحْمِيدٌ وَتَسْبِيحٌ وَتَمْجِيدٌ وَتَقْدِيسٌ وَتَعْظِيمٌ وَقِرَاءَةٌ وَدُعَاءٌ. وَإِنَّ أَفْضَلَ الأَعْمَالِ كُلِّهَا الصَّلاةُ لِوَقْتِهَا» حسبما أورده المجلسي في البحار ٨٤: ١٦١، الباب ٦، الحديث ٥٢، ونحوه غيره، فراجع وتدبّر.

٢. سورة هود، الآية: ١١٤.

٣. لم نعثر على الخبر المذكور بلفظه، ولعلّ مراده ما أورده المجلسي في البحار ٨٤ : ١٤٨، الباب ٦، الحديث ٢٣ بالإسناد عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «الركعتان في جوف الليل أحبُّ إليّ من الدنيا وما فيها».

٤. مجاديح السماء: أنواؤها.

٥. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «الدُّعَاءُ مَفَاتِيحُ النَّجَاحِ، وَمَقَالِيدُ الْفَلاحِ. وَخَيْرُ الدُّعَاءِ مَا صَدَرَ عَنْ صَدْرٍ نَقِيٍّ. وَقَلْبٍ تَقِيٍّ وَفِي الْمُنَاجَاةِ سَبَبُ النَّجَاةِ، وَبِالإِخْلاصِ يَكُونُ الْخَلاصُ، فَإِذَا اشْتَدَّ الْفَزَعُ فَإِلَى اللهِ الْمَفْزَعُ» حسبما أورده في الكافي ٢: ٤٦٨، باب أنّ الدعاء سلاح المؤمن، الحديث ٢، ونحوه غيره.

يا من يرجى للشدائد كلّها ... يا من إليه المشتكى والمفزع
يا من خزائن ملكه في قول: كُن ... امنن فإنّ الخير عندك أجمع
ما لي سوى فقري إليك وسيلةٌ ... بالافتقار إليك فقري أدفع
ما لي سوى فزعي لبابك حيلةٌ ... فلئن رددت فأيّ بابٍ أقرع
ومن الذي أدعو وأهتف باسمه ... إن كان فضلك عن فقيرك يمنع
حاشا لمجدك أن يقنّط عاصياً ... الفضل أجزل والمواهب أوسع

[الحثّ على الاستعانة والاستغاثة]

يا نفس:

إن تخاذلت عن الاستعانة بمولاك وتقاعدت عن الاستقامة في طلب هداك، يوشك أن ينتهز بك الملعون الفرصة، فتعلّق بك مخاليبه، فتكون عليك غصّةً، ثمّ لا تقدرين من حبائله على الخلاص، وليس لك من مصائده مناصٌ، ثمّ بعد ذلك تلحقين بالأشقياء والمعذّبين.

فعليكِ بكثرة الاستغاثة والصراخ قبل أن يعلق بك الفخاخ، ولازمي قرع الباب عسى أن يرفع لك الحجاب. وقولي بلسان الخجل والانكسار في مناجاة الملك الجبّار ما كان يقوله سيّد العباد في بسط الرجاء إلى الملك الجواد:

إلهي وعزّتك وجلالك، لو قرنتني بالأصفاد ومنعتني سيبك[1] من بين الأشهاد ودللت على فضائحي عيون العباد وأمرت بي إلى النار وحلت بيني وبين الأبرار، ما قطعت رجائي منك، ولا صرفت تأميلي للعفو عنك[2]. ولئن صيّرتني للعقوبات مع أعدائك وجمعت في النارْ بيني وبين أهل بلائك، فبعزّتك يا سيّدي ومولاي أُقسم صادقاً: لئن تركتني ناطقاً لأضجّنّ إليك بين أهلها ضجيج الآملين، ولأُنادينّك أين كنت يا وليّ المؤمنين، يا غاية آمال العارفين، يا غياث المستغيثين، يا حبيب قلوب الصادقين، ويا إله العالمين.

أفتراك ـ سبحانك يا إلهي وبحمدك ـ تسمع فيها صوت عبدٍ مسلمٍ سجن فيها

---

١. سيبك أي: معروفك وعطائك.

٢. راجع دعاء السحر عن مولانا زين العابدين عليه السلام، حسبما رواه الشيخ مع أدنى تفاوت في مصباح المتهجّد: ٥٩٠ والمصنّف في البلد الأمين: ٢٠٩ والمصباح: ٥٩٥.

بمخالفته، وذاق طعم عذابها بمعصيته، وحبس بين أطباقها بجرمه وجريرته، وهو يضجّ إليك ضجيج مؤمّلٍ لرحمتك، ويناديك بلسان أهل توحيدك ومعرفتك، ويتوسّل إليك بربوبيّتك، وبمحمّدٍ وآله صفوتك من بريّتك. فكيف يا مولاي يبقى في العذاب وهو يرجو ما سلف من حلمك ورأفتك؟! أم كيف تؤلمه النار وهو يأمل عواطف فضلك ورحمتك؟! أم كيف يحرقه لهبها وأنت تسمع صوته وترى شديد نكاله؟! أم كيف يشتمل عليه زفيرها وأنت ترى ضعفه وسوء حاله؟! هيهات ما ذلك الظنّ بك، ولا المعروف من فضلك وامتنانك، ولا مشبهٌ لما عاملت به الموحّدين من برّك وإحسانك. فباليقين أقطع: لولا ما حكمت به من تعذيب جاحديك وقضيت به من إخلاد معانديك، لجعلت النار كلّها برداً وسلاماً، وما كانت لأحد فيها مقرّاً ولا مقاماً. لكنّك ـ تقدّست أسماؤك وجلّ ثناؤك ـ أقسمت أن تملأها من الكافرين من الجنّة والناس أجمعين[1].

[مراحل الابتعاد عن الهوى والردى]

يا نفس:

فكوني بهذه المناقشة والمحاسبة راضيةً، ولهذه النصيحة والموعظة واعيةً، ولا تنسي ما ذكّرت، ولا تأمني ما حذّرت. فإن قادك الهوى والصبوة وغلبتك عن قبول ذلك القسوة، فاستعيني على زوال ذلك بدوام التهجّد والقيام. فإن لم يزل فبالمواظبة على الصيام. فإن لم يزل فبصلة الأرحام والتلطّف بالأيتام. فإن لم يزل فأُنظري: هل تسمح عينك من الدمع بقطرةٍ، أو هل يأخذك على مصيبتك حزنٌ وحسرةٌ؟ فإن سمحت عينك بالبكاء فقد بقي فيك موضعٌ للرجاء، فاطلبي من الله التوفيق والإعانة، وادمني الاستغفار وطول الاستكانة؛ لعلّه أن يرحم ضعفك، ويجبر معصيتك، ويعزّ ذلّك، ويقبل توبتك. فلا ملجأ إلاّ إليه، ولا متّكل إلاّ عليه ؛ فإنّه يفكّ الأسير، ويقبل اليسير، ويعفو عن الكثير، لا يخيّب من أمّله ورجاه، ويجيب المضطرّ إذا دعاه. فاطلبي من الذي عنده مفاتح الغيب أن يغفر لك قبائح العيب. وليكن مقامك مقام البائس

---

١. راجع الدعاء المعروف بدعاء الخضر عليه السلام أو دعاء كميل رحمه الله، حسبما رواه الشيخ مع أدنى تفاوتٍ في المصباح: ٨٤٧، والسيّد في الإقبال: ٧٠٨، والمصنّف في البلد الأمين: ١٩٠.

الفقير، وسؤالك سؤال المسكين الحقير، وادعيه دعاء الهالك الغريق؛ فهو أرأف من كلّ شفيقٍ، والمسؤول جوادٌ والمطلوب منه كريمٌ، ورحمته واسعةٌ وعفوه عظيمٌ[١]. وهو القائل: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[٢].

وبالجملة: فلا تيأسي من روح الله؛ إنّه لا ييأس من روح الله إلاّ القوم الكافرون[٣]، ولا تأمني مكر الله، ولا يأمن مكر الله إلاّ القوم الخاسرون[٤].

شعر:

أخاف وأرجو عفوه وعقابه	وأعلم حقّا أنّه ملكٌ عدل
فإن يك عفوٌ فهو منه تفضّلٌ	وإن يك تعذيبٌ فإنّي له أهل

يا نفس:

لقد بُصّرت إن أبصرت، وأُسمعت إن سمعت، وهُديت إن اهتديت، ووعيت إن وعيت، فاحفظي وصيّتي، وجانبي معصيتي، واخذي مثالي، وافقهي أمثالي؛ فيا لها مواعظ شافيةً وأمثالاً كافيةً، لو صادفت قلوباً زاكيةً وأسماعاً واعيةً[٥].

[خاتمة ومناجاة]

ولنختم هذه المحاسبة بهذه المناجاة؛ لتكون إن شاء الله وسيلةً إلى ركوب سفينة النجاة، والفوز بغرفات الجنّات، ورضا ربّ الأرضين والسماوات[٦].

---

١. الفقرات المزبورة إشارةٌ إلى بعض ما ورد في دعاء السحر لمولانا زين العابدين عليه السلام كما مرّ.

٢. سورة الزمر، الآية: ٥٣.

٣. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [سورة يوسف، الآية: ٨٧].

٤. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٩٩].

٥. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام مع أدنى تفاوتٍ في نهج البلاغة، الخطبة ٨٣

٦. ولنختم الكلام في المرام أيضاً بحمد الله ذي الإنعام والصلاة والسلام على أفضل رسله الكرام محمّدٍ وعلى آله العظام، راغبين إليه جلّ جلاله أن يرزقنا منازل الشهداء ومعايشة السعداء ومرافقة الأنبياء، وأن يتجاوز عن قبيح ما عندنا بجميل ما عنده:

←

وهي هذه المناجاة:

إلهي لك الحمد الذي لا نهاية
له ويُسرى كلّ الأحانين باقيا
وشكراً يفوت العدّ والرمل والحصا
ونجم السما والقطر ثمّ الأواديا
على أنْ رزقت العبد منك هدايةً
أباحته تخليصاً من الكفر واقيا
فأنت الذي أطعمتني وسقيتني
ولولاك كنت الدهر غرثان ظاميا
وأنت الذي آمنت خوفي بحكمةٍ
أيارُجها تلقاه للنصر شافيا
وأنت الذي أعززتني بعد ذلّةٍ
وصيّرتني بعد الإذالة عاليا
وأنت الذي أغنيتني بعد فاقتي
فأصبحتُ من جدوى جدائك ثاريا
وأنت الذي في يوم كربي أغثتني
وقد كنت مكثوراً وللنصر ساليا
وأنت الذي لمّا دعوتك مخلصاً
بلا مريةٍ حقّاً أجبت دعائيا
وأنت الذي أوليتني منك عصمةً
رأيتُ بها طرف المكاره خاسيا
وفي أحسن التقويم ربّي خلقتني
وسيّرت لي في الخافقين مساعيا

← إلهي ما ألذّ خواطرَ الإلهام بذكركَ على القُلوب، وما أحلَى المسيرَ إليكَ بالأوهَام في مسالكِ الغُيوب، وما أطيبَ طعمَ حُبّك، وما أعذَبَ شِربَ قُربك، فأعذنا مِن طردِكَ وإبعادكَ، واجعلْنا مِن أخصِّ عارفيكَ وأصلح عبادِك وأصدقِ طائعيكَ وأخلصِ عُبّادك، يا عظيمُ يا جليلُ يا كريمُ يا منيلُ، برحمتِكَ ومَنّكَ يا أرحَمَ الراحمين.

وكم لك يا ربّ الأنام مواهباً
وكم منن تحكي الرياح السوافيا

ومن بعد هذا عن صراطك سيّدي
تنكّبت إذ ألفي لأمرك عاصيا

فكم زلّة أثبتّها في صحائفي
وكنت بها على المعاصي راقيا

وكم مأثم حقّاً تقمّصت قمصه
وكم من يدٍ حسنا جعلت مساويا

وكم صهوة في منكرٍ امتطيتها
وكنت بميدان الهوى متماديا

وكم من عهودٍ حنثتها متعمّداً
وصرت بها عن قرب عفوك قاصيا

وكم لذّة من بعدها النار لم أخف
عواقبها بل كنت فيها مواليا

وكم من هوىً تابعته فأضلّني
فأصبحت من أثواب سخطك كاسيا

وكم واجب ضيّعته يوم شقوتي
وعزمي أضحى في المعازف ماضيا

فيا نفس هلاّ اعتبرتِ بمن مضى
ودورهم للموت أمست خواليا

فهم ببطون الأرض أضحوا رهائناً
محاسنهم فيها يرين بواليا

كم اخترمت أيدي المنون من الورى
قروناً فأمسوا في القبور جواثيا

وكم من مليكٍ قد تمكّن ملكه
سقاه الردى كأساً من الموت ظاميا
فما منعت عنه الصياصي التي بنى
ولا كانَ بالأموال للنفس فاديا
ولم يغنِ عنه جمعُه وجنوده
وأصبح منه ناظر العين خاسيا
فكم فرح مستبشر بوفاته
وكم ترح أضحى لذلك باكيا
فيا نفس جدّي في البكاء واندبي
زماناً به قد كان شرّك ساميا
ويا نفس ماذا تصنعين بحقّ من
له الحقّ في يوم يريد التقاضيا
ويا نفس توبي عن هواك واقصري
وسحّي دموعا بل دماء جواريا
ويا نفس ولّى العمر والشيب قد أتى
نذيراً بقرب الموت لا شكّ ناعيا
ويا نفس قومي في الظلام بذلّةٍ
ورقّة قلبٍ يجعل الصخر جاريا
وقولي: إلهي أنت أكرم من عفى
وأجدر من يولّي الجِدى والأياديا
إلهي إلهي دقّ عظمي وانمحى
من العالم الأرضي ذكري وشانيا
إلهي إلهي أقحمتني مآثمي
تعمّدتها تحكي البحور الطواميا

إلهي أمن أهل الشقاء خلقتني
فأُبدي أشجاناً تطيل بكائيا
إلهي أهل في الفائزين جعلتني
فأفرح في دار المقام رجائيا
إلهي بباب العفو أصبحت سائلاً
ذليلاً أُرجي أن تجيب دعائيا
إلهي لئن أقعدت عن سبق طائع
فتوحيدُ ربّي قد أقام قواميا
إلهي لسانٌ في ثنائك مدأبٌ
فكيف يرى في الحشر للنار صاليا
إلهي لئن أخطأت كلّ طريقةٍ
فإنّي أصبت الخوف منك إلهيا
إلهي إذا لم تعفُ إلاّ عن امرئٍ
أطاع فمن للذي جاء خاطيا
إلهي لئن عذّبتني فبمأثمي
وإن جدت لي فالفضل ألقاه فاشيا
إلهي إذا ذنبي أباح عقوبتي
أراني ارتجائي حسن صفحك دانيا
إلهي فاجعلني مطيعاً أجرتَه
وإن لم يكن فارحم لمن جاء عاصيا
إلهي أمرت الضيف يقري ضيفه
فكن لي بعفوٍ منك يا ربّ قاريا
نزلت بباب العفو أرجو إجارةً
فعربُ الفلا ناوى النزيل الأمانيا
وحاشاك يا ربّ البريّة كلّها
تردّ عبيداً مستجيراً مواليا

وحاشاك في يوم القيامة أن أُرى
وحظّي من نبل المراحم خاليا
وحاشاك في يوم التغابن أن يُرى
بي الغبن أو أضحى من العفو عاريا
وإنّ يقيني فيك أنّك منقذي
من النار في يوم تشيب النواصيا
وكيف أذوق النار يا خالق الورى
وذلّي قد أمسى بعزّك لاجيا
وكيف أذوق النار يا رافع السما
وطرفي قد أضحى ببابك باكيا
سليل الجُباعي جاء نحوك تائباً
ذليلاً يُرى في حندس الليل داعيا
سليل الجباعي يشتكي من جرائم
صغائرها تحكي الجبال الرواسيا
جرائم لو يُبلى الـلكام بحملها
لذلّ وأضحى بالثبور مناديا
بعثتُ الأماني نحو جودك سيّدي
فردّ الأماني العاطلات حواليا
وأرسلت آمالي خماصاً عوارياً
بحقّك فارجعها بطانا كواسيا
أقلني أجرني أجزني يا مؤمّلي
مكارمك العظمى فقد جئت راجيا
وصلّ على خير النبيّ وآله
وعترته ما أصبح الدهر باقيا

ملحق الكتاب

معارج القدس إلى محاسبة النفس

تصنيف
سلام التميمي

بسم الله الرحمن الرحيم

وإيّاه نستعين

الحمد لله القائم على كلّ نفسٍ بما كسبت، الرقيب على كلّ جارحةٍ بما ارتكبت، والمطّلع على ضمائر القلوب إذا هجمت، الحسيب عباده على الخواطر إذا اختلجت، الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرّةٍ في السماوات والأرض تحرّكت أو سكنت، المحاسب على النقير والقطمير من الأعمال والأقوال وإن خفيت؛ لتعلم كلّ نفسٍ ما أحضرت وتنظر في ما قدّمت وأخّرت. وخير الصلاة وأتمّ التسليم على خاتم الأنبياء ومعلّم الحكماء المصطفى محمّدٍ وآله شهداء دار الفناء وشفعاء دار البقاء، واللعن الدائم على أعدائهم الضالّين المضلّين إلى لقاء يوم الدين.

وبعد، فيقول العبد المفتقر إلى رحمة ربّه الغني سلام التميمي: هذه وجيزةٌ حول محاسبة النفس وآدابها، منضودةً ممّا ورثتها من السلف الصالح، تذكرةً لي ولإخواني المؤمنين من طلاّب الحقّ واليقين، راغباً إليه تعالى أن يجعلها ذخراً ليوم الفاقة، وأن يصونها عن شوب طلب ما سواه؛ لتكون خالصةً لوجهه الذي لا بقاء لما عداه.

المدخل

من غرر الأحاديث الواردة عن مولانا أمير المؤمنين (عليه آلاف التحيّة والثناء) ما نطق به عند تلاوته الآية الكريمة ﴿...يُسَبِّحُ لَهُ فيها بِالْغُدُوِّ وَالْآصالِ * رِجالٌ لا

تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ الله...﴾[1] قائلاً:

«وَإِنَّ لِلذكْرِ لأَهْلاً أَخَذُوهُ مِنَ الدُّنْيَا بَدَلاً، فَلَمْ تَشْغَلْهُمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْهُ، يَقْطَعُونَ بِهِ أَيَّامَ الْحَيَاةِ، وَيَهْتِفُونَ بِالزَّوَاجِرِ عَنْ مَحَارِمِ الله فِي أَسْمَاعِ الْغَافِلِينَ، وَيَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ وَيَأْتَمِرُونَ بِهِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَتَنَاهَوْنَ عَنْهُ، فَكَأَنَّمَا قَطَعُوا الدُّنْيَا إِلَى الآخِرَةِ وَهُمْ فِيهَا، فَشَاهَدُوا مَا وَرَاءَ ذَلِكَ، فَكَأَنَّمَا اطَّلَعُوا غُيُوبَ أَهْلِ الْبَرْزَخِ فِي طُولِ الإِقَامَةِ فِيهِ، وَحَقَّقَتِ الْقِيَامَةُ عَلَيْهِمْ عِدَاتِهَا، فَكَشَفُوا غِطَاءَ ذَلِكَ لأَهْلِ الدُّنْيَا، حَتَّى كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ مَا لا يَرَى النَّاسُ وَيَسْمَعُونَ مَا لا يَسْمَعُونَ. فَلَوْ مَثَّلْتَهُمْ لِعَقْلِكَ فِي مَقَاوِمِهِمُ الْمَحْمُودَةِ وَمَجَالِسِهِمُ الْمَشْهُودَةِ، وَقَدْ نَشَرُوا دَوَاوِينَ أَعْمَالِهِمْ، وَفَرَغُوا لِمُحَاسَبَةِ أَنْفُسِهِمْ عَلَى كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ أُمِرُوا بِهَا فَقَصَّرُوا عَنْهَا، أَوْ نُهُوا عَنْهَا فَفَرَّطُوا فِيهَا، وَحَمَّلُوا ثِقَلَ أَوْزَارِهِمْ ظُهُورَهُمْ، فَضَعُفُوا عَنِ الاسْتِقْلالِ بِهَا، فَنَشَجُوا نَشِيجاً وَتَجَاوَبُوا نَحِيباً، يَعِجُّونَ إِلَى رَبِّهِمْ مِنْ مَقَامِ نَدَمٍ وَاعْتِرَافٍ، لَرَأَيْتَ أَعْلامَ هُدىً وَمَصَابِيحَ دُجىً، قَدْ حَفَّتْ بِهِمُ الْمَلائِكَةُ وَتَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَفُتِحَتْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَأُعِدَّتْ لَهُمْ مَقَاعِدُ الْكَرَامَاتِ فِي مَقْعَدٍ اطَّلَعَ الله عَلَيْهِمْ فِيهِ، فَرَضِيَ سَعْيَهُمْ وَحَمِدَ مَقَامَهُمْ، يَتَنَسَّمُونَ بِدُعَائِهِ رَوْحَ التَّجَاوُزِ. رَهَائِنُ فَاقَةٍ إِلَى فَضْلِهِ، وَأُسَارَى ذِلَّةٍ لِعَظَمَتِهِ. جَرَحَ طُولُ الأَسَى قُلُوبَهُمْ، وَطُولُ الْبُكَاءِ عُيُونَهُمْ. لِكُلِّ بَابِ رَغْبَةٍ إِلَى الله مِنْهُمْ يَدٌ قَارِعَةٌ. يَسْأَلُونَ مَنْ لا تَضِيقُ لَدَيْهِ الْمَنَادِحُ، وَلا يَخِيبُ عَلَيْهِ الرَّاغِبُونَ. فَحَاسِبْ نَفْسَكَ لِنَفْسِكَ؛ فَإِنَّ غَيْرَهَا مِنَ الأَنْفُسِ لَهَا حَسِيبٌ غَيْرُكَ»[2].

حيثُ إنّ الراحلَ إلى الله ولقائه قريبُ المسافة وإنّه تعالى لا يحتجب عن خلقه إلاّ أن تحجبهم الأعمال والآمال دونه[3]، لزم على العبد السالك إليه بجناحي العلم والعمل أن يصير إليه بعد أن يسير إليه، ولا سير مثمرَ إلاّ مع زادٍ علمي يعلمه وسلوكٍ عملي يعمله؛ حتّى يتّحد مع علمه، ويتصوّر بصورة عمله، ويحشر على نيّته؛ إذ «لكلّ امرئٍ

١. سورة النور، الآية: ٣٦ و ٣٧.

٢. نهج البلاغة: ٣٤٢، الخطبة ٢٢٢.

٣. إشارة إلى ما ورد عن مولانا زين العابدين عليه السلام في دعاء السحر من شهر رمضان، الموسوم بدعاء أبي حمزة الثمالي، حسبما رواه غير واحدٍ في مصباح المتهجّد: ٥٨٢، الإقبال: ٦٧، البلد الأمين: ٢٠٥، وغيرها.

ما نوى»[١]، كما ﴿وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلاَّ ما سَعى﴾[٢].

ولمّا كان الصراطُ الذي يمرّ عليه العبد القاصد إلى الله تعالى أدقَّ من الشعر و أحدّ من السيف[٣]، فلا محيص عن زادٍ أرقّ من كلّ رقيقٍ وسلوكٍ ألطف من كلّ لطيف، وليس ذلك إلاّ اتّقاء الله حقّ تقاته[٤]، كما قال سبحانه: ﴿... وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزّادِ التَّقْوى وَ اتَّقُونِ يا أُولِي الْأَلْبابِ﴾[٥]. وعليه فكلّ من كان تقواه أشدّ، كان زاده أكثر وسلوكه أسرع ووصوله أيسر ونصيبه أعظم، وهو عند الله جلّ جلاله أقرب منزلةً وأخصُّ زلفةً[٦].

وقد أشار إلى مثالٍ منه مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في ما تقدّم من بيانه الشريف؛ لدلالته على غير واحدٍ من اللطائف والأسرار:

فمنها: أنّ للذكر أهلاً انفردوا به دون غيرهم، فذاقوا طعمه وعرفوا سرّه، وهجروا له طيّبات هذه الدنيا الفانية، بعد أن أحبّوا المذكور، وغفلوا عمّا عداه طرّاً، فلا تجارة ولا بيع لديهم إلاّ مع الله تعالى، فاتّخذوه بدلاً وقطعوا به أيّام حياتهم.

ومنها: أنّ أهل الذكر في ثقتهم بالله وتحقّقهم بأحوال القيامة ووعدها ووعيدها بعين اليقين إزاء أحوال أهل البرزخ وعالم الآخرة، فكشفوا غطاء تلك الأحوال لأصحاب الدنيا بالعبادات الواضحة والبيانات اللائحة، «فهم والجنّة كمن قد رآها فهم فيها منعّمون، وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معذّبون»[٧].

ومنها: أنّ لأهل الذكر مجالس وخلواتٍ يتفرّغون فيها لمحاسبة أنفسهم على ما

---

١. تهذيب الأحكام ٤: ١٨٦، الباب ٤٤، الحديث ٢، الأمالي للشيخ الطوسي: ٦١٨، المجلس ٢٩، الحديث ١٠، عوالي اللئالي ٢: ١٩١، الحديث ٨١ ووسائل الشيعة ١: ٤٨، أبواب مقدّمة العبادات، الباب ٥، الحديث ٩٢.

٢. سورة النجم، الآية: ٣٩.

٣. إشارة إلى ما ورد في الكافي ٨: ٣١٢، حديث الفقهاء والعلماء، الحديث ٤٨٦، الأمالي للشيخ الصدوق: ١٧٧، المجلس ٣٣، الحديث ٤، تصحيح الاعتقاد: ١٠٨، فصل في الصراط، وغيرها.

٤. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٠٢].

٥. سورة البقرة، الآية: ١٩٧.

٦. اُنظر ما أفاده الشيخ الجوادي الآملي في كلمته حول الفقه وتطوّره في كتاب الصلاة ٢: ٤ -٥.

٧. نهج البلاغة: ٣٠٣، الخطبة ١٩٣.

صدر منها من فعلٍ أو قولٍ أو حركةٍ أو سكنةٍ، ويتتبّعون فيها موارد سقطاتهم ومواضع عثراتهم، ثمّ يأخذون في البكاء والنحيب في مقام الندم والحسرة على الزلّة والغفلة.

ومنها: أنّ أهل الذكر أدلّةٌ إلى الله جلّ جلاله يُهتدى بآثارهم في ظلم الضلالة، ومصابيح دُجىً في غياهب الجهالة، قد أحاطت بهم الملائكة تشريفاً وكرامةً، وأنزل الله عليهم الطمأنينة، وفتح لهم أبواب الرحمة واللطف، وأعدّ لهم مقاعد الكرامة، فرضي سعيهم وحمد مقامهم.

ومنها: التحضيض على محاسبة النفس التي هي أعزّ الأنفس عليك وأحبها إليك؛ لتقف بين يدي الله طاهرةً عن رين الذنب وخالصةً عن دنس العصيان، مع التنزّه عن حساب غيرك من الأنفس ممّن لم يتولّ صاحبها محاسبتها؛ فإنّ لها من يحاسبها ويحصي عليها أنفاسها، وهو أسرع الحاسبين، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم[١].

حول رياضة النفس

وليتفطّن: أنّه لا يُنال ذلك المقام إلاّ بعد إزالة موانع و اجتماع شرائط، وذلك لا يكون إلاّ بالرياضة. ثمّ إنّ الرياضة مشروطةٌ بأُمورٍ ومتضمّنةٌ لأُصولٍ: أمّا الشرائط فهي العزيمة والصدق في المواطن كلّها والتوبة النصوح والإنابة إلى الله تعالى، وأصل الباب فيها الإخلاص التامّ. وأمّا الأُصول فهي إمّا أُمورٌ عدميّةٌ أو وجوديّةٌ. أمّا العدميّات فيشملها الزهد الحقيقي – أي: التنزّه عمّا يشغل السرّ عن الحقّ ـ ويلزمه أُمورٌ أربعةٌ تعدّ أساس المعاملة مع الله جلّ جلاله، وهي قلّة الطعام و قلّة المنام وقلّة الكلام و الاعتزال عن الأنام. ونهاية الزهد التقوى؛ فإنّه خير الزاد في سفر المعاد، وله مراتب:

أوّلها: ترك ما لا يعنيه ظاهراً وباطناً، ويلزمه الصبر.

ثانيها: الانسلاخ عن الأفعال، وذلك بقطع النظر عن نسبة الفعل والتأثير إلى غير الحقّ، ويلزمه التوكّل.

وثالثها: الامتناع عن الدواعي والإرادات، وذلك برؤية تعلّق الكائنات بمشيّة الله تعالى، ويلزمه الرضا.

١. راجع منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ١٤: ٢٣٦ ـ ٢٤٢، وشرح نهج البلاغة (لابن ميثم البحراني) ٤: ٨٢ ـ ٨٧.

ورابعها: الخروج عن العلم والقدرة، وذلك بمشاهدة إحاطة علم الحقّ بالكلّ وتأثير قدرته في الكلّ، ويلزمه التسليم.

وأمّا الوجوديّات فتلك أُمورٌ يشملها في الظاهر العبادة وفي الباطن تلطيف السرّ لقبول الفيض.

أمّا العبادة فهي تطويع النفس الأمّارة للنفس المطمئنّة بأوضاع شرعيّةٍ أمريّةٍ لا استنباطيّةٍ؛ لئلاّ يكون للنفس فيها حظٌّ؛ لتنخرط قواها كلّها في التوجّه إلى جناب الحقّ، ولا تنازع السرّ السائر إلى القدس في مطالبها، بل تشايعه وتنقاد على ما يلائم الأمر القدسي، فيكون مجموع الهمّ، ونهايتها الحضور الدائم مع الحقّ، وإليه الإشارة في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلى صَلَواتِهِمْ يُحافِظُونَ﴾[1].

وأوّلها: الشكر ـ الذي هو أحد جزئي الإيمان قولاً وفعلاً وقلباً ـ بتصوّر صدور كافّة النعم من الله لا غير؛ إذ «مِن أينَ لي الخيرُ يا ربّ ولا يوجدُ إلاّ من عندك؟! ومِن أينَ لي النجاةُ ولاتُستطاعُ إلاّ بك؟!»[2].

وأوسطها: الذكر الدائم القلبي وتحصيل الملكات الفاضلة والأخلاق الحميدة.

وأمّا تلطيف السرّ فهو رفع الغشاوة الطبيعيّة عن وجه القلب؛ ليستعدّ القلب لتلقّي الأنوار القدسيّة والفيوضات الإلهيّة[3].

ومن تلك الشرائط محاسبة النفس اللوّامة وتنبيه الروح النوّامة، ولذا كان السلف الصالح في غاية السعي والاهتمام بالمحاسبة، كما كانوا أشدّ محاسبةً لنفوسهم من سلطانٍ غاشمٍ أو رفيقٍ شحيحٍ، وكانوا يرون أنّ العبد لا يكون من أهل الله جلّ جلاله حتّى يحاسبَ نفسه أشدّ من محاسبة الشريك شريكه، وأنّ من غفل عن محاسبة نفسه: إمّا أحمق أو غير معتقدٍ بحساب يوم المعاد؛ لوضوح أنّ العاقل المؤمن به وبأهواله وشدائده وما يوجبه من الخجل والحياء إذا علم أنّ محاسبة النفس في الدنيا توجب

---

١. سورة المؤمنون، الآية: ٩.

٢. مصباح المتهجّد: ٥٨٢، دعاء السحر في شهر رمضان، الإقبال: ٦٧، دعاء السحر (المعروف بدعاء أبي حمزة الثمالي)، مصباح الكفعمي: ٥٨٨، دعاء السحر لعلي بن الحسين عليه السلام.

٣. راجع تحلية الأرواح بحقائق الإنجاح: ١٩٥ ـ ١٩٨.

خفّته في الأُخرى، كيف يصحّ له أن يتركها أو يتهاون بها؟!

وإذ قد تبيّن لك في هذا التمهيد أُمورٌ لا بدّ من مراعاتها، حان إنجاز الوعد لبيان فضيلة المحاسبة في كتاب الله الحكيم وفي ضوء تعاليم الإنسان الكامل، أي: سيّد الكونين وجامع المرتبتين محمّدٍ المصطفى وآله مرائي صفاته العاليا وشواهد أسمائه الحسنى (عليهم جميعاً آلاف التحيّة والثناء)، ثمّ التعرّض لمنزلة المحاسبة عند آل الحكمة وأهل المعرفة، وذلك في طيّ مقامين. فها أنا أشرع ثقةً به تعالى، معتذراً عن البسط إلى القبض والتفصيل إلى الإجمال، سائلاً منه سبحانه أن يجعلها كلماً طيّباً يصعد إليه.

المقام الأوّل: في فضل المحاسبة في الكتاب والسنّة

وليلفت النظر إلى أنّ الكتاب والسنّة دالاّن على ثبوت المحاسبة يوم القيامة، وحصول التدقيق والمناقشة في الحساب، والمطالبة بمثاقيل الذرّ من الأعمال والأقوال والخطرات واللحظات.

ويشهد على ذلك جملةٌ من الآيات والأخبار:

فمنها: قول تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتابُ فَتَرَى الْمُجْرِمينَ مُشْفِقينَ مِمَّا فيهِ وَيَقُولُونَ يا وَيْلَتَنا ما لِهذَا الْكِتابِ لا يُغادِرُ صَغيرَةً وَلا كَبيرَةً إلاَّ أَحْصاها وَوَجَدُوا ما عَمِلُوا حاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾.[1]

ومنها: قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَما عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَها وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَاللهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ﴾.[2]

ومنها: ما ورد عن رسول الله ﷺ قال: «كلّكم مكلّم ربّه يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمانٌ، فينظر أمامه فلا يجد إلاّ ما قدّم، وينظر عن يمينه فلا يجد إلاّ ما قدّم، ثمّ ينظر عن يساره فإذا هو بالنار. فاتّقوا النار ولو بشقّ تمرةٍ. فإن لم يجد أحدكم فبكلمةٍ طيّبةٍ».[3] ومنها ما ورد بطرقٍ متعدّدةٍ عن رسول الله ﷺ أيضاً من قوله: «لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتّى يُسأل عن أربعٍ: عن عمره فيما أفناه، وشبابه فيما أبلاه، وعن ماله:

1. سورة الكهف، الآية: ٤٩.
2. سورة آل عمران، الآية: ٣٠.
3. النوادر: ٣، ورواه عنه في البحار ٧: ١٨٣، الباب ٨، والمستدرك ٧: ١٦٧، الحديث ٧٩٤٢.

من أين كسبه وفيما أنفقه، وعن حبّنا أهل البيت»[١].

وقد انكشف لدى أرباب البصائر: أنّ لكلّ عملٍ من الأعمال الحسنة والسيّئة مقداراً معيّناً من التأثير في نجاة القلب من أسر الدنيا وقيد الشهوات أو قدراً مّا في بعد النفس عن عالم الرحمة وظلمة جوهرها. وإنّما يتبيّن ذلك للخلائق في الآخرة؛ لأجل رفع الحجاب وكشف الغطاء، فيرى كلّ واحدٍ مثاقيل أعماله وأقواله من الخير والشرّ، وهي مختلفةٌ بحسب الأحوال والأوقات والقوابل والنيّات والاعتقادات، فربّ عملٍ قليلٍ يكون أجره عند الله كثيراً، وربّ نافلةٍ خفيفةٍ يكون ثوابها أعظم من صلواتٍ مفروضةٍ، والملاك الإخلاص وضدّه الشرك على اختلاف مراتبها. وكلّ مكلّفٍ يرى يوم الآخرة حاصل متفرّقات حسناته وسيّئاته ويلاقي جمع كلّ دقيقٍ وجليلٍ من أفعاله في كتاب ﴿الْكِتابِ لا يُغادِرُ صَغيرَةً وَلا كَبيرَةً إلاّ أَحْصاها وَوَجَدُوا ما عَمِلُوا حاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾[٢]. وما من إنسانٍ إلاّ وله أعمالٌ متفرّقةٌ: نافعةٌ أوضارّةٌ، مقرّبةٌ أو مبعّدةٌ، فإذا أُحضرت متفرّقاتها وجمع مبلغها كان الحساب.

ثمّ إنّ الناس يوم الحساب صنفان: أحدهما من يرزق الدخول في الجنّة بغير حسابٍ، وهم على ثلاث طوائف: منهم المقرّبون الكاملون في المعرفة والتجرّد، وهؤلاء لتنزّههم عن الشواغل وفطام أنفسهم عن الدنيا وأهلها والآخرة وأوليائها يدخلون الجنّة بغير حسابٍ. ومنهم جماعةٌ من أصحاب اليمين هم أهل التقوى لم يقدموا على معصيةٍ ولم يقترفوا سيّئةً؛ لصفاء قلوبهم ومراقبة ضمائرهم ومحاسبة نفوسهم واقتدارهم بحسب القوّة العمليّة على فعل الطاعات والاجتناب عن السيّئات، فهؤلاء أيضاً يدخلون الجنّة بغير حسابٍ. ومنهم جماعةٌ تكون صحائف أعمالهم خاليةً عن الأفعال وساذجةً عن النقوش الحاصلة من الحسنات والسيّئات، فينالهم رحمةٌ من الله جلّ جلاله؛ لأنّ جانب الرحمة أرجح من ساحة الغضب، بعد ثبوت الإمكان والقابليّة وزوال المنافي.

---

١. أمالي الصدوق: ٣٩، المجلس ١٠، الحديث ٩، أمالي الشيخ: ٥٩٣، المجلس ٢٦، الحديث ١، والخصال: ٢٥٣.

٢. سورة الكهف، الآية: ٤٩.

وأمّا الصنف الثاني فهم أهل الحساب والمناقشة، وهؤلاء على ثلاثة أقسام أيضاً: قسمٌ منهم من يكون صحيفة أعماله خاليةً عن الحسنات، وقسمٌ منهم من وقع فيهم ﴿... وَحَبِطَ ما صَنَعُوا فيها وَباطِلٌ ما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1] و ﴿وَقَدِمْنا إلى ما عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْناهُ هَباءً مَنْثُوراً﴾[2]. وقسمٌ منهم هم المحاسبون في الحقيقة؛ حيث ﴿... خَلَطُوا عَمَلاً صالِحاً وَ آخَرَ سَيِّئاً...﴾[3]. وهؤلاء على قسمين: أحدهما من يحاسب نفسه في الدنيا؛ امتثالاً لأمر رسول الله ﷺ: «حاسِبوا أنفسكم قبل أن تُحاسَبوا»[4] فعمل بمقتضاه وخاف سوء الحساب، وثانيهما ما يقابلهم ممّن نوقش معهم في الحساب على تفاوتٍ في الدرجات والطبقات[5].

ومن هنا أدرك أهل الله وأرباب القلوب: أنّ الله جلّ جلاله للعباد بالمرصاد، وأنّهم سيناقشون في يوم الحساب، ويطالبون بمثاقيل الذرّ من الخطرات واللحظات، فتحقّقوا أنّه لا ينجيهم من هذه الأخطار إلاّ حسن المحاسبة وصدق المراقبة ومطالبة النفس في الحركات والأنفاس ورعايتها في كلّ ما يصدر عنها من قليلٍ أو كثير[6].

قال الله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبيرٌ بِما تَعْمَلُونَ﴾.

وتدلّ الآية على أُمورٍ:

الأوّل: لزوم اتّقاء الله في ارتكاب المناهي والمعاصي والمحارم أو العذاب والعقاب أو شوب الأعمال القالبيّة بالأغراض النفسانيّة أو الانحراف عن طريق القلب أو الغفلة عن الله تعالى أو الالتفات إلى غير الوليّ الكامل أو الالتذاذ بغير شهود جماله ـ على اختلاف مراتب الظهور والبطون ـ[7].

---

١. سورة هود، الآية: ١٦.

٢. سورة الفرقان، الآية: ٢٣.

٣. سورة التوبة، الآية: ١٠٢.

٤. محاسبة النفس (للسيّد ابن طاووس): ١٣، ورواه عنه في البحار والوسائل ومستدركه في مواضع متعدّدة منها، فلاحظ.

٥. راجع مفاتيح الغيب: ٦٥٤ ـ ٦٥٥، المفتاح ١٩، المشهد ١٣.

٦. إحياء علوم الدين ١٥: ٦، كتاب المراقبة والمحاسبة.

٧. تفسير بيان السعادة في مقامات العبادة ٤: ١٦٦ ـ ١٦٧، تفسير سورة الحشر.

الثاني: أنّ التمهيد المذكور في الآية والتعريف باطّلاع الله جلّ جلاله على كافّة أعمال العباد وضمائرهم يكاد أن يأخذ بالأعناق إلى طاعة سلطان الدنيا والآخرة؛ إذ كيف يقدم العبد على عملٍ يعلم أنّه ينتهي إلى سيّده ويبلغ إليه، مع دوام رقابته عليه وحاجته إليه[١] ؟!

الثالث: أنّ تنكير النفس في الآية لإفادة العموم، وإطلاق الغد على يوم القيامة للدلالة على قربه مع بيان مزيد التهويل والتعظيم، والمقصود من النظر المحاسبة على الأعمال والسرائر.

الرابع: أنّ المراد من التقوى المأمور بها أوّلاً الورع عن محارم الله: بالاجتناب عن ترك الواجبات وفعل المحرّمات، والمراد من التقوى ثانياً التقوى في مقام المحاسبة والنظر في الأعمال من حيث إصلاحها وإخلاصها لله سبحانه وتنزيهها عمّا يفسدها[٢].

الخامس: أنّ من لا محاسبة له في عمله وقوله وسريرته ولا مراقبة له في أحواله وخطراته ولحظاته لا نصيب له عند الله جلّ جلاله إلاّ الخزي والخذلان في يوم المعاد.

السادس: أنّ علامة من نظر لغده أن يحسن مراعاة يومه، ولا يكون كذلك إلاّ إذا تدبّر في عمله في يومه وأمسه. والناس في النظر المزبور على أصنافٍ: منهم مفكّرٌ في أمسه: ما الذي قسم له في الأزل؟ وآخر متأمّلٌ في غده: ما الذي يلقاه؟ وثالثٌ مستقلٌّ بوقته فيما يلزمه في هذا الوقت، فهو غائبٌ عن شاهده، موصولٌ بربّه، فانٍ في مذكوره، غير متطلّع لماضيه ومستقبله، فتوقيت الوقت يشغله عن وقته[٣].

وقال جلّ جلاله: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحافِظِينَ * كِراماً كاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ ما تَفْعَلُونَ﴾[٤].

وتقريب الاستدلال بالآيات الكريمة على المحاسبة: أنّ من الملائكة حفظةً موكّلين بكتابة الأعمال من خيرٍ أو شرٍّ ومن طاعةٍ أو معصيةٍ ومن حسنةٍ أو سيّئةٍ، فلزم

---

١. سعد السعود للنفوس منضود: ٣٠، فصل في اطّلاع الله على أعمال العباد.

٢. الميزان في تفسير القرآن ١٩: ٢١٨ ـ ٢١٩، تفسير سورة الحشر.

٣. لطائف الإشارات ٣: ٥٦٥، تفسير سورة الحشر. والمراد ممّا ورد في ذيل كلام القشيري المتقدّم ما أشار إليه في رسالته من أنّ الصوفيّ ابن وقته، أي: هو مشتغلٌ بما هو أولى به في الحال، قائمٌ بما هو مطالبٌ به في الحين، مستسلمٌ لما يبدو له من الغيب من غير اختيارٍ له. ومن ساعده الوقت فالوقت له وقتٌ، ومن ناكره الوقت فالوقتُ عليه مقتٌ.

٤. سورة الانفطار، الآيات: ١٠ ـ ١٢.

على العبد السائر إلى الله سلوك طريق المحاسبة؛ لئلاّ يقع في المخالفة والعصيان، فينال العذاب الأبدي والخسران السرمدي.

وليلحظ: أنّ الآيات قد اشتملت على أوصافٍ أربعةٍ للملائكة هي: الحفظ والكرامة والكتابة والعلم. أمّا الحفظ فهو هنا بمعنى المراقبة والرعاية، ولذا يتعدّى بحرف الجرّ، كما في قوله تعالى: ﴿اللهُ حَفيظٌ عَلَيْهِمْ﴾[1]، بخلاف ما لو تعدّى إلى المفعول بنفسه؛ فإنّه حينئذ يفيد الحراسة، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ﴾[2]. وأمّا الكرامة فهي بمعنى النفاسة والعزّة لدى الله تعالى، والغرض أن يكون العبد على حذرٍ ودقّةٍ في محاسبة نفسه وأقواله وأفعاله؛ إذ كلّما كان الناظر ذا شأنٍ كلّما زاد تحفّظ العبد تجاهه واستحى من ارتكاب الذنب والإثم أمامه. وأمّا الكتابة فالمراد منها ضبط وتسجيل ما وكّل الملائكة بحفظه بنحوٍ لا يتعرّض للإجحاف أو الزيادة والنقصان، وعليه فالملائكة لا يكتفون بالمراقبة والرعاية دون تقييد كلّ حركةٍ وقولٍ وفعلٍ بدقّةٍ متناهيةٍ. وأمّا العلم فهو الإحاطة بما يصدر عن العباد مع التأكيد على نفي الخطأ عن الملائكة في تمييز الخير والشرّ والحسنة والسيّئة. والعاقل يتنبّه بعد هذه الإشارات إلى دقّة الحساب الإلهي وضرورة الاستظهار ليوم الجزاء قبل حلول الفوت[3].

وقال تعالى: ﴿مَا يلفِظُ مِنْ قوْلٍ إلّا لدَيه رَقيبٌ عَتيدٌ﴾[4].

ووجه الاستدلال بالكريمة المذكورة: أنّ ما من قولٍ ولفظٍ يرمي به العبد إلاّ كان لديه حافظٌ حاضرٌ معه، أي: ملكٌ عن يمينه وملكٌ عن شماله، كلٌّ منهما يراقب كلامه ومعدٌّ لكتابته، فوجب بحكم العبوديّة حفظ اللسان عن الزلاّت والعثرات، فضلاً عن الفاحش من القول والباطل من الكلام، ولذا فاز من حاسب لسانه، وربح من صمت إلاّ عن ذكر الله عزّ شأنه.

وما أروع ما أشار إليه الإمام زين العابدين عليه الصلاة والسلام في الصحيفة

---

١. سورة الشورى، الآية: ٦.

٢ سورة الرعد، الآية: ١١.

٣. أُنظر الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ١٩: ٤٨٨، تفسير سورة الانفطار، تفسير ابن عربي ٢: ٤١٣، تفسير سورة الانفطار، الميزان في تفسير القرآن ٢٠: ٢٢٦، تفسير سورة الانفطار، ولطائف الإشارات ٣: ٦٩٧، تفسير سورة الانفطار.

٤. سورة ق، الآية: ١٨.

القدّوسيّة قائلاً: «اللّهمّ اجعل ما يلقي الشيطان في روعي من التمنّي والتظنّي والحسد ذكراً لعظمتك وتفكّراً في قدرتك وتدبيراً على عدوّك، وما أجرى على لساني من لفظة فحشٍ أو هُجرٍ أو شتم عرضٍ أو شهادة باطلٍ أو اغتياب مؤمنٍ غائبٍ أو سبّ حاضرٍ وما أشبه ذلك نطقاً بالحمد لك وإغراقاً في الثناء عليك وذهاباً في تمجيدك وشكراً لنعمتك واعترافاً بإحسانك وإحصاءً لمننك»[١].

ولا يذهب عليك: أنّ في الآية مزيد اعتناءٍ بخصوص اللفظ؛ لوضوح شره القلوب إلى الكلام، وكثرة آفات الخوض في الباطل، مع عظم حفظ اللسان، وتضاعف فضيلة الصمت.

روي أنّه جاء رجلٌ إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله، أوصني. فقال: «احفظ لسانك». قال: يا رسول الله، أوصني. قال: «احفظ لسانك». قال: يا رسول الله، أوصني. قال: «احفظ لسانك. ويحك! وهل يَكُبُّ الناسَ على مناخرهم في النار إلاّ حصائدُ ألسنتهم؟»[٢]. كما روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مَن لم يحسب كلامه من عمله، كثرت خطاياه وحضر عذابه»[٣].

وقال تعالى: ﴿...إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٤].

ويستفاد من الآية المذكورة: أنّ الأعمال الخارجيّة للعباد لمّا كانت في اللوح المحفوظ، وكان المراد من استنساخها استنساخ ما يرتبط بها فيه، وكانت كتابة الملائكة للأعمال بمعنى تطبيق ما عندهم من نسخة اللوح على الأعمال، فينبغي أن يقف العبد عند ظهور الهمّة وابتداء الحركة، فيحاسب نفسه، فيردعها عن هواها، ويفطمها عن شهواتها؛ لترقى إلى كمال العبوديّة، وتشهد ذروة الملكوت.

---

١. اُنظر الصحيفة السجّاديّة، الدعاء العشرون: في مكارم الأخلاق ومرضيّ الأفعال.

٢. الكافي ٢: ١١٦، باب الصمت وحفظ اللسان، الحديث ١٤، تحف العقول: ٥٦، ووسائل الشيعة ١٢: ١٩١، أبواب مقدّمة العبادات، الباب ١١٩، الحديث ١٦٠٥٣.

٣ الكافي ٢: ١١٦، باب الصمت وحفظ اللسان، الحديث ١٥، ووسائل الشيعة ١٢: ١٩٦، أبواب مقدّمة العبادات، الباب ١٢٠، الحديث ١٦٠٧١. وراجع هنا تفسير بيان السعادة في مقامات العبادة ٤: ١٠٩، تفسير سورة ق، تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضمّ ٢: ٢٤٥، الباب الحادي عشر، سكّان الجنّة وخزّانها، تفسير القرآن الكريم لصدر المتألّهين ٥: ٣٠، تفسير سورة يس، وتفسير نور الثقلين ٥: ١٠٩، تفسير سورة ق.

٤ سورةالجاثية، الآية: ٢٩.

وإلى هذا المعنى يشير الخبر المنقول عن ابن أبي عمير عن عبد الرحمن القصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن ﴿ن وَالْقَلَمِ﴾[١]، قال: «إنّ الله خلق القلم من شجرةٍ في الجنّة يقال لها الخلد، ثمّ قال لنهرٍ في الجنّة: كن مداداً، فجمد النهر، وكان أشدّ بياضاً من الثلج وأحلى من الشهد. ثمّ قال للقلم: اُكتب. قال: يا ربّ، ما أكتب؟ قال: اُكتب ما كان وما هو كائنٌ إلى يوم القيامة. فكتب القلم في رقٍّ أشدّ بياضاً من الفضّة وأصفى من الياقوت، ثمّ طواه فجعله في ركن العرش، ثمّ ختم على فم القلم، فلم ينطق بعدُ ولا ينطق أبداً، فهو الكتاب المكنون الذي منه النُسَخُ كلّها. أولستم عرباً؟! فكيف لا تعرفون معنى الكلام، وأحدكم يقول لصاحبه: انسخ ذلك الكتاب؟! أوليس إنّما ينسخ من كتابٍ اُخذ من الأصل؟! وهو قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٢]»[٣].

وأورد السيّد ابن طاووس الحسني: أنّ الملكين «إذا أرادا النزول صباحاً ومساءً، ينسخ لهما إسرافيل عمل العبد من اللوح المحفوظ فيعطيهما ذلك. فإذا صعدا صباحاً ومساءً بديوان العبد، قابله إسرافيل بالنسخة التي نسخ لهما حتّى يظهر أنّه كان كما نسخ منه»[٤].

وأمّا النصوص الواردة عن مظاهر الكمال ومجالي الجمال والجلال ـ الذين عطفوا الهوى على الهدى حين عطف الناس الهدى على الهوى ـ فكثيرةٌ ومعتبرةٌ وصريحةٌ في لزوم محاسبة النفس وضرورة الاعتناء بشأنها، إلاّ أنّ المجال لا يسع ها هنا لذكرها بتمامها، فالإيجاز فيها أولى؛ لبناء الرسالة على الإشارة والاختصار دون العبارة والتفصيل، والله الهادي.

فمنها: الحديث النبوي المشهور (على الصادع به وآله الصلاة والسلام): «حاسبوا

---

١. سورة القلم، الآية: ١.

٢. سورة الجاثية، الآية: ٢٩.

٣. تفسير القمّي ٢: ٣٨٠، تفسير سورة القلم، البرهان في تفسير القرآن ٥: ٤٥٤، تفسير سورة القلم، تفسير نور الثقلين ٥: ٣٨٨، تفسير سورة القلم.

٤. سعد السعود: ٢٢٦. ولمزيد من الاطّلاع يراجع الميزان في تفسير القرآن ١٨: ١٨٤، تفسير سورة الجاثية، الأصفى في تفسير القرآن ٢: ١١٦٢، تفسير سورة الجاثية، البرهان في تفسير القرآن ٥: ٣١، تفسير سورة الجاثية، وتفسير القرآن الكريم لصدر المتألّهين ٧: ٤٣٨، تفسير سورة الزلزلة.

أنفسكم قبل أن تُحاسَبوا، وزنوا قبل أن تُزنوا، وتجهّزوا للعرض الأكبر»[١].

ومنها: ما ورد في وصيّة رسول الله صلى الله عليه وآله لأبي ذرّ من قوله: «يَا أَبَا ذَرّ، حَاسِبْ نَفْسَكَ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبَ؛ فَإِنَّهُ أَهْوَنُ لِحِسَابِكَ غداً، وَزِنْ نَفْسَكَ قَبْلَ أَنْ تُوزَنَ، وَتَجَهَّزْ لِلْعَرْضِ الأَكْبَرِ: يَوْمَ تُعْرَضُ لا تَخْفَى عَلَى اللهِ خَافِيَةٌ ... يَا أَبَا ذَرّ، لا يَكُونُ الرَّجُلُ مِنَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يُحَاسِبَ نَفْسَهُ أَشَدَّ مِنْ مُحَاسَبَةِ الشَّرِيكِ شَرِيكَهُ، فَيَعْلَمَ مِنْ أَيْنَ مَطْعَمُهُ وَمِنْ أَيْنَ مَشْرَبُهُ وَمِنْ أَيْنَ مَلْبَسُهُ: أَمِنْ حَلالٍ أَوْ مِنْ حَرَامٍ؟. يَا أَبَا ذَرّ، مَنْ لَمْ يُبَالِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَ الْمَالَ، لَمْ يُبَالِ اللهُ مِنْ أَيْنَ أَدْخَلَهُ النَّارَ»[٢].

ومنها: ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «ينبغي للعاقل إذا كان عاقلاً أن يكون له أربع ساعاتٍ من النهار: ساعةٍ يناجي فيها ربّه، وساعةٍ يحاسب فيها نفسه، وساعةٍ يأتي أهل العلم الذين يبصّرونه أمر دينه وينصحونه، وساعةٍ يخلّي بين نفسه ولذّتها من أمر الدنيا فيما يحلّ ويجمل»[٣].

ومنها: ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في «الغرر والدرر» قال: «ثمرة المحاسبة صلاح النفس»[٤]، «جاهد نفسك، وحاسبها محاسبة الشريك شريكه، وطالبها بحقوق الله مطالبة الخصم خصمه؛ فإنّ أسعد الناس من انتدب لمحاسبة نفسه»[٥]، «حاسبوا أنفسكم تأمنوا من الله الرهب وتدركوا عنده الرغب»[٦]، «زنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وحاسبوها قبل أن تحاسبوا، وتنفّسوا من ضيق الخناق قبل عنف السياق»[٧]، «من حاسب نفسه، وقف على عيوبه وأحاط بذنوبه، واستقال الذنوب وأصلح العيوب»[٨]، «ما أحقّ

---

١. محاسبة النفس (للسيّد ابن طاووس): ١٣، ورواه عنه غير واحد من أصحاب الحديث، فراجع.

٢. الأمالي (للشيخ الطوسي): ٥٣٣، المجلس ١٩، الحديث ١، مكارم الأخلاق: ٤٦٥، الفصل الخامس، ووسائل الشيعة ١٦: ٩٨، أبواب جهاد النفس، الباب ٩٦، الحديث ٢١٠٨٠.

٣. روضة الواعظين ١: ٤، مجلس في ماهيّة العقول وفضلها، وبحار الأنوار ١: ١،٣١، علامات العقل وجنوده، الحديث ٢٢.

٤. الغرر والدرر، الحديث ٤٧٣٦.

٥. الغرر والدرر، الحديث ٤٧٣٧.

٦. الغرر والدرر، الحديث ٤٧٣٨.

٧. الغرر والدرر، الحديث ٤٧٤٢.

٨ الغرر والدرر، الحديث ٤٧٤٨.

الإنسان أن تكون له ساعةٌ لا يشغله عنها شاغلٌ: يحاسب فيها نفسه، فينظر فيما اكتسب لها وعليها في ليلها ونهارها»[١].

ومنها: ما ورد عن مولانا زين العابدين عليه السلام قال: «ابْنَ آدَمَ، إنَّكَ لا تَزَالُ بِخَيْرٍ مَا كَانَ لَكَ وَاعِظٌ مِنْ نَفْسِكَ، وَمَا كَانَتِ الْمُحَاسَبَةُ مِنْ هَمِّكَ، وَمَا كَانَ الْخَوْفُ لَكَ شِعَاراً وَالْحُزْنُ لَكَ دِثَاراً. ابْنَ آدَمَ، إنَّكَ مَيِّتٌ وَمَبْعُوثٌ وَمَوْقُوفٌ بَيْنَ يَدَيِ الله، فَأَعِدَّ جَوَاباً»[٢].

ومنها: ما ورد عن مولانا الإمام الصادق عليه السلام: «إذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ لا يَسْأَلَ رَبَّهُ شَيْئاً إلاّ أَعْطَاهُ، فَلْيَيْأَسْ مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ، وَلا يَكُونُ لَهُ رَجَاءٌ إلاّ مِنْ عِنْدِ الله عَزَّ ذِكْرُهُ، فَإذَا عَلِمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ذَلِكَ مِنْ قَلْبِهِ، لَمْ يَسْأَلْهُ شَيْئاً إلاّ أَعْطَاهُ. فَحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا عَلَيْهَا؛ فَإنَّ لِلْقِيَامَةِ خَمْسِينَ مَوْقِفاً، كُلُّ مَوْقِفٍ مِقْدَارُهُ أَلْفُ سَنَةٍ» ثُمَّ تَلا ﴿فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [سورة السجدة، الآية: ٥]»[٣].

ومنها: ما ورد عن مولانا الكاظم عليه السلام قال: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُحَاسِبْ نَفْسَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ: فَإنْ عَمِلَ حَسَناً اسْتَزَادَ اللهَ، وَإنْ عَمِلَ سَيِّئاً اسْتَغْفَرَ اللهَ مِنْهُ وَتَابَ إلَيْهِ»[٤].

وليعلم: أنّ استقصاء الأخبار الصادرة عن الإنسان الكامل ـ أي: المعصوم عليه السلام ـ في خصوص المحاسبة والرعاية لا يحتمله هذه الأوراق، وإنّما الذي سنح به الخاطر الإشارة إلى ما يستفاد من مجموعها في ضمن نقاطٍ:

الأُولى: أنّ من حاسب نفسه ربح ونال الخلود الأبدي، ومن أهمل نفسه خسر وأدرك الخراب السرمدي.

الثانية: أنّ العاقل يحاسب نفسه؛ ليأمن خيانتها، وليسهل عليه الحساب يوم المعاد أو ينجو منه، حسب اختلاف المراتب ومواقف يوم القيامة.

---

١. الغرر والدرر، الحديث ٤٧٤٩.

٢. الأمالي (للشيخ الطوسي): ١١٥، المجلس ٤، الحديث ٣٠، الأمالي الشيخ المفيد: ١١٠، المجلس ١٢، الحديث ١٠، ووسائل الشيعة ١٦ : ٩٦، أبواب جهاد النفس، الباب ٩٦، الحديث ٢١٠٧٦.

٣. الكافي ٨ : ١٤٣، حديث محاسبة النفس، الحديث ١٠٨، الأمالي (للشيخ الطوسي): ٣٦، المجلس ٢، الحديث ٧، ووسائل الشيعة ١٦: ٩٥، أبواب جهاد النفس، الباب ٩٥، الحديث ٢١٠٧٥.

٤. الكافي ٢: ٤٥٤، باب محاسبة العمل، الحديث ٢، الاختصاص: ٢٤٣، تحف العقول: ٣٩٥، الزهد: ٧٦، الحديث ٢٠٣، ووسائل الشيعة ١٦: ٩٥، أبواب جهاد النفس، الباب ٩٥، الحديث ٢١٠٧٤.

الثالثة: أنّ حقيقة محاسبة النفس أن يضبط عليها أفعالها وحركاتها وسكناتها ولحظاتها وخطراتها، وألاّ يغفل عن مراقبتها، بل يصرفها إلى الخيرات، ويعزفها عن المنهيّات، ويعاقبها عبر ترك جملةٍ من المباحات وأداء كثيرٍ من المندوبات، ويضيّق عليها؛ لينقطع ميلها إلى فعل المحرّمات وترك المفروضات، وهكذا يفعل بها في حال كافّة الاكتسابات؛ لتصير منقادةً مطمئنّةً تصلح أن تُخاطب بـ: ﴿يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعي إِلى رَبِّكِ راضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾[1] ومعه ينجو من حساب يوم القيامة[2].

الرابعة: أنّ حال العقل مع النفس كحال الإنسان مع الشريك، فينبغي أن يتولّى حسابها كلّ يوم، وينظر إلى فعالها وشربها وأكلها وحركتها في الأعمال الظاهرة والباطنة، ثمّ يزن جميع ذلك بميزان الشرع القويم؛ ليعلم مداخل الزيادة والنقصان.

الخامسة: أنّ العاقل إذا تأمّل فيما فرّط في ماضيه ولم يثق ببلوغ آتيه واعتبر بعين البصيرة وعلم سهوه وغفلته في صرف ما فات من عمره وساعته في ملذّات الدنيا وشهوات النفس، حفظ ما بقي من عمره؛ لئلاّ يصرفه فيما هو فاسدٌ زائلٌ، وبادر إلى صالح العمل، واشتغل بما هو عنه غداً مسؤولٌ، واغتنم لحظاته في طاعة ربّه ورضوانه.

السادسة: أنّه لو لم يكن للحساب مهولةٌ إلاّ حياء العرض على الله عزّ وجلّ وفضيحة هتك السرّ على ما خفي من الضمائر والسرائر، لحقّ للمرء أن لا يهبط من رؤوس الجبال ولا يأوي إلى عمرانٍ ولا يأكل ولا يشرب ولا ينامٍ إلاّ عن اضطرارٍ.

ومثل ذلك يفعل من يرى القيامة بأهوالها وشدائدها قائمة على كلّ نفسٍ، ويعاين بقلبه الوقوف بين يدي الجبّار، وحينئذٍ يأخذ نفسه بالمحاسبة كأنّه إلى عرصتها مدعوّ وفي غمراتها مسؤولٌ[3]. وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوازينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كانَ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنا بِها وَكَفى بِنا حاسِبينَ﴾[4].

ولنختم الكلام في المقام بتحقيقين: أوّلهما: في البحث عن صورة محاسبة النفس حسبما ورد عن مولانا العسكري عن آبائه عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قال: «سمعت

---

١. سورة الفجر، الآيتان: ٢٧- ٢٨.

٢. اُنظر شرح اُصول الكافي ١٢: ١٤١، حديث محاسبة النفس.

٣. مصباح الشريعة: ٨٥، الباب ٣٨: في الحساب.

٤. سورة الأنبياء، الآية: ٤٧.

رسول الله ﷺ يقول: ألا أُخبركم بأكيس الكيّسين وأحمق الحمقى؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: أكيس الكيّسين من حاسب نفسه، وعمل لما بعد الموت، وإنّ أحمق الحمقى من اتّبع نفسه هواها، وتمنّى على الله تعالى الأماني. فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، وكيف يحاسب الرجل نفسه؟ قال: إذا أصبح ثمّ أمسى رجع إلى نفسه فقال: يا نفس، إنّ هذا يومٌ مضى عليك لا يعود إليك أبداً، والله تعالى يسألك عنه فيما أفنيته، فما الذي عملت فيه: أذكرت الله أم حمدتيه؟ أقضيت حوائج مؤمنٍ؟ أنفّست عنه كربةً؟ أحفظتيه بظهر الغيب في أهله وولده؟ أحفظتيه بعد الموت في مخلّفيه؟ أكففت عن غيبة أخٍ مؤمنٍ بفضل جاهك؟ أأعنت مسلماً؟ ما الذي صنعت فيه؟ فيذكر ما كان منه: فإن ذكر أنّه جرى منه خيرٌ، حمد الله تعالى، وكبّره على توفيقه. وإن ذكر معصيةً أو تقصيراً، استغفر الله تعالى، وعزم على ترك معاودته، ومحا ذلك عن نفسه بتجديد الصلاة على محمّدٍ وآله الطيّبين، وعرض بيعة أمير المؤمنين علي عليه السلام على نفسه وقبوله لها، وإعادة لعن أعدائه وشانئيه ودافعيه عن حقّه. فإذا فعل ذلك قال الله عزّ وجلّ: لست أُناقشك في شيءٍ من الذنوب مع موالاتك أوليائي ومعاداتك أعدائي»[1].

والذي يستفاد من هذا البيان الجامع: أنّ الكيّس من تعاهد نفسه بالمحاسبة والحذر، فوقف على عيوبه، وأحاط بذنوبه، ونظر فيما اكتسب لها وعليها في ليلها ونهارها، وتزوّد للرحيل من الدنيا الفانية إلى دار القرار الباقية، وبادر العمل قبل حلول الأجل. فمن استعدّ للآخرة، فقد حرث وبذر وحصد ما زرع. وحقيقة الزاد الإيمان والزهد والتقوى، أي: اكتساب أنوار المعلومات والتجرّد عن المادّيّات والابتعاد عن الظلمات، على خلاف حرث الدنيا التي قوامها تحصيل المال والجاه وحبّ الدنيا الذي هو أصل كلّ خطيئةٍ[2].

ومن هنا انقدح: أنّه لا نجاة لأحدٍ إلاّ لمن كان حاله في الدنيا كحال المسافر المقتصر منها على قدر الضرورة المحاسب نفسه آناً بعد آنٍ، ولا سعادة لأحدٍ إلاّ لمن ورد إلى الله عارفاً به وبملكوته وآيات جلاله وعظمته، وأحبّ الله بقلبه، والله وليّ التوفيق[3].

---

١. تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٣٨ ـ ٣٩، تفسير سورة الحمد.

٢. إشارة إلى ما ورد في الكافي ٢: ٣١٥، باب حبّ الدنيا والحرص عليها وغيره، عن مولانا الصادق عليه السلام قال: «رأس كلّ خطيئةٍ حبّ الدنيا».

٣. راجع أسرار الآيات: ١١٥ ـ ١١٦.

وثانيهما: في ما نذكره من نبذٍ من الدعاء الذي يقتضي ذكره الاهتمام بمحاسبة الحفظة الكرام والاحتياط بالمراقبة في الليل والنهار للسلامة من الآصار والأخطار، حسبما ورد عن مولانا سيّد الساجدين عليه السلام من دعائه عند الصباح والمساء قائلاً:

«الْحَمْدُ للهِ الَّذي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ بِقُوَّتِه، وَمَيَّزَ بَيْنَهُمَا بِقُدْرَتِه، وَجَعَلَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَدّاً مَحْدُوداً، وَأَمَداً مَمْدُوداً ... أَصْبَحْنَا فِي قَبْضَتِكَ يَحْوِينَا مُلْكُكَ وَسُلْطَانُكَ، وَتَضُمُّنَا مَشِيَّتُكَ، وَنَتَصرَّفُ عَنْ أَمْرِكَ، وَنَتَقَلَّبُ فِي تَدْبِيرِكَ. لَيْسَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ إلاّ مَا قَضَيْتَ، وَلا مِنَ الْخَيْرِ إلاّ مَا أَعْطَيْتَ. وَهَذَا يَوْمٌ حَادِثٌ جَدِيدٌ، وَهُوَ عَلَيْنَا شَاهِدٌ عَتِيدٌ، إنْ أَحْسَنَّا وَدَّعَنَا بِحَمْدٍ، وَإِنْ أَسَأْنَا فَارَقَنَا بِذَمّ. اللهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِه، وَارْزُقْنَا حُسْنَ مُصَاحَبَتِهِ، وَاعْصِمْنَا مِنْ سُوءِ مُفَارَقَتِه بِارْتِكَابِ جَرِيرَةٍ، أَوِ اقْتِرَافِ صَغِيرَةٍ أَوْ كَبِيرَةٍ، وَأَجْزِلْ لَنَا فِيهِ مِنَ الْحَسَنَاتِ، وَأَخْلِنَا فِيهِ مِنَ السَّيِّئَاتِ، وَامْلأْ لَنَا مَا بَيْنَ طَرَفَيْهِ حَمْداً وَشُكْراً وَأَجْراً وَذُخْراً وَفَضْلاً وَإِحْسَاناً. اللهُمَّ يَسِّرْ عَلَى الْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ مَئُونَتَنَا، وَامْلأْ لَنَا مِنْ حَسَنَاتِنَا صَحَائِفَنَا، وَلا تُخْزِنَا عِنْدَهُمْ بِسُوءِ أَعْمَالِنَا. اللهُمَّ اجْعَلْ لَنَا فِي كُلِّ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِه حَظّاً مِنْ عِبَادِكَ، وَنَصِيباً مِنْ شُكْرِكَ، وَشَاهِدَ صِدْقٍ مِنْ مَلائِكَتِكَ. اللهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِه، وَاحْفَظْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِينَا وَمِنْ خَلْفِنَا وَعَنْ أَيْمَانِنَا وَعَنْ شَمَائِلِنَا وَمِنْ جَمِيعِ نَوَاحِينَا حِفْظاً عَاصِماً مِنْ مَعْصِيَتِكَ، هَادِياً إِلَى طَاعَتِكَ، مُسْتَعْمِلا لِمَحَبَّتِكَ. اللهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِه، وَوَفِّقْنَا فِي يَوْمِنَا هَذَا وَلَيْلَتِنَا هَذِهِ وَفِي جَمِيعِ أَيَّامِنَا لاسْتِعْمَالِ الْخَيْرِ، وَهِجْرَانِ الشَّرِّ، وَشُكْرِ النِّعَمِ، وَاتِّبَاعِ السُّنَنِ، وَمُجَانَبَةِ الْبِدَعِ، وَالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَحِيَاطَةِ الإِسْلامِ، وَانْتِقَاصِ الْبَاطِلِ وَإِذْلالِه، وَنُصْرَةِ الْحَقِّ وَإِعْزَازِه، وَإِرْشَادِ الضَّالِّ، وَمُعَاوَنَةِ الضَّعِيفِ، وَإِدْرَاكِ اللهِيفِ. اللهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِه، وَاجْعَلْهُ أَيْمَنَ يَوْمٍ عَهِدْنَاهُ، وَأَفْضَلَ صَاحِبٍ صَحِبْنَاهُ، وَخَيْرَ وَقْتٍ ظَلِلْنَا فِيهِ، وَاجْعَلْنَا مِنْ أَرْضَى مَنْ مَرَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ مِنْ جُمْلَةِ خَلْقِكَ، أَشْكَرَهُمْ لِمَا أَوْلَيْتَ مِنْ نِعَمِكَ، وَأَقْوَمَهُمْ بِمَا شَرَعْتَ مِنْ شَرَائِعِكَ، وَأَوْقَفَهُمْ عَمَّا حَذَّرْتَ مِنْ نَهْيِكَ»[1].

---

١. الصحيفة السجّاديّة: الدعاء ٦. ولا شكّ أنّ المتعيّن قراءة الدعاء عن حضور قلبٍ بطوله، وإنّما تلونا نزراً منه لأجل نضد الرسالة على الإيجاز، فراجع واغتنم.

فاقرأ هذا الدعاء وارق إليه، وتعرّض لنفحاته، ولا تعرض عن فوحاته؛ إنّ الله سميعٌ قريبٌ.

ولنعطف المقال عن هذا المقام الباحث عن محاسبة النفس في ضوء القرآن والسنّة إلى المقام الباحث حول منزلة المحاسبة عند أرباب البصائر وأصحاب القلوب.

المقام الثاني: في منزلة المحاسبة عند أهل المعرفة

إنّ الوحي الإلهي المتبلور في الكتاب والعترة علّم رواسي الحكمة وأوتاد المعرفة نحوَ إثارة دفائن العقول وبيان سبل الهداية السليمة وإفاضة أنوار العلوم، ولذا حظيت محاسبة النفس ـ كغيرها من المسائل المتّصلة بمعرفة النفس ـ بنصيبٍ وافرٍ من الاهتمام وكيلٍ وافٍ من التحقيق لديهم.

والذي ينبغي التنبّه له: أنّ من نظر في وجوده وأحواله أدرك أنّه مفتقرٌ إلى غيره، وكلّ محتاجٍ إلى غيره ناقصٌ في نفسه، ومن علم نقصان نفسه انبعث في باطنه شوقٌ إلى كماله يدعوه إلى طلبه، ويحتاج في ذلك الطلب إلى سيرٍ وحركةٍ يطلق عليها أهل الله السلوك[1].

ثمّ إنّ كلّ من رغب في هذه الحركة وذلك السير لزمه مراعاة أُمورٍ وآدابٍ وشرائط وأُصولٍ، وقد تقدّم الكلام في شطرٍ منها في المدخل.

والغرض: أنّ السير لابدّ من له من مبدأ سليم بمنزلة الزاد والراحلة في الحركة الظاهرة؛ لأنّه انطلاقة الشروع في السير، وغايته تعديل قوى النفس، وتقويم آلاتها الظاهرة، وتحصيل قوّتها الباطنة، بتوجّهها إلى تدبير البدن وتكميله وإيصاله إلى ما فيه نفعه في العاجل والآجل على الوجه اللائق والرأي الصواب الموافق لشرع الله المقدّس.

ويرى أكابر العرفاء: أنّ النهايات لا تصحّ إلاّ بتصحيح البدايات، كما أنّ البناء لا

---

١. أوصاف الأشراف: ٣١.

يقوم إلاّ على الأساس[1]، أي: لا بدّ من طيّ منازل قسم البدايات للدخول منها إلى سائر الأقسام التي تشكّل بمجموعتها منازل مائةٌ ينزلها السائرون إلى الله جلّ جلاله.

وأوّل تلك المنازل اليقظة، ثمّ التوبة، ثمّ المحاسبة، ثمّ الإنابة، ثمّ التفكّر، ثمّ التذكّر، ثمّ الاعتصام، ثمّ الفرار، ثمّ الرياضة، حسبما أفاده الخواجة عبد الله الأنصاري في منازله[2]. وليس المقصود هنا بيان حقيقة كلّ منزلٍ من هذه المنازل؛ إذ لذلك المقام مقالٌ آخر.

ولنشرع الآن في تحقيق ما هو الغرض من الرسالة، فنقول:

إنّ أصل صدور الذنب وتطرّق الغفلة هو إهمال المحاسبة ونسيان المراقبة وتأخير التوبة وترك الاستغفار والتسويف بالاستقامة، وأصل ذلك كلّه هو حجاب حبّ الدنيا وغلبة الهوى على القلب[3]. فمن أهمل نفسه طال شقاؤه، وأفسد أمره وعاقبته، وأعان على هلاكه، وأسخط ربّه.

وإنّما يُسلك طريق محاسبة النفس -كما صرّح به غير واحدٍ من الحافّين حول المعرفة- بعد العزيمة على عقد التوبة والوفاء بأحكامها، والعزيمة لها ثلاثة أركانٍ:

أحدهما: أن تقيس بين نعمة الله وجنايتك، فتعلم أنّ حقّ النعمة أن تشكر، وقد كفرت وأسأت، فتحاسب نفسك؛ لتعلم أيّهما أرجح: الحسنات أم السيّئات؟ ثمّ إن ما ذكر إنّما يتيسّر على من تحلّى بأُمورٍ ثلاثةٍ: الأوّل: نور الحكمة، أي: ميزان الشرع؛ إذ لا يصحّ التمييز بين الحقّ والباطل لمن أهمله. الثاني: الحزم وسوء الظنّ بالنفس؛ فإنّه مع حسن الظنّ في حقّها لا يكاد يرى عيبها. الثالث: تمييز النعمة عن الفتنة، وذلك بالنظر إلى ما أنعم الله به عليك من خيرٍ: صحّةً أو مالاً أو طاعةً أو علماً أو سؤدداً ونحوها ممّا لا يعدّ كمالاً في الدنيا والآخرة: فإن وجدت ذلك ممّا يجمعك على الله- أي: لا تميل بك إلى سواه- فهو نعمةٌ، وإن وجدته مفرّقاً لك عن الله تعالى فهو نقمةٌ[4].

---

١. لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام: ١٠٦.

٢. شرح منازل السائرين: ٣٣.

٣. قوت القلوب ١: ١٦٢.

٤. لطائف الإعلام: ٣٩٧.

وثانيها: تمييز ما للحقّ عليك من الطاعات والفرائض وبين ما لك نفعه أو أجره، فتعلم أنّ الجناية عليك حجّةٌ، والطاعة منّةٌ لله عليك[١].

وثالثها: أن تعلم أنّ كلّ طاعةٍ رضيت بها عن نفسك فهي عليك، وأنّ كلّ معصيةٍ عيّرت بها أخاك فهي إليك راجعةٌ. وبيان ذلك: أنّ العبد إذا رضي من نفسه بأنّها أدّت ما عليها من طاعةٍ، فقد رضي بها لرّبه وقنع له بها، وأيّ طاعةٍ تليق بحضرة سيّدها حتّى يقنع بها؟ ومتى تؤدّي حقّه؟ وكيف وفّت بحقّه، وهي حقٌّ منه عليه؟ وأمّا رجوع تعييرك أخاك بالمعصية إليك فلأنّه إذا عيّرته بمعصيةٍ، فقد أعززت نفسك ونزّهتها منها وأعجبت بعصمتها وأهنت أخاك وظننت أنّك خيرٌ منه، مع أنّ الله تعالى قد يعفو عنه ويعاقبك بها[٢].

ومن هنا يتّضح: أنّ على العبد أن لا يضيّع ميزان المحاسبة بالعدل من يديه في تمييز ما ذكر وموازنتها على ما ينبغي؛ إذ الخلل في الموازنة في وقت المحاسبة تضييعٌ له.

وليتدبّر: كما أنّ التاجر يستعين بشريكه ويسلّم المال إليه حتى يتّجر ويشترط عليه رجاء سلامة الربح أوّلاً، ثمّ يراقبه ثانياً، ثمّ يحاسبه ثالثاً، ثمّ يعاتبه أو يعاقبه، فكذلك العقل هو التاجر في طريق الآخرة، ومطلبه وربحه تزكية النفس؛ لأنّ بذلك فلاحها. والعقل يستعين بالنفس في هذه التجارة؛ إذ يسخّرها فيما يزكّيها، فيحتاج إلى مشارطة النفس أوّلاً: بأن يرشدها إلى سبل النجاح وطرق الصلاح ويجزم عليها الأمر بسلوكها، ثمّ لا يغفل عن مراقبتها لحظةً؛ إذ لو أهملها لم يلق منا إلاّ الخيانة والتضييع، ثمّ يحاسبها ويطالبها بالوفاء بما اشترط عليها، ثمّ يعاتبها أو يذمّها إن صدر منها الغفلة والتقصير؛ فإنّ هذه تجارةٌ ربحها الفردوس الأعلى وبلوغ سدرة المنتهى مع الأنبياء والصلحاء. ولذا كان تدقيق الحساب مع النفس أولى من تدقيقه في أرباح الدنيا، مع أنّها حقيرةٌ بالإضافة إلى نعيم الآخرة، كما أنّ مصيرها إلى التصرّم والانقضاء، ولا خير في خيرٍ لا يدوم[٣].

---

١. شرح منازل السائرين: ٥٥.

٢. لطائف الإعلام: ٤٣٣، وشرح منازل السائرين: ٥٦.

٣. إحياء علوم الدين ١٥: ٦، كتاب المراقبة والمحاسبة.

فحتمٌ على كلّ ذي حزم أن لا يغفل عن محاسبة نفسه والتضييق عليها في حركاتها وسكناتها وخِطراتها؛ فإنّ كلّ نفسٍ من أنفاس العمر جوهرةٌ نفيسةٌ لا عوض لها، يمكن أن يُشترى بها كنزٌ من الكنوز لا يتناهى نعيمه أبد الآباد، فانقضاء هذه الأنفس في ضياعٍ أو فيما يجلب الهلاك خسرانٌ عظيمٌ لا تسمح به نفسُ عاقلٍ لبيب.

ثمّ إنّ الغزالي ادّعى أنّ المحاسبة على نحوين: ما كان قبل العملِ وما كان بعده، وغرض الأُولى التحذير والاحتراز في المستقبل، واستشهد لذلك بجملةٍ من الآيات والروايات[١]، وتبعه غير واحدٍ من المحقّقين[٢].

والتحقيق: أنّ ما ذكره غير تامّ؛ لا ندراجه تحت تدبّر العاقبة والحزم والتثبّت في الأُمور، كما يرشد إليه الآيات والأخبار، ولذا لم نتعرّض لها في المقام الأوّل، مع أنّ ذلك خلاف ما هو المراد من المحاسبة في اصطلاحهم.

كما وقع خلطٌ في كلمات بعض الأعاظم ممّن صنّف رسائل مستقلّةً في محاسبة النفس، نحو ما فعله السيّد ابن طاووس في رسالته؛ إذ ضمّنها مباحث ترتبط بعرض الأعمال على الله وخاصّته، وكتابة الملائكة أعمال العباد، وارتفاع الملكين بها، ومكانهما من ابن آدم، واستحباب السجود عند الانتباه من النوم، ونحو ما قام به الشيخ الكفعمي في تصنيفه؛ فإنّه تعرّض لمراحل معاذلة النفس وذمّها والحثّ على المراقبة والتوبة والعزلة والعمل الصالح، والله العالم[٣].

والحاصل: أنّ العبد السائر إلى الله كما يكون له وقتٌ أوّل النهار يشارط فيها نفسه على نحو التوصية بالحقّ، فكذلك ينبغي أن يكون له في آخر النهار ساعةٌ يحاسب فيها نفسه على حركاتها وسكناتها. ولمّا كان رأس مال العبد الفرائض وربحه النوافل والفضائل وخسرانه المعاصي وموسم تجارته جملة النهار ومعاملة النفس الأمّارة بالسوء، فليحاسبها أوّلاً على الفرائض: فإن أدّتها على وجهها شكر الله تعالى ورغّبها في مثلها، وإن فوّتها من أصلها طالبها بالقضاء، وإن أدّتها ناقصةً كلّفها الجبران بالنوافل، وإن ارتكبت معصيةً اشتغل بعتابها ومعاقبتها واستوفى منها ما يتدارك به ما فرّط.

---

١. إحياء علوم الدين ١٥: ٩، كتاب المراقبة والمحاسبة.

٢. كالفيض الكاشاني في المحجّة البيضاء ٨: ١٥٤، كتاب المراقبة والمحاسبة.

٣. لعلّ من المناسب هنا الرجوع إلى الكتابين المذكورين مع مقدّمتنا وتعاليقنا عليهما لمزيد التحقيق.

وعليه فينبغي للعاقل أن يتّقي غائلة النفس؛ فإنّها خدّاعةٌ مكّارةٌ، فيطالبها أوّلاً بتصحيح الجواب عمّا تكلّم به طول نهاره، وليتكفّل بنفسه من الحساب ما سيتولاّه غيره في صعيد القيامة، وهكذا عن نظره، بل عن خواطره وأفكاره وقيامه وقعوده وأكله وشربه ونومه وسكوته وسكونه. ولا بدّ أيضاً من محاسبة النفس على جميع العمر يوماً فيوماً وساعةً فساعةً عن جميع الأعضاء الظاهرة والباطنة، وعن معصيته بالقلب والجوارح في كلّ لحظةٍ[1]، هذا.

إلاّ أنّ أبا طالب المكّي في «قوت القلوب» رجّح أن يكون للمرء وردان في اليوم والليلة لمحاسبة النفس: الأوّل عند الضحى لما مضى من ليلتك وما سلف من غفلتك: فإن رأيت نعمةً شكرت الله، وإن رأيت بليّةً استغفرت، وإن وجدت من حالك نحواً من أوصاف المؤمنين والصالحين رجوت واستبشرت، وإن وجدت من قلبك حالاً من أوصاف المنافقين والفاسقين حزنت واستغفرت. والثاني قبل النوم لما مضى من يومك من طول غفلتك وسوء معاملتك، وما فعلته من أعمالك: كيف فعلتها؟ وما تركته من سكوتك وصمتك: لم تركته ولمن تركته؟ فما تحرّكت فيه وسكنت لأجل الله تعالى فهو الإخلاص الممدوح المستوجب للثواب، وما سكنت فيه أو تحرّكت فيه وسكنت لهواك وعاجل دنياك فهو التكلّف المذموم المستلزم للعقاب، إلاّ أن يغفر المولى الكريم الوهّاب[2].

وأمّا الغزالي[3] والشيخ الأكبر[4] والفيض الكاشاني[5] والنراقي[6] والسيّد بحر العلوم[7] والعلاّمة الطباطبائي[8] والعلاّمة الطهراني[9] ومن وافقهم فالتزموا بأنّ المحاسبة عبارةٌ

---

١. اُنظر المحجّة البيضاء ٨: ١٦٧ ـ ١٦٨، كتاب المراقبة والمحاسبة.

٢. اُنظر قوت القلوب ١: ١٦١، الفصل ٢٥، في ذكر تعريف النفس وتصريف مواجيد العارفين.

٣. اُنظر إحياء علوم الدين ١٥: ٢٥.

٤. اُنظر الفتوحات المكيّة ١: ٢١١، محاسبة النفس ومراعاة الأنفاس.

٥. اُنظر المحجّة البيضاء ٨: ١٦٧.

٦. اُنظر جامع السعادات ٢: ٢٣٤، مقامات مرابطة العقل للنفس.

٧. اُنظر رسالة السير والسلوك: ١٨٧.

٨. اُنظر رسالة لبّ اللباب: ١١٠.

٩. اُنظر مكتوبات، مراسلات، مقالات: ١٩٦.

عن تخصيص وقتٍ معيّنٍ من أواخر كلّ يوم (أي: بعد العشاء وقبل النوم) لاستقصاء ما صدر عن النفس من فعلٍ أو قولٍ أو حركةٍ أو سكنةٍ والتدقيق فيها، فلاحظ.

وإذ قد تقرّر: أنّ المحاسبة ما هي وأنّ المبحوث عنها ما هو، يلزم البحث حينئذٍ في ما هو المناط في المحاسبة بعد الكلام في حقيقتها وضرورتها وغايتها.

وليتفطّن: أنّ أصل المحاسبة وملاكها - كما أفاده سلطان المحقّقين نصير الدين الطوسي[١] والحكيم المتألّه الملاّ هادي السبزواري[٢]- هو أن يتذكّر العبد النعم التي أنعم الله جلّ جلاله بها عليه في بدنه والحكم التي أودعها في خلقة أعضائه من المنافع والحكم التي صنّف فيها علماء التشريح أسفاراً عدّة بحسب ما وصلت إليه حلومهم، مع أنّ ما أدركوه منها كالقطرة في بحرٍ لجّيٍ، وكذا الفوائد التي أظهرها في نفسه وقواها النباتيّة والحيوانيّة ودقائقها كمنفعة الإحساس والتخيّل والتوهّم والتعقّل والحفظ والتصرّف، ثمّ يوازنها مع طاعاته وحسناته، مع أنّ الله تعالى قال: ﴿إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوها إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَحيم﴾[٣]، فيعترف حينئذٍ بالعجز عن القيام بخدمة مولاه ويقف على تقصيره وتفريطه، فيتدارك ما أمكن ولا يفتر عن الحدّ[٤]، وإن كثر الفضل من طاعته على معصيته. وأمّا إذا ساوت طاعاته معاصيه فليتحقّق أنّه ما قام بشيءٍ من وظائف العبوديّة، وكان تقصيره أوضح، وإن ترجّحت معاصيه فالويل والحسرة له. فإذا قام السالك مع نفسه بهذه المحاسبة، لم يصدر عنه غير الطاعة، وعدّ نفسه _ وإن كثرت طاعاته وفضائله _ من المقصّرين[٥].

ويلزم التنبيه هنا على أنّ العباد السائرين إلى الله جلّ جلاله بجناحي العلم والعمل يتفاوتون في نحو محاسبتهم لأنفسهم ما بين مقتصرٍ على لحاظ الأفعال والأقوال، وآخر مسارعٍ إلى الخيرات بزيادة الحركات والسكنات، وثالثٍ مضيفٍ خاطراً إليها.

---

١. أُنظر أوصاف الأشراف: ٧٩ ـ ٨١.
٢. أُنظر شرح الأسماء الحسنى ١: ٤٧.
٣. سورة النحل، الآية: ١٨.
٤. أُنظر شرح الأسماء الحسنى ١: ٤٧.
٥. أُنظر أوصاف الأشراف: ٨١

وإلى هذا المعنى أشار الحكيم السبزواري في منظومته القيّمة بقوله:

صونك عن زلّاتك المراقبة　　وحذوها طاعاتك المحاسبة
إن زدت طاعةً فزن بنعمه　　ترجع كليلاً واثقاً بكرمه
بل هي منها إنّها بمنّته　　فللّه المنّة في هدايته
ومن محاسبٍ مضيفٍ خاطرا　　في ليله تدارك التعثّرا

وقد أفاد في شرح البيت الأخير منه ما نصّه: أي: يوجد في أهل السلوك من أهل الله محاسبٌ مضيفٌ خاطراً إلى الأعمال، فيحاسب الخواطر الربّانيّة والملكيّة مع الخواطر الشيطانيّة والنفسانيّة السانحة له في يومه وليله[1].

كما قرّر في «شرح الأسماء الحسنى» ما محصّله: أنّ بعض الكمّل شيمتهم أن يحاسبوا خطرات ضميرهم: فإن خطر في اليوم ببالهم خطرةٌ من غير الحبيب تداركوها في الليلة بقلبٍ منيبٍ وفؤادٍ كئيبٍ ﴿وَ إِنْ تُبْدُوا ما في أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ﴾[2 و 3].

أقول: لعلّ مراده من بعض الكمّل من أهل الله: الشيخ الأكبر ابن عربي حسبما أفاده في «فتوحاته» قائلاً:

وكان أشياخنا يحاسبون أنفسهم على ما يتكلّمون به وما يفعلونه ويقيّدونه في دفترٍ، فإذا كان بعد صلاة العشاء وخلوا في بيوتهم، حاسبوا أنفسهم، وأحضروا دفترهم، ونظروا فيما صدر منهم في يومهم من قولٍ وعملٍ، وقابلوا كلّ عملٍ بما يستحقّه: إن استحقّ استغفاراً استغفروا، وإن استحقّ توبةً تابوا، وإن استحقّ شكراً شكروا، إلى أن يفرغ ما كان منهم في ذلك اليوم، وبعد ذلك ينامون. فزدنا عليهم في هذا الباب بتقييد الخواطر، فكنّا نقيّد ما تحدّثنا به نفوسنا وما تهمّ به زائداً على كلامنا وأفعالنا، وكنت أُحاسب نفسي مثلهم في ذلك الوقت، وأُحضر الدفتر، وأُطالبها بجميع ما خطر لها وما حدّثت به نفسها وما ظهر للحسّ من ذلك من قولٍ و عملٍ وما نوته في ذلك الخاطر

---

١. شرح المنظومة ٥: ٣٨٩، فريدة في المحاسبة والمراقبة.
٢. سورة البقرة، الآية: ٢٨٤.
٣. شرح الأسماء الحسنى ١: ٤٧.

والحديث، فقلّت الخواطر والفضول إلاّ فيما يعني. فهذا فائدة هذا الباب وفائدة الاشتغال بالنيّة، وما في الطريق ما يغفل عنه أكثر من هذا الباب؛ فإنّ ذلك راجعٌ إلى مراعاة الأنفاس، وهي عزيزةٌ.[١]

وإنّما ذكرناه بطوله- مع أنّ بناء الرسالة على الإيجاز- لما فيه من الفوائد واللطائف، فتدبّر تغتنم.

ومن هنا يظهر سرّ ما أشاده المحقّق النحرير عبد الرزّاق الكاشاني في «اصطلاحاته» في بيان تفاوت درجات السلاّك إلى الله في محاسبة النفس ومقدار رعايتها- لمكان اختلاف مراتبهم في العلوم والمعارف - حسب المنازل والمقامات حيث قال:

المحاسبة: وهي في البدايات: الموازنة بين الحسنات والسيّئات.

وفي الأبواب: المقايسة بين دواعي الخير والشرّ وخواطرها، وانقياد الأُولى وقمع الثانية.

وفي المعاملات: بين أوقات الحضور والرعاية، وبين أوقات الذهول والغفلات.

وفي الأخلاق: بين الفضائل والرذائل، والملكات الفاضلة والرديّة.

وفي الأُصول: بين تصميم أوقات العزيمة والفترة، وجمعيّة الهمّ في السلوك والتفرقة، وأحانين الأُنس بالحقّ والوحشة بالالتفات إلى الخلق.

وفي الأودية: الموازنة بين وقت الأمن ـ القريب من العيان في مقام الإحسان وسكون الباطن ـ بالتنوّر بنور الحقيقة، وبين وقت الاحتجاب والاضطراب لكدورة البصيرة برسوم الخليقة.

وفي الأحوال: بين أزمنة خفوق البوارق وخفوتها، وأوقات اشتداد الشوق والوجد وضعفهما، وحصول الذوق وعدمه إلى أن يستمرّ.

وفي الولايات: بين صفاء الوقت وكدورته، وترويح النفس وتبريح الكرب إلى أن يتمكّن.

وفي الحقائق: بين وارد القبض والبسط، وأوقات التجلّي والاستتار، وغلبات السكر والصحو إلى أن يستقرّ.

وفي النهايات: بين حالات الفناء وظهور التلوين عند أوائل الردّ إلى البقاء والجمع والفرق

---

١. الفتوحات المكّيّة ١: ٢١١، محاسبة النفس ومراعات الأنفس.

والتحقيق والتفريد إلى أن يتحقّق بمحض التوحيد في مقام أحديّة الجمع والفرق[١].

والغرض: أنّ القلوب أوعيةٌ، وخيرها أوعاها[٢]، فلكلٍّ من العباد ذوي الهمم العالية والأنفس الزكيّة حظٌّ من مدارج المحاسبة والسلوك فيها والعروج إليها. وإنّما الحاجب عنها الغفلة دون الجهل، وذلك بالاشتغال بحطام الدنيا وعرض هذا الأدنى[٣]، فالاشتغال بها يوجب حبّها والتعلّق بها والغفلة عمّا وراء هذه النشأة[٤]، مع كمون خصوصيّة العبد في التوجّه إلى الله جلّ جلاله ولقائه عبر العلم النافع والعمل الصالح والمعارف الحقّة ومكارم الأخلاق ومحامد الخصال[٥].

هذا ما تيسّر لنا من بيان آداب محاسبة النفس وصورتها وسرّها، مع قلّة البضاعة وقصور الباع في الصناعة، سائلاً العفو عمّا طغى به القلم أو زلّت به القدم. فإن وفى بشيءٍ من التنقيح والتحقيق فللّه المنّة وحده، وإلاّ فليعذرني الكرام؛ إذ العذر عند الكرام مقبولٌ. دعواهم فيها سبحانك اللّهمّ وتحيّتهم فيها سلامٌ، وآخر دعواهم أن الحمد لله ربّ العالمين.

حرّرها أقلّ العباد خلالاً وخصالاً

سلام التميمي

٦ جمادى الآخرة ١٤٣٠

قم المقدّسة

---

١. اصطلاحات الصوفيّة: ١٥١ ـ ١٥٢.

٢. إشارة إلى ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام (في نهج البلاغة: الحكمة ١٤٧) من قوله لكميل بن زياد: «يا كميل، إنّ هذه القلوب أوعية، فخيرها أوعاها...» فراجع وتبصّر.

٣. إشارة إلى الآية: ٢٠ من سورة الحديد، والآية: ١٦٩ من سورة الأعراف.

٤. اُنظر رسالة الولاية (ترجمة وشرح): ٢٠٢ ـ ٢٠٣، الفصل الثالث.

٥. اُنظر معرفة الله ٢: ٤٨.

مصادر التحقيق

١. القرآن الكريم

٢. نهج البلاغة

٣. الصحيفة السجّاديّة

٤. ابن طاووس، السيّد رضي الدين علي بن موسي بن جعفر، محاسبة النفس، طهران، المكتبة المرتضويّة لإحياء الآثار الجعفريّة، ١٣٩٠ هـ. ق.

٥. الحرّ العاملي، الشيخ محمّد بن حسن بن علي، أمل الآمل، بغداد، مكتبة الأندلس، ١٣٨٥ هـ. ق.

٦. النوري، الميرزا حسين الطبرسي، خاتمه المستدرك، قم، مؤسّسة آل البيت لإحياء التراث، ١٤١٥ هـ. ق.

٧. القمّي، الشيخ عبّاس بن محمّدرضا، الكني والألقاب، النجف الأشرف، ١٣٨٩ هـ. ق

٨. الصدوق، الشيخ محمّد بن علي بن بابويه القمّي، كتاب من لايحضره الفقيه، قم، مؤسّسه النشر الإسلامي، ١٤١٣ هـ. ق.

٩. الطوسي، الشيخ أبو جعفر محمّد بن حسن، تهذيب الأحكام، طهران، دارالكتب الإسلاميّه، ١٣٦٥ هـ. ش.

١٠. الصدوق، الشيخ محمّد بن علي بن بابويه القمّي، عيون أخبار الرضا عليه السلام، قم، انتشارات جهان، ١٣٧٨، هـ. ق.

١١. الكفعمي، الشيخ إبراهيم بن علي العاملي، البلد الأمين، قم.

۱۲. ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمّد، النهاية في غريب الحديث والأثر، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤١٨ هـ. ق.

۱۳. الطريحي، فخرالدين بن محمّد علي، مجمع البحرين، طهران، المكتبة المرتضويّة، لإحياء الآثار الجعفريّة، ١٣٧٥ هـ. ش.

١٤. الشيرازي، الشيخ مكارم ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، قم، مدرسة الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام، ١٤٢١ هـ. ق.

١٥. ابن عربي، أبوعبد الله محي الدين بن علي بن محمّد، تفسيرابن عربي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢ هـ. ق.

١٦. القشيري، عبدالكريم بن هوازن، لطائف الإشارات، مصر، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب.

١٧. الطباطبائي، العلّامة السيّد محمّدحسين، الميزان في تفسيرالقرآن، قم، مؤسّسة النشر الإسلامي، ١٤١٧هـ. ق.

١٨. الكليني، ثقة الأسلام أبوجعفر محمّد بن يعقوب، الكافي، طهران، دارالكتب الإسلاميّة، ١٣٦٥ هـ. ش.

١٩. الجنابذي، الحاجّ سلطان محمّد، تفسير بيان السعادة في مقامات العبادة، بيروت، مؤسّسه الأعلمي للمطبوعات، ١٤٠٨ هـ. ق.

٢٠. الآملي، السيّد حيدر بن علي الحسيني، تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضمّ في تأويل كتاب الله العزير المحكم، طهران، منشورات وزارة الإرشاد الإسلامي، ١٤٢٢ هـ . ق.

٢١. صدرالمتألّهين، الملّا محمّد بن إبراهيم الشيرازي، تفسير القرآن الكريم، قم، انتشارات بيدار، ١٣٦٦ هـ. ش.

٢٢. الحويزي، عبد علي جمعة العروسي، تفسيرنور الثقلين، قم، انتشارات إسماعيليّان، ١٤١٥ هـ. ق.

٢٣. القمّي، علي بن إبراهيم بن هاشم، تفسير علي بن إبراهيم، قم، دارالكتب، ١٣٦٧ هـ. ش.

٢٤. ابن طاووس، السيّد رضي الدين علي بن موسي بن جعفر، سعدالسعود للنفوس منضود، قم، منشورات الكتبي.

٢٥. الفيض الكاشاني، الملّا محسن محمّد بن مرتضى، الأصفي في تفسير القرآن، قم، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤١٨ هـ. ق.

٢٦. البحراني، السيّد هاشم بن سليمان، البرهان في تفسير القرآن، قم، مؤسّسة البعثة، ١٤٢٦ هـ. ق.

٢٧. المجلسي، المولى محمّد باقر بن محمّد تقي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار، بيروت، مؤسّسة الوفاء، ١٤٠٤ هـ. ق.

٢٨. الحرّ العاملي، الشيخ محمّد بن حسن بن علي، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحرير مسائل الشريعة، قم، مؤسّسة آل البيت لإحياء التراث، ١٤٠٩ هـ. ق.

٢٩. ورّام، الأمير الزاهد أبوالحسن بن أبي فراس، تنبيه الظواهر ونزهة النواظر، قم، منشورات مكتبة الفقيه.

٣٠. الآمدي، عبدالواحد بن محمّد التميمي، غررالحكم ودررالكلم، قم، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٣٦٦ هـ. ش.

٣١. الديلمي، الحسن بن أبي الحسن، أعلام الدين في صفات المؤمنين، قم، مؤسّسه آل البيت لإحياء التراث، ١٤٠٨ هـ. ق.

٣٢. القمّي، شاذان بن جبرائيل بن أبي طالب، الفضائل، قم، منشورات الرضي، ١٣٦٣ هـ. ش.

٣٣. النوري، الميرزا حسين الطبرسي، مستدرك الوسائل، قم، مؤسّسه آل البيت لإحياء التراث، ١٤٠٨ هـ. ق.

٣٤. الصادق، الإمام جعفر بن محمّد عليه السلام، مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقه، قم، مؤسّسه الأعلمي للمطبوعات، ١٤٠٠ هـ. ق.

٣٥. الترمذي، الحافظ، أبو عيسىٰ محمّد بن عيسى، سنن الترمزي أوالجامع الصحيح، بيروت، دارالفكر للطباعة والنشر، ١٤٠٣ هـ. ق.

٣٦. ابن أبي الدنيا، عبدالله بن محمّد القريشي، محاسبة النفس.

۳۷. ابن كثير، إسماعيل بن عمرو الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، بيروت، دارالكتب العلميّة، ۱٤۱۹ هـ. ق.

۳۸. الحارثي، الشيخ محمّد بن علي بن عطيّة المشهور بأبي طالب المكّي، قوت القلوب في معاملة المحبوب، بيروت، دارالكتب العلميّة، ۲۰۰۵ م.

۳۹. ابن عربي، أبوعبد الله محي الدين بن علي بن محمّد، الفتوحات المكّيّة في معرفة الأسرار المالكيّة والملكيّة، بيروت، دار صادر، ۱٤۰۵ هـ. ق.

٤۰. المفيد، أبوعبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان العكبري، الأمالي، قم، مؤتمر الشيخ المفيد، ۱٤۱۳ هـ. ق.

٤۱. المفيد، أبوعبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان العكبري، الاختصاص، قم، مؤسّسة النشر الإسلامي، ۱٤۱۳ هـ. ق.

٤۲. الأهوازي، الحسين بن سعيد الكوفي، الزهد، قم، المطبعة العلميّة، ۱۳۹۹ هـ. ق.

٤۳. الحرّاني، أبو محمّد حسن بن علي بن حسين بن شعبة، تحف العقول عن آل الرسول، قم، مؤسّسة النشر الإسلامي، ۱٤۰٤ هـ. ق.

٤٤. ابن فهد، جمال الدين أبو العبّاس أحمد الحلّي، عدّة الداعي ونجاح الساعي، دارالكتاب الأسلامي، ۱٤۰۷ هـ. ق.

٤٥. الطبرسي، أبوالفضل علي بن حسن، مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، النجف الأشرف، المكتبة الحيدريّة، ۱۳۸٥ هـ. ق.

٤٦. الطبرسي، رضي الدين الحسن بن الفضل، مكارم الأخلاق، قم، منشورات الشريف الرضي، ۱٤۱۲ هـ. ق.

٤۷. الصدوق، الشيخ محمّد بن علي بن بابويه القمّي، الأمالي، طهران، المكتبة الإسلاميّة، ۱۳٦۲ هـ. ش.

٤۸. ابن طاووس، السيّد رضي الدين علي بن موسى بن جعفر، فلاح السائل ونجاح المسائل، قم، مكتب الإعلام الإسلامي.

٤۹. الهندي، علاءالدين علي المتّقي بن حسام الدين، كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال، بيروت، مؤسّسة الرسالة، ۱٤۰۹ هـ. ق.

٥٠. الصدوق، الشيخ محمّد بن علي بن بابويه القمّي، ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، قم، منشورات الشريف الرضي، ١٣٦٤ هـ. ش.
٥١. الشعيري، تاج الدين محمّد بن محمّد بن حيدر، جامع الأخبار، قم، منشورات الشريف الرضي، ١٣٦٣ هـ. ش.
٥٢. الصدوق، الشيخ محمّد بن علي بن بابويه القمّي، الخصال، قم، مؤسّسة النشر الإسلامي، ١٤٠٣ هـ. ق.
٥٣. الصدوق، الشيخ محمّد بن علي بن بابويه القمّي، الاعتقادات، طهران، ١٢٩٣ هـ. ق.
٥٤. الصدوق، الشيخ محمّد بن علي بابويه القمّي، علل الشرائع، قم، مكتبة الداوري.
٥٥. المازندراني، المولى محمّد صالح بن أحمد، شرح أُصول الكافي.
٥٦. الصفّار، محمّد بن حسن بن فرّوخ القمّي، بصائر الدرجات في فضائل آل محمّد، قم، منشورات مكتبة آية الله المرعشي النجفي، ١٤٠٤ هـ.ق.
٥٧. الطوسي، الشيخ أبوجعفر محمّد بن الحسن، التبيان في تفسيرالقرآن، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
٥٨. الطوسي، الشيخ أبوجعفر محمّد بن الحسن، الأمالي، قم، منشورات دار الثقافة، ١٤١٤ هـ. ق.
٥٩. العيّاشي، محمّد بن مسعود بن محمّد السمرقندي، كتاب التفسير، طهران، المطبعة العلميّة، ١٣٨٠ هـ. ق.
٦٠. الطبرسي، أبوعلي الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، طهران، انتشارات ناصر خسرو، ١٣٧٢ هـ. ش.
٦١. الطبرسي، أبوعلي الفضل بن الحسن، تفسيرجوامع الجامع، طهران، انتشارات جامعة طهران، ١٣٧٧ هـ. ش.
٦٢. النجاشي، أحمد بن علي بن أحمد بن عبّاس، رجال النجاشي، قم، مؤسّسة النشر الإسلامي، ١٤٠٧ هـ. ق.
٦٣. الهيثمي، الحافظ نورالدين علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤٠٨ هـ. ق.
٦٤. السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر، الجامع الصغير، بيروت، دار الفكر

للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠١ هـ. ق.

٦٥. العجلوني، الشيخ إسماعيل بن محمّد الجرّاحي، كشف الخفاء ومزيل الإلباس عمّا اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤٠٨ هـ. ق.

٦٦. ابن سعد، محمّد بن سعد بن منيع الزهري البصري، الطبقات الكبرى، بيروت، دار صادر.

٦٧. الصدوق، الشيخ محمّد بن علي بن بابويه القمّي، معاني الأخبار، قم، مؤسّسة النشر الإسلامي، ١٣٦١ هـ. ش.

٦٨. النيشابوري، أبوالحسين مسلم بن الحجّاج بن مسلم القشيري، صحيح مسلم، بيروت، دار الفكر.

٦٩. المباركفوري، أبوالعلا محمّد عبد الرحمن بن عبدالرحيم، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمزي، بيروت، دار الكتب العلميّة.

٧٠. مالك بن أنس، أبوعبد الله بن مالك الحميري المدني، كتاب الموطّأ، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٦ هـ. ق.

٧١. الكراجكي، أبوالفتح محمّد بن علي الطرابلسي، كنز الفوائد، قم، منشورات دار الذخائر، ١٤١٠ هـ. ق.

٧٢. الطهراني، محمّد المحسن الرازي المعروف بالشيخ آغا بزرگ، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، بيروت، دار الأضواء، ١٤٠٣ هـ. ق.

٧٣. الخوئي، السيّد أبوالقاسم الموسوي، معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، بيروت، ١٤٠٣ هـ. ق.

٧٤. ابن حنبل، أبوعبد الله أحمد بن محمّد الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، بيروت، دار صادر.

٧٥. ابن ماجة، الحافظ أبوعبد الله محمّد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجة ، بيروت، دارالفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٧٦. الدارمي، أبومحمّد عبد الله بن بهرام، سنن الدارمي، دمشق، مطبعة الإعتدال.

٧٧. النسائي، أبوعبد الرحمن أحمد بن شعيب، سنن النسائي، بيروت، دار الفكر، ١٣٤٨ هـ. ق.

٧٨. النسائي، أبوعبد الرحمن أحمد بن شعيب، السنن الكبرى، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤١١ هـ. ق.
٧٩. أبوداود، سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٠ هـ. ق.
٨٠ ابن أبي شيبة، الحافظ عبدالله بن محمّد الكوفي العبسي، مصنّف ابن ابي شيبة، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٩ هـ. ق.
٨١ البيهقي، الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي، السنن الكبرى، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
٨٢ الطبراني، الحافظ أبوالقاسم سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، القاهرة، مكتبة ابن تيميّة.
٨٣ العاملي، السيّد محمّد بن علي الموسوي، مدارك الأحكام في شرح شرائع الإسلام، قم، مؤسّسة آل البيت لإحياء التراث، ١٤١٠ هـ. ق.
٨٤ الذهبي، شمس الدين أبوعبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، القاهرة، دارالحديث، ١٤٢٧ هـ. ق.
٨٥ ابن كثير، الحافظ أبوالفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨ هـ. ق.
٨٦ المزّي، الحافظ جمال الدين أبوالحجّاج يوسف، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، بيروت، مؤسّسة الرسالة، ١٤٠٦ هـ. ق.
٨٧ البحراني، الشيخ يوسف بن أحمد بن إبراهيم الدرازي، الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة، قم، مؤسّسة النشر الإسلامي.
٨٨ السبزواري، السيّد عبد الأعلى الموسوي، مواهب الرحمن في تفسير القرآن، بيروت، مؤسّسة أهل البيت، ١٤٠٩ هـ. ق.
٨٩ البيهقي، الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي، فضائل الأوقات، مكّة المكرّمة، مكتبة المنارة، ١٤١٠ هـ. ق.
٩٠. الطوسي، الشيخ أبوجعفر محمّد بن حسن، مصباح المتهجّد وسلاح المتعبّد، بيروت، مؤسّسة فقه الشيعة، ١٤١١ هـ. ق.

۹۱. ابن طاووس، السيّد رضي الدين علي بن موسى بن جعفر، جمال الأُسبوع بكمال العمل المشروع، قم، منشورات الرضي.

۹۲. ابن طاووس، السيّد رضي الدين علي بن موسى بن جعفر، الدروع الواقية، قم، مؤسّسة آل البيت لإحياء التراث، ١٤١٤ هـ. ق.

۹۳. المفيد، أبوعبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان العكبري، المقنعة، قم، مؤسّسة النشر الإسلامي، ١٤١٣ هـ. ق.

٩٤. ابن طاووس، السيّد رضي الدين علي بن موسي بن جعفر، إقبال الأعمال، طهران، دار الكتب الإسلاميّة، ١٣٦٧ هـ. ش.

٩٥. ابن قولويه، أبوالقاسم جعفر بن محمّد القمّي، كامل الزيارات، النجف الأشرف، المكتبة المرتضويّة، ١٣٥٦ هـ. ش.

٩٦. الصنعاني، أبوبكر عبد الرّزاق بن همام الحميري اليماني، المصنّف، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٣ هـ. ق.

۹۷. المفيد، أبوعبد الله محمّد بن محمّد النعمان العكبري، تصحيح اعتقادات الإماميّة، قم، مؤتمر الشيخ المفيد، ١٤١٣ هـ. ق.

۹۸. ابن منظور، أبوالفضل جمال الدين محمّد بن مكرم، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ١٤١٤ هـ. ق.

۹۹. الزمخشري، جارالله محمود بن عمر، الفائق في غريب الحديث، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤١٧ هـ. ق.

۱۰۰. الكفعمي، الشيخ إبراهيم بن علي العاملي، جُنّة الأمان الواقية وَجَنّة الإيمان الباقية المعروف بمصباح الكفعمي، قم، انتشارات الرضي، ١٤٠٥ هـ.ق.

۱۰۱. الصدوق، الشيخ محمّد بن علي بن بابويه القمّي، التوحيد، قم، مؤسّسة النشر الإسلامي، ١٣٩٨ هـ. ق.

۱۰۲. الداماد، المير محمّد باقر بن محمّد الحسيني، اثنا عشر رسالة، طهران مكتبة السيّد الداماد.

۱۰۳. النمازي، الشيخ علي بن محمّد الشاهرودي، مستدرك سفينة البحار، مشهد، مطبعة خراسان.

١٠٤. الراوندي، قطب الدين أبو الحسين سعيد بن عبدالله بن حسين بن هبة الله الكاشاني،

الدعوات، قم، منشورات مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، ١٤٠٧ هـ. ق.

١٠٥. ابن حبّان، أبوحاتم محمّد بن حبّان بن أحمد التميمي البستي، كتاب المجروحين من المحدّثين والضعفاء والمتروكين، حلب، دار الوعي.

١٠٦. الكاشاني، الشيخ كمال الدين عبدالرّزاق بن أحمد، تحلية الأرواح بحقائق الإنجاح، طهران، ميراث مكتوب، ١٣٨٤ هـ. ش.

١٠٧. الأشعري، أبوجعفر أحمد بن محمّد بن عيسي القمّي، النوادر، قم، منشورات مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، ١٤٠٨ هـ. ق.

١٠٨. صدرالمتألّهين، محمّد بن إبراهيم الشيرازي المعروف بالملّا صدرا، مفاتيح الغيب، طهران، مؤسّسه تحقيقات فرهنگی، ١٣٦٣ هـ. ش.

١٠٩. الغزالي، زين الدين أبوحامد محمّد بن محمّد الطوسي، إحياء علوم الدين، بيروت، دار الكتاب العربي.

١١٠. صدرالمتألّهين، محمّد بن إبراهيم الشيرازي المعروف بالملّا صدرا، أسرارالآيات، طهران، انجمن حكمت و فلسفه، ١٣٦٠ هـ. ش.

١١١. الكاشاني، الشيخ كمال الدين عبدالرّزاق بن أحمد، شرح منازل السائرين، قم، انتشارات بيدار، ١٤١٣ هـ. ق.

١١٢. الطوسي، الخواجه نصيرالدين محمّد بن محمّد بن الحسن، أوصاف الأشراف، طهران، انجمن اسلامى الغدير، ١٣٦٢ هـ. ش.

١١٣. الكاشاني، الشيخ كمال الدين عبدالرّزاق بن أحمد، لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤٢٥ هـ. ق.

١١٤. الفيض الكاشاني، الملّا محسن محمّد بن مرتضى، المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء، قم، مؤسّسة النشر الإسلامي، ١٤١٧ هـ. ق.

١١٥. النراقي، المولى محمّد مهدي بن أبي ذرّ الكاشاني، جامع السعادات، بيروت، مؤسّسة التاريخ العربي، ١٤٢٥ هـ. ق.

١١٦. بحرالعلوم، السيّد مهدي بن السيّد مرتضي الطباطبائي النجفي، رسالة السير والسلوك، قم، گنج عرفان، ١٤٢٤ هـ. ق.

١١٧. الطهراني، السيّد محمّد الحسين الحسيني، رسالة لبّ اللباب في سير وسلوك أُولي الألباب، بيروت، دار المحجّة البيضاء، ١٤١٧ هـ. ق.

١١٨. السبزواري، الملّا هادي بن مهدي بن هادي، شرح المنظومة، طهران، نشر ناب، ١٣٧٩ هـ. ق.

١١٩. السبزواري، الملّا هادي بن مهدي بن هادي، شرح الأسماء الحسنى، طهران، جامعة طهران، ١٤١٧ هـ. ق.

١٢٠. الطباطبائي، العلّامة السيّد محمّد حسين، رسالة الولاية، قم، انتشارات آيت إشراق، ١٣٨١ هـ. ق.

١٢١. الطهراني، السيّد محمّد الحسين الحسيني، معرفة الله، بيروت، دار المحجّة البيضاء، ١٤٢٠ هـ.ق.

١٢٢. الجرجاني، عبدالله بن عدي بن عبدالله بن محمّد، الكامل في ضعفاء والرجال، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٩ هـ. ق.

١٢٣. الذهبي، أبوعبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، بيروت، دارالمعرفة، ١٣٨٢ هـ. ق.

١٢٤. الشامي، محمّد بن يوسف الصالحي، سبل الهدى والرشاد في سيرة خيرالعباد، مصر، المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة.

١٢٥. المفيد، أبوعبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان العكبري، كتاب المزار، قم، مؤتمر الشيخ المفيد، ١٤١٣ هـ. ق.

١٢٦. المامقاني، الشيخ عبد الله بن محمّد حسن بن عبد الله، تنقيح المقال في علم الرجال، النجف الأشرف، ١٣٤٩ هـ. ق.

١٢٧. الخوانساري، السيّد محمّد باقر بن الميرزا زين العابدين الموسوي، روضات الجنّات في أحوال العلماء السادات، طهران، المطبعة الحيدريّة، ١٣٩٠ هـ. ق.

١٢٨. الديلمي، أبومحمّد الحسن بن أبي الحسن، إرشاد القلوب، قم، منشورات الشريف الرضي، ١٤١٢ هـ. ق.

١٢٩. المفيد، أبوعبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان العكبري، الإرشاد في معرفة حجج

الله على العباد، قم، مؤتمر الشيخ المفيد، ١٤١٣ هـ. ق.

١٣٠. ابن أبي الحديد، أبوحامد عبد الحميد بن هبة الله المعتزلي، شرح نهج البلاغة، قم، منشورات مكتبة آية الله المرعشي النجفي، ١٤٠٤ هـ. ق.

١٣١. التهاوني، محمّد علي، كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٦ م.

١٣٢. الكاشاني، الشيخ كمال الدين عبدالرّزاق بن أحمد، اصطلاحات الصوفيّة، طهران، انتشارات حكمت، ١٤٢٣ هـ. ق.

١٣٣. الرضا، الإمام علي بن موسى عليه السلام، فقه الرضا عليه السلام، مشهد، المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام، ١٤٠٩ هـ. ق.

١٣٤. الكوفي، أبو علي محمّد بن محمّد بن الأشعث، الأشعثيّات أو الجعفريّات، طهران، مكتبة نينوى الحديثة.

١٣٥. الأحسائي، محمّد بن علي بن إبراهيم، المعروف بإبن أبي جمهور، عوالي اللئالي العزيزيّة في الأحاديث الدينيّة، قم، منشورات سيّد الشهداء عليه السلام، ١٤٠٥ هـ. ق.

١٣٦. النيشابوري، الحافظ أبوعبد الله الحاكم، المستدرك على الصحيحين، بيروت، دار المعرفة، ١٤٠٦ هـ. ق.

١٣٧. القرطبي، أبوعبدالله محمّد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، طهران، انتشارات ناصر خسرو، ١٣٦٤ هـ. ش.

١٣٨. النيشابوري، محمّد بن حسن بن علي المعروف بابن فتّال، روضة الواعظين، قم، منشورات الرضي.

١٣٩. العاملي، زين الدين بن علي بن أحمد المعروف بالشهيد الثاني، منية المريد في أدب المفيد والمستفيد، قم، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٩ هـ. ق.

١٤٠. معلوف، الأب لويس، المنجد في اللغة والأعلام، بيروت، مطبعة الآباء اليسوعيّين، ١٩٠٨ م.

١٤١. الزركلي، خيرالدين، الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٠ م.

١٤٢. الخزّاز، أبوالقاسم علي بن محمّد القمّي الرازي، كفاية الأثر في النصّ على الأئمّة

الاثني عشر، قم، انتشارات بيدار، ١٤٠١، هـ. ق.

١٤٣. العسكري، الإمام الحسن بن عليعليه السلام، التفسير المنسوب إلى الإمام أبي محمّد الحسن بن علي العسكريعليه السلام، منشورات مدرسة الإمام المهديعليه السلام، ١٤٠٩ هـ. ق.

١٤٤. الكراجكي، أبوالفتح محمّد بن علي الطرابلسي، معدن الجواهر ورياضة الخواطر، طهران، منشورات المكتبة المرتضويّة، ١٣٩٤ هـ. ق.

١٤٥. الآملي، آية الله الشيخ عبدالله الجوادي الطبري، كتاب الصلاة، الجزء الثاني، تقرير أبحاث دروس فقه آية الله العظمى السيّد محمّد المحقّق الداماد، قم، مؤسّسة النشر الإسلامي، ١٤١٦ هـ. ق.

١٤٦. الخوئي، الميرزا حبيب الله الهاشمي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، طهران، المكتبة الإسلاميّة، ١٣٥٨ هـ. ش.

١٤٧. البحراني، كمال الدين، ميثم بن علي بن ميثم، شرح نهج البلاغة، دفتر نشر الكتاب، ١٣٦٢ هـ. ش.

آغاز نسخه «م»


پایان نسخه « م »

بسم الله الرحمن الرحيم . وبه ثقتي

[illegible]

ط۱۰

آغاز نسخه «ع»

مناسك الزيارات نسبه من كتاب البرقي من كتب الرواية الصحاح عن

عبد الله عليه السلام قال اشتكى ابو عبد الله فدعا ابو ابو جعفر الباقر عليه السلام قال

قل عشر مرات يا الله يا الله ثم اسئله حاجتك الا قضيت

فيا حكم من يدعو يا رب يا رب عشر مرات لما رواه محمد بن علي بن محبوب في

كتاب الصلوة عن احمد بن ابي جعفر بن ابي عمير عن احدهم عن ابي عبد الله

عليه السلام قال من قال عشر مرات يا رب يا رب يا رب قيل له لبيك سل

حاجتك ورايت نسخة كتاب المناسك ابيات ذكرت في الفقيه عن

ما عن الفضل ابي عبد الله عليه السلام قال كان يقول في دعائه يا رب يا

رب حتى ينقطع النفس ثم يعيد ثم يعيد ومن الكتاب المذكور عن

ابي عبد الله عليه السلام قال ان العبد اذا قال اي رب قيل له

من ... لبيك لبيك سل حاجتك ... تذكر في هذه الايام

... والصلوة من ... يوم ...

فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون

احسنه اولئك الذين هديهم

واولئك هم اولوا الالباب

والحمد لله رب

العالمين

م

پایان نسخه «ع»

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

فانه خير معين يقول علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن
الطاوس العلوي الفاطمي قدس الله روحه ونور ضريحه
احمد الله جل جلاله الذي ابتدأني بالوجود والوعود ورباني
في ظهور الآباء والجدود وبطون الامهات والجدات و
الهمني التشريف بمعرفته وارتضاني لعبادته ودلني على
طريق السلامة عن الندامة والاستظهار ليوم القيمة
والظفر بالكرامة في دار المقام وعرفني ان معي ملائكة
حافظين وامرني بالمحاسبة والاحتياط ليوم الدين واشهد
ان لا اله الا الله شهادة صدقت عما شرفني به من اليقين
وعرفني من الاسرار عن السلف الطاهرين واشهد ان جدي

محمد

آغاز نسخه « ط »

المفيد ما هذا لفظه ابو جعفر قال كان ابي يلح في الدعاء يقول
يا رب يا رب حتى ينقطع النفس ثم يعود ثم يعود فصل
ومن التعليقة ما هذا لفظه ابو عبد الله قال ان العبد اذا
قال اي رب ثلثا صيح من فوقه لبيك سل تعطه وهذا آخر ما
اوردناه من ذكر هذه الابواب مما يقتضي الاستظهار
للسلامة من العقاب العتاب في يوم الحساب فبشر عباد الذين
يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم
الله واولئك هم اولوا الالباب والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على اشرف المرسلين محمد النبي و
آله الطيبين الطاهرين الاخيار
الانجبين وسلم تسليما
كثيرا كثيرا

(هذا)

آخر رسالة ابن طاوس رحمه
الله تعالى

[illegible]

پایان نسخه « ط »